جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الفلسفة الإسلامية



منهج دراسة الإسلام عند زويمـــــر

"١٨٦٧ – ١٩٥٢"

"دراسة نقدية"

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

محمد سميح فاضل فضل

إشراف

أ. د/ عبد الراضي محمد عبد المحسن رضوان

أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان،

وعميد كلية دار العلوم

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧ م

شكر وتقدير

أحمد الله – **سبحانه وتعالى** – أولاً وآخرًا على ما من به عليَّ من نِعم لا تحصى وأوَّلها نعمة الإسلام والسنَّة، وأحمده – تعالى – وهو أهل للحمد على توفيقه لي لسلوك طريق العلم والتعلم في أعظم العلوم وأشرفها، فأسأله سبحانه أن يتم علينا فضله، وأن يثبتنا على الإسلام والسنَّة حتى نلقاه على ذلك.

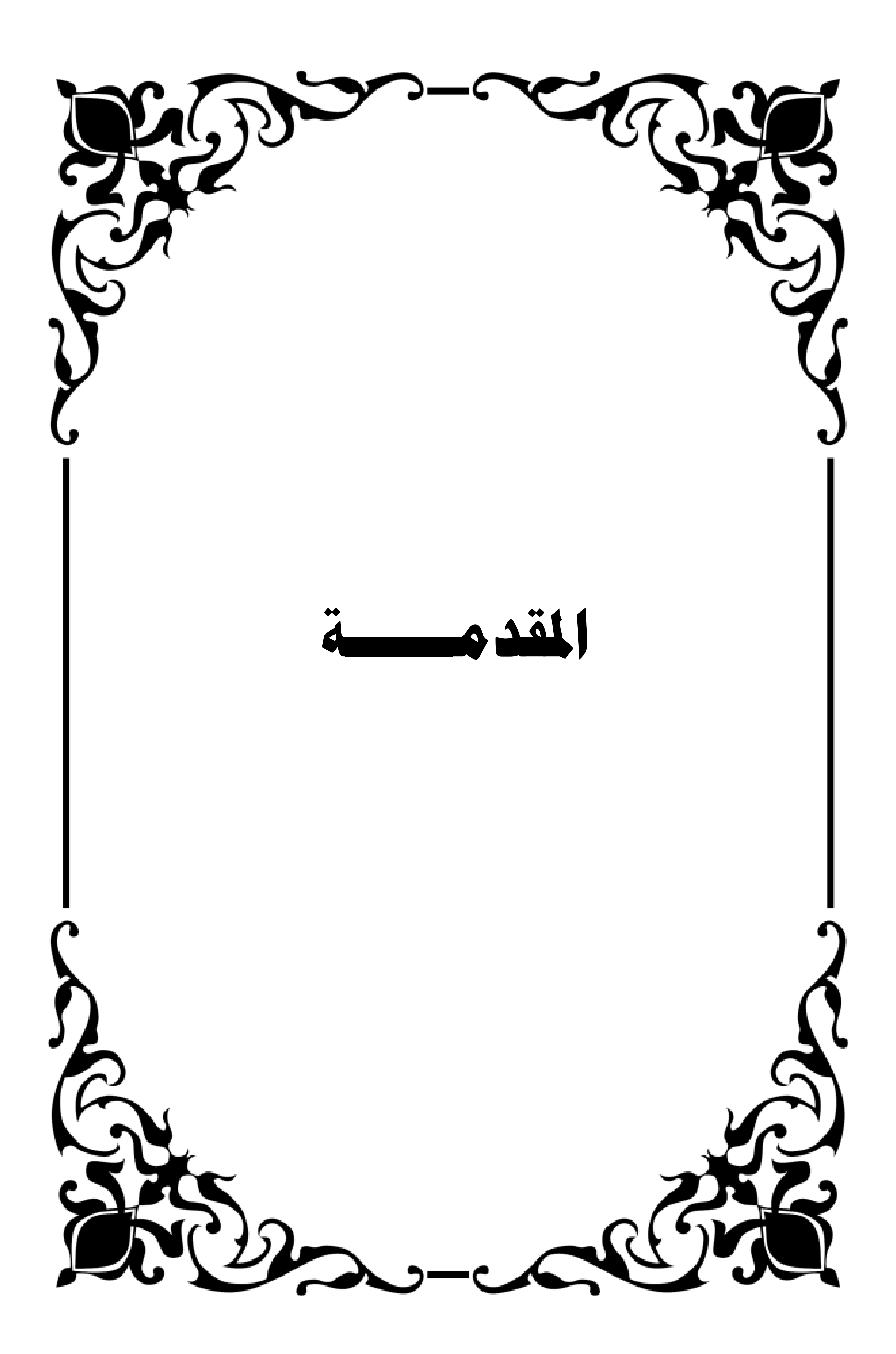
وأُثنِّي بتوجيه الشكر لمن كان لهم فضل عليَّ بعد الله – تعالى – بداية من كلية دار العلوم بما حوته بين جدرانها من علم وعلماء أخص منهم **أستاذي الدكتور/ عبد الراضي محمد عبد المحسن رضوان** أستاذ الفلسفة الإسلامية ومقارنة الأديان، وعميد كبية دار العلوم الذي تفضل بقبول الإشراف على رسالتي، ثم ما كان منه من قراءة ومتابعة وتوجيه أشبه ما يكون من رعاية الوالد لولده لا يدخر وسعًا في ذلك فجزاه الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني كذلك شكر **الأستاذ الدكتور حامد طاهر** رئيس قسم الفلسفة ، ونائب رئيس الجامعة سابقا على قبوله مناقشة هذه الرسالة مع كثرة مشاغله ،والله أسأل أن تنال تقديره وتليق بمكانته.

كما أوجه جزيل الشكر وعظيم التقدير **للبرفيسور مهند خورشيد** أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة مونستر بألمانيا لتجسمه عناء السَّفر لمناقشة هذه الرسالة مع كثرة مشاغله وأعبائه.

وإني لأهدي هذه الرسالة **لأبي** رحمه الله جزاءَ ما قدَّم ، **ولأمي** الغالية أطال الله في عمرِها على بِرٍّ وتقوى، **ولزوجتي** رفيقةِ حياتي على صبرها معي فيما حرمتها من وقت بسبب طلب العلم، فالله اسأل أن يجزيها خيرًا وأن يبارك لنا ولأولادنا في الدنيا والأخرة، وأسأل الله أن يغفر لأبي ويرحمه ويجعل سعيه وعملي هذا في ميزان حسناته إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وما سبق إنما هو من باب قول النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – "لا يشكر الله من لا يشكرُ الناس، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فاللهم إنِّي أسألُك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تجعلنا من الشاكرين لنعمتك المُثْنِين بها عليك، وأن تغفر لنا تقصيرنا في ذلك، إنك ولي ذلك والقادر عليه....**آمين.**



المقدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينًا، ونصب لنا الدلالــة علــى صــحته برهانًا مبينًا، وأوضح السبيل إلى معرفته واعتقاده حقًا يقينًا، ووعد من قام بأحكامه وحفظه أجرًا مبينًا، وذخر لمن وافاه به ثوابًا جزيلاً وفوزًا عظيمًا، فهو دينه الــذي ارتضاه لنفسه ولأنبيائه ورسله وملائكة قدسه، فبه اهتدى المهتدون، وإليــه دعــا الأنبياء والمرسلون.

(أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ولَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ طَوْعًا وكَرْهًا وإلَيْهِ يُرْجَعُونَ) (١).

فلا يقبل من أحد دينًا سواه من الأولين والآخــرين **(ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْــلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)** (٢).

شهد بأنه دينه قبل شهادة الأنام، وأشاد به ورفع ذكره، وسمَّى به أهله ومــا اشتملت عليه الأرحام فقال تعالى **(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ والْمَلائِكَةُ وأُوْلُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إلَهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١٨) إنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ)** (٣).

وحكم – سبحانه – بأنه أحسن الأديان، ولا أحسن من حكمه ولا أصدق منه قِيلاً فقال:

(ومَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وجْهَهُ لِلَّهِ وهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفًــا واتَّخَذَ اللَّهُ إبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) (٤).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد له، ولا نــد لـــه، ولا صاحبة له، ولا ولد له، ولا كفء له، تعالى عن إفك المبطلين، وتقدس عن شــرك المشركين وأباطيل الملحدين.

---

(١) آل عمران: الآية ٨٣.

(٢) آل عمران: الآية ٨٥.

(٣) آل عمران: الآية ١٨ – ١٩.

(٤) النساء: الآية ١٢٦.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفوته من خلقه وخيرته، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، بعثه بخير ملة، وأحسن شرعة، وأظهر دلالة، وأوضح حجة إلى جميع العالمين، ضربت لنبوته البشائر من عهد أدم أبي البشر إلى عهد المسيح ابن البشر، حتى خرج إلى الدنيا فكان خير بشير ونذير صلى الله عليه وآله وسلم .

أما بعد:

فقد تصدى نَفر من أبناء الغرب لدراسة الإسلام دراسات تجاوزت المألوف في حقل البحث والدرس إلى مسالك الطعن في الدين الإسلامي عقيدة وأخلاقًا، وكان من أشهر من قام بذلك، وقضى فيه جُلَّ حياته- ستين عامًا- القس عميد المنصرين صموئيل زويمر (١٨٧٦ – ١٩٥٢) فسافر إلى كثير من أقطار المسلمين، وترأس الكثير من مؤتمرات المُنصِّرين، وكتب وألف ما يقارب الأربعين كتابًا ما بين مجلدات ضخمة وأجزاء، فكان مرجعًا رئيسًا لمن جاء بعده، وطريقًا مظلمًا لمن أراد أن يتعرف على الإسلام والمسلمين من خلال كتبه، فكان ضروريًا التصدي لدراسة هذه الكتب وبيان ما فيها، ولذلك رجوت الله – تعالى – أن أكون أحد هؤلاء الدراسين من خلال إعداد بحث لدرجة الماجستير يكون موضوعه:

منهج دراسة الإسلام عند صموئيل زويمر "١٨٦٧ – ١٩٥٢"

دراسة نقدية

أسباب اختيار الموضوع:

وسبب اختياري للموضوع يرجع إلى جانب ما سبق للأمور الآتية:

١- كثرة الكتب التي ألفها القس زويمر عن الإسلام والمسلمين حيث إنها تزيد على العشرين، بل تمت ترجمتها إلى لغات عديدة كما أشار إلى ذلك "جون مكاري" في مقدمة لكتاب "الصليب فوق الهلال"[١] تناول فيها أحوال المسلمين وعقيدتهم وأخلاقهم بشكل ينبغي التنبيه عليه.

٢- صعوبة الوصول إلى ما تضمنته هذه الكتب لدى كثير من الدراسين حيث إنها كتبت باللغة الإنجليزية فكان لابد من إخراج ما فيها ونقده نقدًا موضوعيًا، وذلك لأمور كثيرة منها:

- إنها اشتملت على كثير من الباطل الذي أتُّهم به الإسلام والمسلمين في عقيدتهم وأخلاقهم.
- أنها مازالت مرجعًا لكثير ممن سار على درب زويمر في حملاته التنصيرية، بل وكذلك بعض من يصفون أنفسهم بالتنويريين أو العقلانيين ممن يتكلمون بلساننا.

٣- قلة أو ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بالطريقة التي سأتناوله بها – إن شاء الله – بالرغم من خطورة ما جاء في كتابات عميد المنصِّرين بحق صموئيل زويمر.

٤- الإسهام في نشر الفهم الصحيح للإسلام عقيدة وأخلاقًا في مقابل الذين لا يألون جهدًا في تشويه صورته بمناهج قامت عليها جمعيات ومؤتمرات وجهات عديدة.

٥- رغبتي الشديدة – وأنا في بداية التخصص – أن أجمع في دراستي بين اللغة الإنجليزية التي أحسنها، ولغة القرآن الكريم التي زاد علمي بفضلها بعد دراستي بدار العلوم.

---

(1) S. Zwemer. Cross above Crescent P. 4.

الدراسات السابقة:

لم أظفر بدراسات سابقة في المكتبات أو حتى علـــى الشـــبكة العنكبوتيـــة تناولت هذه المادة الخاصة بالقس صموئيل زويمر، وكل من تكلم عنه إنما تعرض لذلك في شكل مقالة أو إشارة إلى دوره في حركة التنصير في القرنين الماضـــيين أو من باب الترجمة له، وأما تناول ما جاء في كتاباته بالنقد فهذا لم يتعـــرض لـــه أحد – فيما أعلم – وبالتالي استعنت بالله على الكتابة في هذا الموضوع ثم وقَعْـــتُ قبيل الانتهاء من الكتابة على أطروحة باللغة الإنجليزية للترقي لدرجة الأســـتاذية في الفلسفة من جامعة بيرمنجهام مقدمة من Yohannes Bekele وكان عنوانها:

"Samuel Zwemers' Missionary Strategy Towards Islam"

تناول فيها بشكل تحليلي:

١- أهم المنصِّرين البروتستانتيين إلى العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر.

٢- ترجمة موسعة لصموئيل زويمر.

٣- كلام زويمر وتقييمه لنبينا صلى الله عليه وسلم.

٤- موقف زويمر من القرآن.

٥- موقف زويمر من المصلحين الإسلاميين.

وهي تختلف عن بحثي لأمور ثلاثة:

الأول: أنه لم يرجع إلا لكتب محدودة لزويمر، ولعل سبب ذلك أنها ترســـم المعالم الأساسية لمنهجه.

الثاني: اختلاف المنهجين فمنهجي قائم بشكل أساسي على النقد مع منـــاهج أخرى، وأما منهجه فتحليلي.

الثالث: ما لاحظته من اعتماده بشكل أساسي على ما ألفه زويمر من كتب لا ما كتبه في مجلة العالم الإسلامي.

المنهج المستخدم في الدراسة:

لن اقتصر على منهج معين في الدراسة، فقد أستخدم المنهج التحليلي النقدي لِما جاء في كلام زويمر، أو المنهج المقارن بين ديانتين أو أكثر، أو غير ذلك من المناهج، ولا شك أن هذا سيكون له أثر قوي في إعطاء حرية كافية لإخـــراج البحث كما ينبغي أن يكون.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على تمهيد وأربعة فصول تنقسم إلى مباحث ومطالب، وخاتمة وملحق على النحو التالي:

أولاً: التمهيد:

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بصموئيل زويمر

المبحث الثاني: مصادر زويمر في دراسة الإسلام

المبحث الثالث: الاستشراق وعلاقته بالتنصير والاستعمار

المبحث الرابع: معنى ومدلول كلمة (المنهج)

المبحث الخامس: عرض موجز لحالة العالم الإسلامي

الفصل الأول: دراسة زويمر لمصادر العقائد الإسلامية:

ويشتمل على توطئة ومبحثين.

توطئة

المبحث الأول: دعوى تأثر الإسلام باليهودية والمسيحية.

المبحث الثاني: دعوى تأثر الإسلام بالوثنية.

الفصل الثاني :دراسة زويمر للعقائد الإسلامية:

واقتصرت فيه على مبحث الأسماء والصفات لدخولــه وعلاقتــه ببــاقي مباحث الاعتقاد، وكذلك مبحث القضاء والقدر وذلك بسب دندنـــة زويمـــر حولـــه لتشويه صورة الإسلام والمسلمين.

المبحث **الأول:** دراسة زويمر لعقيدة المسلم في الأسماء والصفات

خاتمة البحث وتشمل على:

عرض لأهم نتائج البحث، وذكر التوصيات التي يراها الباحث ثـــم أتْبعـــتُ ذلك بفهارس علمية للآيات والأحاديث والأشعار، وكذلك قائمة بالمصادر المراجع المعتمد عليها في البحث.



التمهيد

- المبحث الأول: التعريف بصموئيل زويمر
- المبحث الثاني: مصادر زويمر في دراسة الإسلام
- المبحث الثالث: الاستشراق وعلاقته بالتنصير والاستعمار
- المبحث الرابع: ملامح منهج البحث الاستشراقي
- المبحث الخامس: عرض موجز لحالة العالم الإسلامي



المبحث الأول

التعريف بصموئيل مارينوس زويمر

Samuel Marinus Zwemer

١- المولد والأصل:

ولد صموئيل زويمر في الثاني عشر من أبريل ١٨٦٧ في مدينـــة فيــرس لاند بولاية ميتشجان Michigan لأبوين هولنديين، هاجرا إلى أمريكا عام ١٨٤٩ للبحث عن حياة كريمة وكان الابن الثالث عشر من خمسة عشر ولدًا لوالديه.

وترجع أصول عائلة زويمر إلى ما يُعرف بالهوغونوتس (Huguenots).

يقول المبشر جي. كريستي ويلسون في كتابه

"Apostle to Islam, Abiography of Samuel. M. Zwemer".

"The zwemers were descended from French Huguenot ancestors who fled to the Nether Lands after the revocation of the Edict of Nantes in 1685) (1).

"ترجع أصول عائلـــة زويمـــر إلـــى أســـلافهم الفرنســـيين المعـــروفين بالهوغونوتس الذين فروا إلى هولندا بعد إلغاء قانون نانت (٢) عام ١٦٨٥".

والهوغونوتس فرقة مسيحية بروتستانتية فرنسية تعتبر من الأقليات الدينية في فرنسا، حيث إن المذهب السائد في فرنسا هو المذهب الكاثوليكي، وظهرت هذه الفرقة إثر اجتياح حركات الإصلاح الديني في أوروبا بقيادة مارتن لوثر "Martin Luthor" وجون كالفن "John calvin".

---

(1) Apostle to Islam. Abiography of Samuel. M. Zwemer. P. 9.

(٢) قانون وضعه الملك الفرنسي هنري الرابع كمبادرة للتسامح الديني بين الطوائف المســيحية عــام ١٥٩٨، ولكن تم إلغاؤه على يد لويس الرابع عشر فيما عُرف بقانون فونتينبلو ١٦٨٥م (Edict of Fontainebleau) أنظر: حمد عبد الله، "صموئيل زويمر: لقاء المسيحية بالإسلام" (٢٧) ط. البحرين.

مع توسع رقعة الإصلاحيين وكسب تأييد العامة لأفكارهم اضطرت السلطات الفرنسية لاستخدام القوة المفرطة في كثير من الأحيان لقمع الحركات الإصلاحية ومنهم أتْبَاع طائفة الهوغونوتس، فاضطروا إلى هجر ديارهم، فهاجرت عائلة زويمر من موطنهم الأم فرنسا قاصدين هولندا البروتستانتية، ومنها بعد ذلك هاجر والد زويمر إلى أمريكا عام ١٨٤٩ (١).

٢-النشأة والتعليم:

لم يكن غريبًا من صموئيل زويمر منذ نعومة أظفاره أن يحرص على مواكبة حضور الخطب ومراسيم الصلاة المقدمة من قبل الكنائس المجاورة لمنزله؛ وذلك لما يراه من عمل والده أدريان في عدة كنائس أمريكية كخطيب وداعية للدين المسيحي، كما كان يمضي الساعات بجوار والده وهو يُعد نفسه لتقديم الخطب والمؤتمرات الكنسية، فتعلم الكثير عن شئون العقيدة المسيحية من والده، وشارك في فعاليات الكنيسة وتطوع منذ صغره وهو لم يتجاوز سبعة عشر عامًا في الأنشطة الدينية والتربوية للأطفال (٢).

يقول جي كريستي ويلسون:

"Three times a day, at each meal, there was Bible reading and prayer in such a home, it is a little wonder that the youth felt himself committed to Christ from the time of his earliest reflection on the subject" (3).

"ثلاث مرات يوميًا، مع كل وجبة، هناك قراءة للإنجيل وصلاة، وفي مثل هذا المنزل أحس الشاب "زويمر" بمدى ارتباطه بالمسيح منذ بداية تأمله المبكر لهذا الأمر".

(١) صمويل زويمر – لقاء المسيحية بالإسلام (٢٨) مرجع سابق.

(٢) صموئيل زويمر: لقاء المسيحية بالإسلام (٥٢).

(3) Apostle to Islam. A biography of Zwemer. P. 21.

على نفس خطى من سبقه من إخوته التحق صـــموئيل زويمـــر بالمدرســـة الإعدادية في خريف ١٨٧٩، وكانت جزءًا من كلية هوب Hope College، فظل بها أربع سنوات، ثم التحق بعد ذلك بكلية هوب في السادسة عشر [(١)].

تأسست هذه الكلية عام ١٨٦٦ في مدينة هولندا بولاية ميتشيجان من قبـــل مجموعة من المهاجرين الهولنديين وكانت تتبع الكنيســـة الإصـــلاحية، وهـــدفها المحافظة على الهوية المسيحية بعيدًا عن النظام التعليمي الحكومي الـــذي يفصـــل مبادئ الدين عن الدولة [(٢)].

تخرج زويمر في كلية Hope College، وحصل على درجة الماجســـتير في المدرسة اللاهوتية الجديدة في برونزويك Brunswich بولاية نيوجرسي سنة ١٨٩٠، وقد تعلم خلال هذه الفترة بعض مبادئ التطبيب والصحة العامة لتســـاعده بعد ذلك في كسبه للقلوب أثناء القيام بعمله التنصيري خـــارج ربـــوع الولايـــات المتحدة الأمريكية، فاقتنى الكتب، وشارك في بعض الممارســـات الطبيـــة فعمـــل مساعدًا لبعض الأطباء فجمع بين المكتسبات الدينية والطبية مـــن أجـــل تحقيـــق هدفه[(٣)].

أنهى زويمر دراسته ونال شهادته بتفوق وعين رسميًا كمبشـــر مـــن قبـــل المجمع المشيخي Presbyterian Composite، فقرر الالتحاق بزميله كانتـــاين Cantine في الشرق الأوسط للعمل سويًا في مجال التنصير.

٣- عمله :

لقد أيقن صموئيل زويمر أن سياسة الحديد والنار التـــي انتهجهـــا الغـــرب لإخضاع العالم الإسلامي له باءت بالفشل الذريع، وهـــي المعروفـــة بـــالحملات الصليبية The Crusades، ولذلك أراد أن يقتدي بَمثَلِهِ الأعلـــى ريمونـــد لـــول

(١) المصدر السابق ٢٩.

(٢) لقاء المسيحية بالإسلام (٥٣).

(٣) لقاء المسيحية بالإسلام (٥٥) مرجع سابق.

Raymand Lull[١]، الذي يعتبر أول من رفـض ذلـك الحـل، واتجـه للحـل التبشيري، يقول زويمر.

"At first the terror of the Saracen[2] and the Turk smothered in every heart even the desire to carry them the Gospel and when Christendom in Europe recovered from the shock of the Saracen invasion and that of the Turks, its first impulse was to take the sword and by the sword its hosts of crusaders perished. The crusades were the reply of Christendom to the challenge of Islam, but the reply was not in the spirit of the Gospel", It was Raymond Lull who wrote" I see many knights going to the Holly land thinking that they can acquire it by force of arms, but in the end all are destroyed before they attain that which They think to have. Whence it seems to me that the conquest of the Holy Land augth not to be attempted except in the way in which

---

(١) من رواد التنصير في العالم الإسلامي بل يفخر به زويمر جدًا حتى سمي ابنـه الـذكر الوحيـد باسمه، زار تونس بعيد الحملات الصليبية مباشرة ١٢٩٢، وبعدها الجزائر، قيل أنه قتل على يـد المسلمين لأعماله التنصيرية أنظر: Islam: A challenge to Faith P. 191 – 192.

يقول أستاذنا الدكتور/ عبد الراضي مبيناً دور ريموند لول: "ويمكن القول بأن بطل هذه المرحلـة (التنصير المؤسسي) بلا منازع هو (ريموند لول) وهو مبشر حانق على الإسلام، كان حلم حياته هدم الإسلام، وصرف حياته لمهمة تنصير المسلمين". الغارة التنصيرية، ص ١٥١.

(٢) يقول أستاذنا الدكتور عبد الراضي عبد المحسن في معرض بيان رؤية يوحنا الدمشقي اللاهوتية للإسلام ونبيه وكتابه:

– الطعن في جذور الإسلام الإبراهيمية الحنفية، وذلك بوصف المسلمين بالسـيرازنيين (Saracens) لأن هذا الوصف تشويه إتيمولوجي لجذور الإسلام، فالسرازنة تعني التي أبعدتهم سارة باحتقـار، إشارة إلى استبعادهم من رابطة الإبراهيمية التي جمعت أبناء سارة من اليهود والنصارى (الوحي القرآني في الفكر اللاهوتي ص ٩).

thou and thine apostles acquired it namely, by love and prayers"[1].

"في البداية، لقد أخمد رعب المسلمين والأتراك في كل قلب الرغبة في حمل الإنجيل إليهم، وعندما تعافت المسيحية في أوروبا من صدمة الغزو الإسلامي، وكذلك التركي، كان أول باعث لها أن تحمل السيف، وبالسيف ذاته هلك المحاربون الصليبيون. لقد كانت الحروب الصليبية ردًا من المسيحية على تحدي الإسلام، ولكنه لم يكن ردًا بروح الإنجيل. لقد كتب ريموند لول قائلاً: "أرى كثيرًا من الفرسان يذهبون للأرض المقدسة معتقدين قدرتهم على الحصول عليها بقوة السلاح، ولكن نهاية ذلك كانت دمارهم قبل أن ينالوا ما أرادوا. ومن هنا يبدو لي أن غزو الأرض المقدسة ما ينبغي أن يتم إلا بالطريقة التي سار عليها روادنا، أعني بالمحبة والصلوات".

بمجرد انتهاء زويمر من دراسته، قرر أن يجمع بين عملين كل منهما يكمل الآخر، الاستشراق والتنصير، فالثاني يستلزم الأول، ولذلك عزم هو وزميله جيمس كانتن على تأسيس ما يسمى بالإرسالية العربية The Arabian mission بمعاونة الأستاذ الدكتور جون لا نسنج John Lansing الذي يعتبر الأب الروحي للإرسالية التي اعتمدتها الكنيسة الإصلاحية بعد خمس سنوات من إنشائها عام ١٨٨٩.

انطلق زويمر إلى المدن العربية مارًا بالقاهرة، وجدة، وعدن، والبصرة، وغيرها من المدن إلى أن استقر في البحرين والتي قضى معظم حياته فيها، فألف الكتب، وعالج المرضى، وباع الكتاب المقدس.

- أسس جريدة العالم الإسلامي التنصيرية، وظل محررًا لها لمدة سبع وثلاثين سنة.
- عمل أستاذًا في التاريخ والدين والبعثات المسيحية اللاهوتية في جامعة برنيستون عام ١٩٢٩ حتى تقاعد عن العمل الرسمي عام ١٩٣٧ [٢]، ولكنه

---

(1) Islam: A challenge to Faith. P. 185 – 186.
(2) Samuel Zwemer, Wikipedia.org.

استمر في رسالته التي شغلت معظم حياته يلهب حماس المنصـــرين مـــن خلال كتاباته، فتراه يقول:

"The time is ripe for a worldwide spiritual crusade for the conquest of Islam. The prophetic dreams of Raymund Lull and Henry Martyn await fullfillment …… Shall we take up that cry in a nobler crusade with the sword of the spirit?

Where Christ was born, Mohammed's name is called from minarets five times daily, but where Mohammed was born no Christian dares to enter …… Shall we not arise and win back The lost kingdom" (1).

"لقد حان الوقت لحملة صليبية روحية عالمية لغزو الإسلام، فإن الأحلام التنبؤية لكلٍ من ريموند لول، وهنري مارتن تنتظر التحقيق، ألا يمكن أن نفهم هذه الصرخةَ – يعني الحملات الصليبية، بحملة صليبية أكثر نبلاً تحمل سيف روح القدس؟ فحيث ولد المسيح، ينادي باسم محمد من أعلى المآذن خمس مرات يوميًا، بينما لا يجرؤ مسيحي أن يدخل حيث وُلد محمد .... ألا ننهض لنسترد المملكة المفقودة؟".

وفاتـــــه:

يقول الأستاذ حمد عبد الله (٢)

"ظل زويمر يلقي محاضراته الدينية قدر المستطاع، وبينما كان يلقي إحدى الخطب على مجموعة من الحضور في الكنيسة المشيخية الأولى بمدينة سيكنيكندي بولاية نيويورك في يونيو ١٩٥١م، خرَّ على الأرض فجأة. تسارع الحضور لمساعدة زويمر على النهوض، وُطلبت سيارة الإسعاف التي نقلته إلى أقرب مستشفى حيث مكث فيها لمدة ٣ أسابيع إلى أن تعافى شيئاً ما.

---

(1) Islam: Achellange to faith P. 255.

(٢) كاتب وباحث بحريني له عدة اهتمامات في التاريخ والعلوم الإنسانية بما في ذلك تاريخ البحرين، ينتسب لجمعية Golden Key الأمريكية، ألف "صموئيل زويمـــر: لقـــاء المســـيحية بالإســـلام، استعرض فيه محطات من حياته.

وهكذا أخذ الموت يدغدغ روح زيمر تدريجيًا وبدأ الإعياء واضحًا عليه، وأثناء قيامه بإلقاء محاضرة مطولة بسبب غياب المحاضر الأول عن الحفل في ١٦ فبراير ١٩٥٢م بولاية نيويورك بمناسبة تجمع الزمالة المسيحية المختلطة (Inter – varsity Christian Fellowship) تعرض في اليوم التالي إلى نوبة قلبية تم نقله على إثرها إلى المستشفى المشيخي (Pres byterain Hospital) وبعد مكثه فترة من الوقت للتعافي ظن زويمر أنه قد تعافى بالكامل، فذهب لإلقاء محاضرة بسيطة [١] أخرى في مركز هاركنس للنقاهة، ولكن حالته الصحية ازدادت سوءًا بعد المحاضرة، وبدأ ينازع الموت حتى أتاه أمر الله فتوفى يوم الأربعاء ٢ أبريل ١٩٥٢م.

لقد كان صموئيل زويمر محط اهتمام الموافق والمخالف له، وذلك للدور الذي كرَّس حياته من أجله، ولذلك كثر ذكره في كتاباتهم ما بين مادح له لجهوده التبشيرية، ومبيِّن للدور الذي لعبه، ومن أقوالهم عنه:

١- مستشرق مُبشِّر اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤسس مجلة "العالم الإسلامي" الأمريكية التبشيرية، مؤلف كتاب "الإسلام تحد للعقيدة"، وتقديرًا لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفًا باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين د. محمد البهي"[٢].

٢- رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين، ورئيس جمعيات التنصير في الشرق الأوسط، دخل البحرين عام ١٨٩٠م، ومنذ عام ١٨٩٤م قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل "الموسوعة الميسرة"[٣].

٣- "وبين المشتركين في المؤتمر القسيس (زويمر) – الذي تقول عنه المجلة الفرنسية: إنه الرجل الذي لا يُهزم لأنه درس الإسلام سنين طويلة بعد أن

(١) هكذا، قال ابن فارس، الباء والسين والطاء، أصل واحد، وهو امتداد الشيء، في عرض أو غير عرض، ... والبسطة في كل شيء: السَّعة. أ. ه. (مقاييس اللغة (٩٢)، فالأولى أن يقال: وجيزة ، ثم وجدت المعجم الوجيز أقرها ، والكتاب مطبوع طبعة فاخرة، ومع ذلك فلا تكاد تخلو صفحة من الأخطاء النحوية والإملائية.

(٢) المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام (٢٤). مطبعة الأزهر.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٦٦٦/٢).

عاش سنين أطول بين الشعوب الإسلامية، التي يحبها حبًّاً جمًّــاً!" "الفريــد لوشاتيليه" (١).

4- "None Through all the centuries of Christian missions to Moslems has deserved better than Dr. Zwemer designation of Apostle to Islam" " J. Christy Wilson" (2).

"لا تجد أحدًا خلال سائر قرون الإرساليات المسيحية للمسلمين يستحق أن يُعين كرسول إلى الإسلام أكثر من الدكتور زويمر". "جي. كريستي ويلسون".

٤- يقول زويمر عن نفسه:

"I am now in my 81st year and have spent sixty years thinking of the Moslem world and its problems" (3).

"أنا الآن في الواحد والثمانين من عمري، ولقد قضيت ستين عامًا أُفكِّــر في العالم الإسلامي ومشاكله".

٥- "ولكثرة ساعاتِ عملِ زويمر وطولها وصفه صديقه **جير دنير** بـــ "محــركٌ بُخاري ذو بنطال". " حمد عبد الله" (٤).

مؤلفاته:

خلَّف صموئيل زويمر العديد من المؤلفات التي قــام مــن خلالهــا بــدور المستشرق الباحث في الدين الإسلامي، وقد غدت هــذه المؤلفــات مــن كثرتهــا موسوعةً متكاملة عن الإسلام كُتبت بلسان غربي تهــدف فـــي نهايــة المطــاف للوصول لأغراض معينة.

١- "شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام" (Arabia: the Cradle of Islam)، ١٩٠٠م (٥).

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي (١٤٤)، نقلها للعربية محب الدين الخطيب، والمقصود هنــا مــؤتمر "لكناو" الذي عقد في عام ١٩١١.

(2) J. Christy Wilson: Apostle to Islam. A biography of S. Zwemer P. 5.

(3) Ibid: P. 240.

(٤) صموئيل زويمر: لقاء المسيحية بالإسلام (٢٠٠) مرجع سابق.

(٥) جاء ترتيب المؤلفات بحسب تسلسل تأليفها التاريخي.

٢- "ريموند لول: المبشر الأول للمسلمين" (Raymond Lull: First Missionary to the Moslems) ١٩٠٢م.

٣- "عقيدة المسلم في الله" (The Moslem Doctrine of God) ١٩٠٥م.

٤- "العالم المحمدي اليوم" (The Mohammedan World Today) ١٩٠٦م، بالاشتراك مع مجموعة من المنصرين.

٥- "العالم الإسلامي" (The Moslem World) ١٩٠٧م.

٦- "الإسلام: تحدٍ العقيدة" "Islam: A challenge to Faith" ١٩٠٧م.

٧- أخواتنا المسلمات: "Our Moslem sisters" ١٩٠٧م.

٨- المسيح عند المسلمين: "The Moslem Christ" ١٩١٢م.

٩- "رحلات متعرجة في بلاد الإبل" "Zigzag journeys in the camel country" ١٩١٢م.

١٠- "محمد أم المسيح" "Mohammed or Christ" ١٩١٠م.

١١- الطفولة في العالم الإسلامي "Childhood in the Moslem world" ١٩١٠م.

١٢- انهيار الإسلام: "The Disintegration of Islam" ١٩١٦م.

١٣- تأثير الاعتقاد في الأرواح على الإسلام "The Influence of Animism on Islam" ١٩٢١م.

١٤- "باحث مسلم عن الله: حياة الغزالي: "A Moslem seeker after God, life of Al Ghazali" ١٩٢١م.

١٥- "قانون الردة في الإسلام" "The Law of Apostasy in Islam" ١٩٢٣م.

١٦- "مجد الصليب" "The Glory of the cross" ١٩٢٨م.

١٧- "عبر العالم الإسلامي" (A cross the World of Islam) ١٩٢٩م.

١٨- "المَعْلَم الذهبي" "The Golden Milestone" ١٩٢٩م.

١٩- "العرش المنفرد" "The Solitary Throne" ١٩٣٧م.

٢٠- "الصليب فوق الهلال" "The Cross above the Crescent" ١٩٤١م[١].

وأما مقالاته التي ظهرت في دورية "العالم الإسلامي" فقد جاوزت المائة[٢].

ومما لا شك فيه أن الكلام عن مؤلفاته يجرنا للحديث عن مصادر زويمر في دراسة الإسلام، وهذا ما سنتناوله في المبحث الثاني.

---

(١) ذكر مؤلف "صموئيل زويمر: لقاء المسيحية بالإسلام". أربعين مؤلفًا، ولكنني اقتصرت على ما وقعت عليه يدي، وله علاقة قوية بالموضوع.

(٢) لقاء المسيحية بالإسلام (٢٤٧) مرجع سابق.

المبحث الثاني

مصادر زويمر في دراسة الإسلام

لا شك أن البحث في قضية المصادر مهم جدًا لما له من أثر في بيان شخصية المفكر، وكذلك مسألة التأثير والتأثر، والمصادر التي استعان بها زويمر لا يصعب الوقوف عليها لدى الباحث، وذلك لما درج عليه زويمر من الإشارة إليها ويمكننا تقسيم الروافد التي استعان بها زويمر إلى الأقسام التالية:

١- **مصادر عامة:** لا ينحصر تأثيرها في مسألة معينة، بل تشمل مناحي كثيرة.

٢- **مصادر خاصة:** وهي التي استعان بها لغرض معين ينحصر تأثيرها فيه.

أولاً: المصادر العامة:

(١) القرآن الكريم:

وهو مصدر أساسي لدراسة الإسلام، وقد اعتمد زويمر على ترجمة هنري بالمر[١] للقرآن، وهي ترجمة إنجليزية تأثرت كثيرًا بأول ترجمة لاتينية للقــرآن، ترجمة جورج سيل (١٦٩٧ – ١٧٣٦) [٢]، ومما ينبغي أن يُعلم أن ترجمة القرآن لم تكن لمجرد المعرفة الخالصة أو الفهم المجــرد أو التفاعــل أو التكامــل مــع

---

(١) إدوارد هنري بالمر (١٨٤٠ – ١٨٨٢): مستشرق ومكتشف إنجليزي، كان عمــيلاً للاســتعمار البريطاني، وقد أشار زويمر لهذه الترجمة في مواضع منها:

The Muslin Doctrine, P. 8.
Islam: A challenge to Faith. P. 14.
Moslem Christ. P. 9.

(٢) أكرم ضياء العمري: الاستشراق والقرآن، ط. دار روايا للدراسات والبحوث، الدوحة، ط الأولى، ١٤٣٤ ه. ٢٠١٣م، وقد ذكر جورج سيل في مقدمة ترجمته للقرآن بــأن الهــدف منهــا تســليح النصارى البروتستانت في حربهم التنصيرية ضد الإسلام والمسلمين. انظر: أحمد عبــد الحميــد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، ص ٣٥، المنتدى الإسلامي، لندن، ١٤١١ه.

الآخرين، بل تمت بغرض معرفة المَواطن التي يمكن من خلالها الوثــوب منهــا عليه، أو البحث عما يمكن أن يكون نقاط ضعف يتم التركيز عليها لقهر الآخر [(١)].

ومع أنني لم أقف على هذه الترجمة إلا أن معرفة حال الترجمــة اللاتينيــة الأولى التي قام بها "بطرس الموقر" عام ١١٤٣، والتي قامت ترجمة بالمر عليهــا يوضح لنا بجلاء حال ترجمة بالمر، فهي ترجمة مشــوهة كمــا يقــول أســتاذنا الدكتور/ عبد الراضي في دراسته حول أصالة القرآن الكريم وموقف النصــارى منه [(٢)].

ومما يزيد الأمر وضوحًا – كمثال – ما ذكره زويمــر مــن أن ترجمــة بطرس الموقر تمت بدافع تنصيري وبالتالي صارت ترجمة بالمر ترجمة مشــوهة حملت الأباطيل والمطاعن ضد القرآن ومن ذلك ما سيأتي نقلُه عن زويمــر مــن زعمه أن عين الرب في القرآن عبارة عن مجهر Telescope، وأن القرآن مليء بالخرافة والأخطاء، وغير ذلك مما يوضح لنا حال هذه الترجمة [(٣)].

(٢) السنة النبوية:

اعتمد زويمر في دراسته على كتاب (مشكاة المصابيح) للخطيب التبريزي، وهو كتاب جمع فيه متون الأحاديث النبوية، وكان متأثرًا في جمعــه لــه بكتــاب "المصباح المنير" للإمام البغوي، وقد اعتمد زويمر ترجمة كابتن ماتثيو Captain Matthew التي طُبعت في نيودلهي [(٤)] وسبب اعتماده عليها على حد قوله أنهــا شملت أصح الأحاديث بما فيها أحاديث البخاري ومســلم، والملاحــظ أن مــنهج

---

(١) عبد الراضي عبد المحسن، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم (١٦٤) مرجع سابق.

(٢) نفس المرجع (١٦٧).

(3) S. Zwemer. The translation of the Quran, The muslim world, P, 292. (1973)

(٤) أشار زويمر لذلك في مواضع منها:

- The Moslim Doctrine of God. P. 8.
- Moslem Christ P. 130 – 197.
- Islam: A challenge to faith P. 128 – 264.
- The Cross above the Crescent P. 20.

زويمر بالنسبة للسنة النبوية قائم على الانتقاء لما يؤيد رأيه كما سيظهر في الدراسة.

(٣) الكتاب المقدس(١):

ويتكون من قسمين:

١- **العهد القديم Old Testament:** وهو مقسم إلى أربع مجموعات تضم تسعة وثلاثين سفرًا على النحو التالي:

- مجموعة تضم التوراة أو الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام.
- مجموعة تاريخية تضم اثنا عشر سفرًا.
- مجموعة شعرية، أو أسفار الأناشيد. وهي خمسة أسفار.
- أسفار الأنبياء وتضم سبعة عشر سفرًا.

٢- **العهد الجديد New Testament:** والمقصود به الأسفار الخاصة بالنصارى التي يقدسونها إلى جانب أسفار العهد القديم: ويعتقدون أنها موحى بها لأصحابها من الله بمعانيها لا بألفاظها: ويتكون من سبعة وعشرين سفرًا وهي:

- الأناجيل الأربعة.
- رسائل بولس المقدسة.
- سفر أعمال الرسل.
- رؤيا يوحنا اللاهوتي.

ثانيًا: المصادر الخاصة:

ويمكن تقسيمها إلى نوعين:

مصادر إسلامية:

١- كتب التفسير:

اعتمد زويمر في تفسير القرآن على ثلاثة تفاسير هي تفاسير البيضاوي (ت٦٨٥هـ) والمسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ)

---

(١) محمد عبد الله الشرقاوي، بحوث ودراسات في مقارنة الأديان، ص ١٣، ط. دار الجيل، بيروت، الطابعة الثانية، ١٩٩٠.

المسمى بالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وتفسير الجلالين لجلال الدين المحلي (ت٨٦٤هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، وقد أشار إلى ذلك في أكثر من موضع [١]. والملاحظ أن هذه التفاسير ليست مما يعتمد عليها المسلمون اعتمادًا كبيرًا في فهم مراد الله تعالى، لما شابها من البدع، وكذلك لأنها لم تجعل عمدتها في التفسير حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقول أصحابه ومن تبعهم بإحسان – رضى الله عنهم – بل عمدتها علم الكلام والمقدمات العقلية فهي أصول عندهم يقدمونها على النقل إن ظنوا تعارضًا بينهما! وكذلك اعتمد على الطبري (ت ٣١٠هـ) ولكن بشكل قليل[٢].

٢ – شروح الحديث والسيرة:

اعتمد زويمر على فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ)، وكذلك شرح البخاري للحافظ العيني، وشرح الموطأ للزرقاني كما أشار إلى ذلك في كتاب "تأثير الاعتقاد في الأرواح على الإسلام".

The influence of Animism of Islam. P. 106.

وأما في السيرة، فقد اعتمد زويمر على سيرة ابن هشام، وتاريخ الطبري وطبقات ابن سعد كما أشار إلى ذلك في "الصليب فوق الهلال" [٣] وفي "حد الردة"[٤]، وكذلك "فتوح البلدان" للبلاذري [٥]، وكذلك كتاب قصص الأنبياء المسمى "العرائس" لأبي إسحاق الثعلبي، وهو كتاب مليء بالأخطاء والأخبار الواهية على ما هو مبين في موضعه في هذه الرسالة.

(١) منها على سبيل المثال:

- The Moslem Doctrine of God. P. 24.
- The Moslem Christ. P. 9.
- Islam: A challenge to Faith, P. 264.
- The Law of Apostasy in Islam, P. 34.

(٢) أشار إليه في: Cross above Crescent, P. 91

(3) P. 62.
(4) P. 77
(5) Ibid, P. 77.

وكذلك هناك كتب مفردة لبعض علماء الإسلام في الفقه والسلوك نقل منها زويمر مثل "منهاج الطالبين" للنووي [١]، و "الوجيز" للغزالي كما في "حد الردة"[٢]، و"إحياء علوم الدين"، له أيضًا كما في "رحلات متعرجة في بلاد الإبل"، و"تأثير الأرواح"[٣].

المصادر الأجنبية:

وهذه المصادر أكثر من أن تحصى في كتابات زويمر، فهو كثير النقل عنها مع الإشارة لاسم الكتاب ومؤلفه، بل وطبعة الكتاب في كثير من المواضع[٤]، وهذا يدل على سعة اطلاع زويمر على ما كتبه من سبقه أو عاصره عن الإسلام، ومما أتاح له ذلك أنَّه قضي أكثر من ستين سنة في دراسة العالم الإسلامي ومشاكله على حد قوله[٥].

وممن أكثر زويمر النقل عنهم:

١- **تسدال:** من خلال كتابه (المصادر الأصلية للقرآن)، وقد وصف زويمر هذا الكتاب بأنه خلاصة سنوات دراسة عدة، وأنه أفضل كتاب في هذا الموضوع.

٢- **وليام موير:** من خلال كتابه (حياة محمد)، ووصفه زويمر بأنه يقع في أربع مجلدات وهو أفضل كتاب مؤلف باللغة الإنجليزية.

٣- **كويل:** من خلال كتابه (محمد والمحمدية)، وهو دراسة نقدية تمثل أفضل سيرة مختصرة من وجهة نظر تبشيرية على حد قول زويمر.

٤- **بالجراف:** من خلال ما كتبه عن صفات الرب في كتابه (قصة رحلتي إلى جزيرة العرب خلال سنة) فقد رسم صورة كاملة لرب معتنقي المذهب

---

(1) The influence of Animism, P. 106.
(2) P. 35
(3) P. 106.

(٤) انظر على سبيل المثال:
- أثر الاعتقاد في الأرواح، ص ١٠٦.
- الإسلام: تحدٍ للعقيدة، ص ٢٧١.

(5) J. Christy Wilson: Apostle to Islam. A biography of S. Zwemer. P. 5.

الوهابي على حد قول زويمر وقد أكثر زويمر من النقل عنه خاصة في كتابه "The Moslem Doctrine of God".

٥- **توماس أرنولد:** من خلال كتابه "The preaching of Islam" فهو أشمل وأفضل كتاب تناول انتشار الإسلام منذ ظهور إلى اليوم مع تبرئة المؤلف للإسلام من القول بانتشاره بالسيف على حد قول زويمر (١).

أضف إلى ما سبق:

جولدزيهر، وبوثورث، وسبرنجر، وويل جوستاف، ومارجليوث، وهاينز، ودكتور مولر، وكلارك، وهاميلتون، وغير هؤلاء كثير جدًا، وهذا إن دلَّ فإنما يدل كما قلنا على موسوعية الرجل وسعيه الحثيث للوقوف على ما كُتب حول الإسلام.

(1) S. Zwemer, Islam: A challenge to faith. P. 27.

المبحث الثالث

الاستشراق وعلاقته بالاستعمار والتنصير

"The Christian missionary should first of all thoroughly know the religion of the people among whom he labours, ignorance of the Koran, the traditions, the life of Mohammed. The Moslem conception of Christ, social beliefs and prejudices of Mohammed which are the result of their religion. Ignorance of these is the chief difficulty in work for Moslems" (1).

"قبل كل شيء، يجب على المبشر المسيحي أن يعرف تمامًا دين الناس الذين يعمل بينهم، فالجهل بالقرآن، والسنة، وحياة محمد، وتصور المسلم للمسيح، والمعتقدات الاجتماعية، وكذلك تعصب المحمدين والذي هو نتيجة لدينهم، الجهل بمثل هذه الأشياء هو العائق الرئيس في العمل بين المسلمين".

بهذه الكلمات التي كتبها زويمر يتضح لنا جليًا الدور الخطير الذي يقع على عاتق هذه الطبقة من الأوربيين، والتي عُرفت فيما بعد باسم المستشرقين Orientalists، تلك الطبقة التي تعتبر أهم وأعظم طبقة تمخضت عنها اليقظة الأوربية، فهم جند المسيحية، الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر، لا هَمَّ لهم ليلاً ولا نهارًا إلا حيازة كنوز علم دار الإسلام بكل سبيل، وقد حددوا أهدافهم ووسائلهم لكي يتجنبوا الأخطاء، وبما أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلابد أولاً من تحديد معنى الاستشراق، ومتى بدأ؟ وما علاقته بالاستعمار والتنصير؟ إلى غير ذلك من الأمور التي لها علاقة بموضوعنا.

الاستشراق Orientalism:

تنوعت عبارات من تكلم عن الاستشراق في بيان حده ، فلم تكن عبـــارتهم واحدة، وخلاصة كلامهم أن الاستشراق فعله "شرق"، وبابه "نصر" و "دخل" كمـــا

---

(1) The Moslem Christ P. 183.

في معاجم اللغة، و "شرَّق": أخذ في ناحية المشرق، وشجرة شرقية: تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار [١].

وأما من جهة الاصطلاح، فالاستشراق هو طلب علوم الشرق وآدابه لأهداف مختلفة، ودوافع شتى، تاريخية واقتصادية ودينية وعلمية، ونعني بالمستشرقين: الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية [٢]، ولذلك جمع التعريف الذي جاء في الموسوعة الميسرة بين الأمرين، فجاء تعريف الاستشراق كالتالي:

""تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل من يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم، وتاريخهم، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته، وثقافته".

فالاستشراق أخذ صورة البحث العلمي وادعى لبحثه الطابع العلمي الأكاديمي واستخدم في ذلك الكتاب والمقال في المجلات العلمية وكرسي التدريس في الجامعة والمناقشة في المؤتمرات العلمية العامة [٣].

إن نظرة متفحصة لأعمال المستشرقين ودوافعهم تحملنا على القول بأن المستشرقين قوم اتجهوا نحو الشرق الإسلامي، قد لبسوا لجمهوره المسلمين كل

---

(١) الصحاح للجوهري (٥٩٤) ط. دار الحديث، المعجم الوسيط (٩٩/١)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط. الثالثة.

(٢) انظر في ذلك: – أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي (١٧)، ط. الدار المصرية اللبنانية، ط. الأولى ١٩٩٦.

– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي (٥) ط. دار الإرشاد بيروت، ط. الاولى.

(٣) انظر: – د. عبد الراضي عبد المحسن، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم (١٥٩)؛ وكذلك: الموسوعة الميسرة (٦٨٧/٢)، موسوعة الملل والأديان (٤٣/٢)، dorar.net، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين (٩٠) للدكتور عبد الرحمن عميرة، وقد أفاض في بيان الجذر اللغوي لهذه الكلمة، وكذلك رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (٤٨)، مرجع سابق.

زي: زي التاجر، وزي السائح، وزي الصديق الناصح، وزيَّ العابد المسلم المتبتل يستخرجون كل مخبوء كان عنهم من أحوال دار الإسلام، يحملونه معهم لدراسته والعكوف عليه، ثم كتبوا لجماهيرهم آلافًا من المقالات، ومئات من الكتب (١)، تناولت كل ما يخص أمم دار الإسلام في ماضيها وحاضرها، كتبوا في القرآن، وفي حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسيرته، وفي تفسير القرآن، وفي الفقه، وفي تفاصيل شرائع الإسلام، وفي تاريخ العرب المسلمين، وفي تراجم رجال الإسلام، وفي الفرق الإسلامية، إلى غير ذلك مما يخص المسلمين، ولكن لهدف واحدٍ لا غير في الأغلب الأعم.

هذا الهدف هو تصوير الثقافة العربية الإسلامية وحضارة العرب والمسلمين، بصورة مقنعة، للقارئ الأوربي، وبأسلوب يدل على أن كاتبها قد خبر ودرس وعرف وبذل كل جهد في الاستقصاء، وعلى منهج علمي مألوف لكل مثقف أوربي، ليصل إلى صورة مؤداها أن هؤلاء العرب المسلمين هم في الأصل قوم بُداة جهَّال لا علم لهم كان، جياع في صحراء مجدبة، جاءهم رجل من أنفسهم فادعى أنه نبيٌّ مرسل، ولفق لهم دينًا من اليهودية والنصرانية، فصدقوه بجهلهم واتبعوه، ولم يلبث هؤلاء الجياع أن عاثوا بدينهم هذا في الأرض يفتحونها بسيوفهم، حتى كان ما كان ودان لهم من غوغاء الأمم من دان، فلو أنَّ المستشرق قصر جهده على البحث في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي بغية العلم والمعرفة لَما نازعه أحد في عمله، ولكن هناك موطن للنزاع لابد من تحديده للوقوف على حقيقة الأمر.

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر:

"فهو – أي المستشرق – حين ينظر في ثقافة أمة أخرى غير أمته، إنما ينظر فيها لأحد أمرين.

- إما أن ينظر ليكسب منها شيئًا لأمته وثقافته.
- وإما أن ينظر فيها ليناظر ويناقش.

وكلا الأمرين حق لا ينازعه فيه منازع، وفي كلا الأمرين هو واقع في مأزق ضيق: مأزق اللغة، ومأزق الثقافة، وإن يكن قد فعل الأمرين جميعًا خدمة

(١) وكتابات زويمر خير مثال على ذلك.

لأمته، فهو حق له، وإنما قد جاء فدخل مدخلاً أخر من غير هذين البابين، ودخوله من هذا الباب هو موطن النزاع بيننا وبينه، دخل لا مستفيدًا، ولا مناقشًا، بل دخل باحثًا دارسًا عليه طيلسان العلم في ميدان له شروط لازمة لا تختل، دخل في لغة هو عنها هجين كلَّ الهُجنة، وفي ثقافة هو غريب عنها كل الغربة، ودخوله هذا عمل مستشنع في ذاته، لأنه اجتراءٌ على دخول هذا الميدان بغير حقه، ولا يسمح بمثله في ثقافة أمته هو نفسه أ.ه بتصرف يسير[١].

وقال قبل ذلك:

"والمستشرق فتى أعجمي، ناشئ في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها حتى استوى رجلاً في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين، مؤهلاً أن ينزل في ثقافته هو، ولكنَّ هذا الفتى يتحول فجأة عن سلوك هذا الطريق ليبدأ في تعلم لغة أخرى – هي العربية هنا –، مفارقة كل المفارقة للِّسان الذي نشأ فيه صغيرًا، ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعًا، يدخل قسم اللغات الشرقية في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلُّم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوَّز، في العربية، ويتلقى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضر في آداب العرب أو أشعارها أو تاريخها أو دينها أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرج لنا "مستشرقًا" يفتي في اللسان العربي [٢]، والتاريخ العربي، والدين العربي!! عَجَبٌ، وفوق العَجَب أ.ه. [٣].

هناك أمثلة كثيرة تبين صدق ما سبق ذكره، ولكني أكتفي هنا بمثال واحد منقول عن زويمر حين يفتي في اللسان العربي.

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (٧٥)ط. الخانجي. القاهرة. الطبعة الثانية١٤٢٧/٢٠٠٦

(٢) انظر على سبيل المثال ما سطره زويمر في الكلام على اسم الله "الصمد"
The Moslem Doctrine of God. P. 27

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (٦٦)، مرجع سابق.

يقول صموئيل زويمر عن اسم الجلالة (اللّه):

"Achristian says" there are twenty different views as to the derivation of this name of the supreme. The most probable is that its root is "ilah" from the word "ilah" to worship. When we open the pages of feroz abadi, Beidhawi or Zamakhshari and read some of these twenty other derivations, we find ourselves at the outset before an unknown God" (1) .

"قال مسيحي: "هناك عشرون وجهة نظر مختلفة بالنسبة لاشتقاق هذا الاسم الأعلى" الله"، وأكثرها احتمالاً أن جذرها اللغوي هو "إلاه" من الكلمة "ألهِ" أي: عبد. عندما نفتح صفحات فيروز أبادي أو البيضاوي وكذلك الزمخشري ونقرأ بعضًا من هذه الاشتقاقات العشرين الأخرى، نجد أنفسنا بداية أمام إله مجهول".

إن هذه الكلمات التي نطق بها زويمر وسطَّرها بنانه تجعلنا نسأل سؤالاً سبقنا إليه الأستاذ محمود شاكر؛ "كيف يجوز في عقل عاقل أن تكون بضع سنوات قلائل كافية لطالب غريب عن اللغة، وهذه حاله، أن يصبح محيطًا بأسرار اللغة وأساليبها الظاهرة والباطنة، وبعجائب تصاريفها التي تجمعت وتداخلت على مر القرون البعيدة في آدابها، وأن يصبح بين عشية وضحاها مؤهلاً للنزول في الميدان؟!

فأعجبُ العجب إذن، أن يَعُدَّ أحدٌ شيئًا ما كتبه "المستشرقون" في لغتنا وثقافتنا وتاريخنا وديننا، داخلاً في حدِّ الممكن، وأن يراه متضمنًا لرأي حقيق بالاحترام، والتقدير، فضلاً عن أن يكون عملاً علميًا، أو بحثًا منهجيًا نسترشد به نحن في شئون لغتنا وثقافتنا وتاريخنا وديننا. أليس هذا شيئًا لا يطاق سماعه ولا تصوره؟ أليس غريبًا جدًا أن لا يكون لمثل هذا شبيه البتة في أي لغة وأي ثقافة كانت في الأرض؟ وقلت يومًا: "أرأيت قط رجلاً من غير الإنجليز أو الألمان مثلاً، مهما بلغ من العلم والمعرفة كان مسموع الكلمة في آداب اللغة الإنجليزية

(1) The Moslem Doctrine of God. P. 23 – 24.

وخصائص لغتها، وفي تاريخ الأمة الإنجليزية، وفي حياة المجتمع الإنجليزي، يدين له علماء الإنجليز بالطاعة والتسليم؟!

أليس غريبًا أن يكون غير الممكن ممكنًا في ثقافتنا نحن وحدنا، دون سائر ثقافات البشر قديمها وحديثها؟ غريب عجيب لا محالة أ.ه (١).

متى بدأ الاستشراق في العالم الإسلامي:

يُعد القرار الذي اتخذه مجمع فيينا الكنسي (١٣١١م) بمثابة اللبنة الأولى للدراسات الاستشراقية حيث أنشأ خمسة كراسي لتعليم اللغة العربية في أكبر جامعات أوربا وعين للتدريس فيها مدرسين كاثوليكيين، وقد أثمر هذا القرار عن ظهور أكبر مؤسستين تنصيريتين للعمل ضد الإسلام، والقرآن حتى اليوم وهما: التبشير والاستشراق، والعلاقة بينهما وطيدة جدًا حيث يُمد الثاني الأول بما يحتاجه من معلومات وكتب ووثائق وخرائط ليقوم بدوره على أكمل وجه (٢).

لقد كانت هذه المرحلة نتاج أمور سبقتها حاول الصليبيون من خلالها السيطرة على العالم الإسلامي ،أبرزها الحملات الصليبية (٣) The Crusades التي بدأت سنة ١٠٩٦م، (٤٨٩ه)، أي بعد ستة قرون من سقوط الإمبراطورية الرومانية، في خلالها كان الإسلام قد ظهر بدينه وثقافته وغلب على رقعة ممتدة من حدود الصين إلى الهند، إلى أقصى الأندلس، إلى قلب أفريقية، وأنشأ حضارة نبيلة متماسكة متكاملة، بعد أن ردَّ النصرانية وأخرجها من الأرض، وحصرها في الرقعة الشمالية التي فيها هذا الهمج الهامج الذي كان يعيش فيما يعرف اليوم باسم "أوربا"، ولخوض المعركة انطلق الرهبان يجوبون شمال أوربة ليدخلوا الناس في

---

(١) محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (ص٧٠)، مرجع سابق.

(٢) عبد الراضي محمد عبد المحسن، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم (١٥٧) نقلاً عن:
Francis Dvonrnik, The Ecumenical Councils, Pp. 65 – 66.

- عبد اللطيف طيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية (ص٤٧٧)، وكذلك عبد الراضي عبد المحسن، الوحي القرآني في الفكر اللاهوتي (ص٣) بدون تاريخ.

(٣) كان بدأ الحملات الصليبية بقوى شعبية هيجها بطرس الناسك وأمثاله من الدعاة النصارى يختلقون الأكاذيب أنظر: العدوان الصليبي على الشرق الإسلامي لأستاذنا الدكتور جمال فوزي (٢٦)، د. عبد الراضي عبد المحسن، المرجع السابق، ص ١٤٦.

النصرانية، ويُعدوهم لخوض المعركة العظمى بين الإسلام و النصرانية، وكان جزءًا من هذا الإعداد: تبشيع الإسلام في عيونهم، وأن أهل الإسلام وثنيون، وأن رسول الإسلام كان وكان... فلم يتركوا بابًا من الكذب والتمويه والبشاعة إلا دخلوه.

وجاءت سنة ١٠٩٦م، (٤٨٩ه) وجُيشت الجيوش بقيادة الرهبان وملوك الإقطاع وبدأت الحرب الصليبية تكتسح ثغور الإسلام وعواصمه الشمالية وتسفح الدماء المسلمة، واستمرت قرنين كاملين، كانت فرحة رائعة، ولكنها انتهت بالإخفاق واليأس من حرب السلاح (١)، وخمدت الحروب تقريبًا بين الإسلام والصليبية نحو قرن ونصف ثم وقعت الواقعة.

فقد دخل السلطان العثماني محمد الفاتح حصن المسيحية الشمالية المنيع الشامخ، مدينة القسطنطينية، فغير اسمها إلى "إسلام بول"، بل وجعلها عاصمة لدولته التي أصبحت تسمى بالإمبراطورية العثمانية نتيجة لما وصلت إليه من مجد وعظمة، فانتشر الخبر كالبرق في أرجاء أوربا واهتزت دنيا المسيحية الأوربية هزة لم تعرف مثلها قط.

لقد ازداد الغضب والحماس، ورسخ في القلوب الإصرار على دفع غائلة الإسلام، وعلى التماس قهره بكل وسيلة ومن كل سبيل بعد أن أيقنوا أن حمل السلاح لا يُجدي، بل يزيد المسلمين قوة وصلابة، لقد كانت هذه البغضاء المشتعلة هي التي دفعت أوربا إلى الخروج من هذا المأزق، فأيقظت الهمم يقظة لا تعرف الإغماض، فخرجت طبقة إصلاح خلل المسيحية الشمالية مرة أخرى، فخرج الراهب الألماني مارتن لوثر، والفرنسي جون كلفن، وخرج أيضًا صراع اللغات واللهجات المتباينة طلبًا لاستقرار لغة موحدة لكل إقليم، وإخراج سيطرة اللاتينية العتيقة من طريق الرهبان والعلماء والكتاب.استمرت هذه اليقظة لتخرج أوربا بأسرها من العصور المظلمة، فبدأت كفة المسيحية ترتفع بهذه اليقظة الشاملة، في الوقت الذي انخفضت فيه كفة المسلمين بسبب غفلتهم الهائلة الشاملة التي أحدثها

(١) د. محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٤٣. ط. مكتبة وهبة.

غرورهم بالنصر القديم وفتح القسطنطينية، فشـــال الميـــزان [١]، فكانـــت فرحـــة محسوسة من جانب، وكانت غفلة لا تُحس من جانب.

خرجت في هذا الوقت أعداد وافرة من رجال يجيـــدون اللســـان العربـــي، وألسنة دار الإسلام الأخر، ركبوا البر والبحر، وزحفوا زرافات ووحدانا في قلـــب دار الإسلام خرجوا – كما يقول الأستاذ شاكر [٢] – وفي القلـــوب حميـــةُ الحقـــد المكتَّم، وفي النفوس العزيمة المصممة وفي عيونهم اليقظة، وعلى الوجوه البشـــر والطلاقة – والبراءة، وفي الألسنة الحلاوة والخلابة والمماذقـــة [٣]، وقـــد صـــورَّ زويمر حال الغزاة الجدد.

يقـول صـمـوئيـل زويمـر:

"They need to understand that Christians are not their enemies. This can only by overcome by patience, kindness and the presentation of Christ as the only Redeemer" [4].

"**إنهم بحاجة لأن يفهموا أن المسيحيين ليسوا أعداءهم، وهذا الأمر يمكن التغلب عليه فقط بالصبر، والعطف وتقديم المسيح على أنه المخلص الوحيد**".

لقد توغل هؤلاء يستخرجون كل مخبوء كان عنهم من أحوال دار الإسلام، فلم يتركوا شيئًا إلا خبروه وعجموه، وفتشوه وسبروه، ومن هؤلاء، ومن خبرتهم، ومن الآلاف المؤلفة من مخطوطات كتب دار الإسلام النفيسة خرجت أهم طبقة تمخضت عنها اليقظة الأوربية؟ أعني طبقة المستشرقين الكبار، وعلى علمهم وخبرتهم، وتجاربهم، رست دعائم الاستعمار – ورسخت قواعد التنصير.

لقد أكبَّ هؤلاء المستشرقون المجاهدون الصابرون بين جـــدران صـــامتة مغلقة على أكداس من الأوراق المكتوبة بلسان غير لسان قومهم يفرزونها ورقـــة ورقة، بصبر لا ينفذ وعزيمة لا تكل في كل علم ومعرفة وفن أفرزت عددًا غيـــر

---

(١) أي: ارتفعت إحدى كفتيه لحفتها (لسان العرب) (٥/٢٣٤) مادة: شول.

(٢) محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (٤٩)، مرجع سابق.

(٣) المصدر السابق (٥٣). والمماذقة: حلاوة اللسان وفصاحته مع الكذب (تاج العروس) مادة مذق.

(4) The Mohammedan World of To - day P. (16).

قليل من الكتب المطبوعة لتكون تحت يد كل دارس مستشــرق، وأنشــأوا كــذلك مجلات بكلِّ لسان من ألسنتهم، ينشر فيها كل مستشرق نتائج بحثه ودراسته، بــل تطور الأمر حتى صنعوا "دوائر المعارف الإسلامية"، وأنشأوا عددًا من الكراســي لتدريس [١] اللغة العربية، والعلوم الإســلامية منتجــين آلاف الكتــب والمعــاجم والبحوث المتطرقة لذكر العقيدة والسُّنة والشريعة والتاريخ، وما ذلك إلا لأهــداف تتضح في الفقرة التالية:

بين الاستشراق والاستعمار:

مما لا شكك فيه أن هناك علاقة وطيدة بين الاستشراق والاستعمار وهــذا الأمر أشار إليه وبرهن عليه كثير مــن البــاحثين حتــى كــاد أن يكــون مــن المسلمات[٢]، فالاستعمار الحديث يعتمد على المستشرقين بصورة فعالة في دراسة نفسية الشعوب، وعاداتها، وتقاليدها، وأفضل الوسائل للسيطرة عليها بأقــل قــدر ممكن من التكاليف، وكل ذلك من أجل تحقيــق دوافــع اســتعمارية واقتصــادية وسياسية، فالاستشراق يخدم المستعمر من خلال دراسة عقيدة وعــادات وأخــلاق ولغات وتاريخ وجغرافيا الشرق بغية معرفة مواطن القوة والضعف فأما مــواطن القوة فيضعفونها وأما مواطن الضعف فيتم اغتنامها.

وأما الجانب الاقتصادي فقد وجهت المؤسسات الغربية الاقتصادية بعــض من يهتمون بالدراسات الاستشراقية ليكونوا وسطاءهم ومستشاريهم فــي مهمــاتهم الاقتصادية بهدف الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية والمــوارد

---

(١) انظر: الاستشراق، د. مازن بن صلاح مطبقاني، المستشرقون والتنصير د. علي النملة، رســالة في الطريق إلى ثقافتنا، أ. محمود محمد شاكر، الإســلام والاستشــراق، د. محمــود زقــزوق، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د. إسماعيل علي محمد.

(٢) عبد الرحمن حسن الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص ٥٤، ط. دار القلم، دمشق. ط. الثانية.

- محمد عبد الله الشرقاوي، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، ص ٢٠، ط. دار الهداية.
- محمد علي إسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ص ٥٦، ط. دار الحكمة، ط. الثانية.
- عبد المتعال الجابري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ص ١٤٤، ط. مكتبة وهبه، القاهرة.

الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان، وإماتة الصناعات المحلية لتكون بلاد المسلمين بلادًا مستهلكة لا منتجة وهذا نوع استعمار أيضًا.

وأما الجانب السياسي فكثير من سفارات وقنصيليات هذه الدول لديها زاد جيد من الدراسات الاستشراقية من أجل تحقيق غايات سياسية ليسير العالم الإسلامي في أفلاكها[١]، وقد يعتمد بعض المفكرين العرب على هذه الدراسات في إثارة قضايا غريبة عن أصولهم العربية والإسلامية ولذلك لم يكن غريبًا أن يحتج زويمر بأمثال قاسم أمين ويستشهد بكلامه عن المرأة [٢]، وكذلك طه حسين، وعلى عبد الرازق وغيرهم [٣] ممن أثاروا قضايا هي في أصلها من بنات أفكار المستشرقين عملت على بث روح الفرقة وإضعاف الروح الإسلامية بين الشعوب فيسهل احتلال هذه البلاد عسكريًا وثقافيًا وهذا ما حدث بالفعل فتأثر كثيرون بهذه الأفكار إلى وقتنا هذا. لقد مهد ما قدمه المستشرق من دراسات عن العالم الإسلامي الطريق للمستعمر ليعلم كل صغيرة وكبيرة، ويؤكد هذا ما ذكره الأستاذ حمد عبد الله في كتابه عن قصة حياة زويمر من مؤازرة زويمر لجنود الاحتلال البريطاني، وتطوعه للعمل كقس ومستشار روحي للجنود، بل وجمعه للمعلومات السياسية والجغرافية والمناخية التي تخص البلدان الإسلامية، ويظهر ذلك جليًا في كتاباته حيث تكثر الخرائط والإحصائيات مما لا يكاد يخلو كتاب منها، فهي إذن علاقة تبادل للمصالح المشتركة، وكثيرًا ما يشكو زويمر من تقصير الغرب وقوى الاستعمار تجاه العالم الإسلامي، فسعى بنفسه لإمدادهم بخبراته وقابل كثيرًا من قادة الاستعمار في رحلاته، وممن قابلهم رجل المخابرات البريطاني Thomas Edward Lawrence الذي كلف بمهمة استثارة العرب للتخلي عن الخلافة العثمانية، فيما كانت خيوط المؤامرة البريطانية الفرنسية تحاك في الخفاء من أجل

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة ص ١٣١، مرجع سابق.

(2) Cross above cresent, P. 51.

(3) Ibid, P. 113.

تقسيم العالم العربي إلى مستعمرات بعد القضاء على الوجود العثماني فيها، فيما عرف تاريخيًا باتفاقية سايكس بيكون (Sykes. Picot Accord) (١).

ولا يفوتنا كذلك بيان علاقة الاستشراق بالتنصير، وهما مهمتان قام بها زويمر على أكمل وجه، فأهدافها متداخلة، خاصة فيما يتصل بالأهداف الدينية والثقافية، وإجماع الطرفين على القول بمركزية الحضارة الإنسانية وارتباطها بأوروبا وشعوبها، وهذا ما نجده واضحًا في كتابات زويمر وغيره من المنصرين، ومن دار في فلكهم من الكتاب العرب الذين يقومون بدور الطابور الخامس في تحقيق أهداف المستشرقين في القول بأوربة الفكر الإنساني قاطبة (٢)، إلا أنه على الرغم من هذا التداخل بين الاستشراق والتنصير فهناك فوارق تتمثل في أداء العمل التنصيري ومجاله، حيث إن الاستشراق أخذ صورة البحث العلمي وادعى لبحثه الطابع الأكاديمي، وأما دعوة التبشير فقد بقيت في حدود مظاهر العقلية العامة الشعبية، وبينما استخدم الاستشراق الكتاب والمقال وكرسي التدريس في الجامعات والمناقشة في المؤتمرات العلمية، سلك التبشير طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة والمراحل الابتدائية والثانوية، وسلك كذلك سبيل العمل الخيري الظاهر في المستشفيات والملاجئ، وهذا يعني أن مؤسسة التبشير استهدفت تنصير العامة وذوي الحاجات، بينما اختص الاستشراق بتنصير النخبة والمثقفين (٣).

أهداف الاستشراق:

إن المتأمل لهذا العرض الموجز السابق للاستشراق يستطيع أن يستخلص أهم الأهداف التي سعي المستشرقون لتحقيقها وهي:

١- تصوير الثقافة العربية الإسلامية وحضارة العرب المسلمين بصورة مقنعة للقارئ الأوربي، وبأسلوب يجعله لا يشك في أن هؤلاء العرب المسلمين هم في الأصل قوم بُداة جُهَّال لا علم لهم كان، جياع في صحراء مجدبة،

(١) حمد عبد الله، صموئيل زويمر: لقاء المسيحية بالإسلام (٢٠٥)، مرجع سابق.

(٢) للوقوف – بشيء من التفصيل – على العلاقة بين الاستشراق والتنصير انظر: محمد السيد الجليند (من قضايا الفكر الإسلامي ٧٣ – ٩٦)، والغارة التنصيرية، مرجع سابق.

(٣) محمد البهي، المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام، ص ٢، الإدارة العامة للثقافة، مطبعة الأزهر، القاهرة، وكذلك، الفكر الإسلامي الحديث، ص ٤٦٠، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة.

دينهم ملفق من اليهودية والنصرانية، وحضارتهم جلها مسلوب من ثقافات الأمم السابقة.

٢- تهيئة المثقف الأوربي للقدرة على خوض ما يخوض فيه من الحديث مع من سوف يلاقيهم أو يعاشرهم من المسلمين، وفي عقله وفي قلبه وفي لسانه، وعلى مدِّ يده معلومات وافرة يثق بها، ويطمئن إليها ويجادل عليها دون أن تضعف له حمية، أو تلين له قناة أيًا كان الموضوع الذي تدفعه المفاوضة إلى الخوض فيه.

٣- التشكيك في صحة رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – والزعم بأن الحديث النبوي إنما هو من عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى، وذلك كله بهدف إسقاط السُّنة حتى يفقد المسلمون الصورة التطبيقية الحقيقية لأحكام الإسلام ولحياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- التشكيك في أن القرآن وحي من الله – تعالى – والطعن فيه حتى ينصرفَ المسلمون عن الالتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم باعتباره المصدر الأساس لهذا الدين.

٥- من أهم الأهداف الاستراتيجية من حملة تشويه الإسلام حماية أوربا من قبوله بعد أن عجزت عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية خاصة بعد احتكاك المشاركين في هذه الحروب بحضارة راقية كادت تفتنهم، وتبعث في نفوسِهم الشك فيما كانوا قد سمعوه من رهبانهم وملوكهم، وتثير في نفوس العائدين إلى مواطنهم ضروبًا من القلق، يُخشى أن تنتشر في جماهير هذه الأمم الجاهلة.

إلى غير ذلك من أهداف تجارية وكذلك سياسية وقد تكون علمية حينًا (١).

---

(١) عبد الرحمن عميرة، الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين (٩٧، ٩٨)، ط. دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.

- أحمد عبد الرحيم السايح، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي (١٦) ط، الدار المصرية اللبنانية، الأولى، ١٩٩٦.

- محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، مرجع سابق.

المبحث الرابع

معنى ومدلول كلمة (المنهج)

المنهج لغة:

مصدر من نَهَجَ يَنْهجُ مَنْهَجًا ومنهاجًا، يقول ابن منظور: نَهْجُ: طريق نَهْجٌ بَيِّنُ، واضح.... والجمع: نَهجات ونُهُوج، والمنهاج كالمنهج، وفي التنزيل: **(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً ومِنْهَاجًا)**، واستنهج الطريق: صار منهجًا (١).

وقد ورد عن أبن عباس أنه قال: "لم يمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى ترككم على طريقة ناهجة".

يقول أستاذنا الدكتور عبد الراضي عبد المحسن:

"وهذه الاستدلالات تشير بمجملها إلى أن كلمة المنهج ومشتقاتها تطلق في اللغة على الطريق الواضح الظاهر المستقيم –، وقد أكدت السنة النبوية هذا الاستعمال اللغوي لكلمة المنهج بهذا المعنى وذلك في قوله – صلى الله عليه وسلم" – ثم تكون خلافة على منهاج النبوة" أ. هـ(٢).

وأما اصطلاحًا:

فقد بيَّن أستاذنا أوجه استخدام هذه الكلمة سواء كان استخدامًا عامًا يشمل النشاط المنظم لحياة الإنسان كما في "المنهاج في ترتيب الحِجاج" لأبي الوليد الباحي، "ومنهاج الاستقامة" لابن تيمية، أو بمعنى الطريق في مجال الفرق والمذاهب والتيارات الإسلامية كما في "منهاج السنة النبوية" لابن تيمية، وكذلك استخدامها على أساس نمط خاص متفق عليه درج عليه العلماء والباحثون وطلاب البحث العلمي ومعناه:

---

(١) اللسان (٨/٧١٤)، ط. دار الحديث.

(٢) أبجديات المنطق ومناهج البحث (١٢٢) ط. دار الثقافة العربية، ٢٠١٤م والحديث صححه الألباني.

"الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة بواسطة طائفة من القواعد العامة والخاصة التي تهيمن على سير العقل وتوجه وتحدد عملياته إلى أن يصل إلى الحقيقة إن كنَّا بها جاهلين أو إثبات تلك الحقيقة وتثبيتها والاستدلال عليها إن كنّا بها عارفين"(١).

وهذا التعريف تكمن أهميته بالربط بين الحقيقة والمنهج، فغاية البحث العلمي هي الوصول إلى الحقيقة ولن يتم ذلك إلا بالتزام تلك القواعد طوال مراحل البحث، وبالتالي تنشأ حزمة من الخصائص والسمات التي تميز هذا المنهج أو تعيبه نستطيع من خلالها أن نحكم على محل الدراسة بالسلب أو الإيجاب.

إذا أردنا أن نطبق هذا التعريف على منهج البحث عند المستشرقين عامة وزويمر خاصة فإننا لن نتبع فيه المنهج المعكوس (المقلوب) أي الذي توضع فيه النتائج مقدمًا، ثم يكون البحث عن الأدلة التي تؤيدها، وإنما نبين السمات العامة لكتابات كثير من المستشرقين ثم ننحى إلى عرض أمور ناقشها زويمر مما يتعلق بالإسلام نشأة وعقيدة وأخلاقًا ومن خلال هذا العرض يتضح لنا السمات العامة لمنهج زويمر المبنية على براهين سابقة.

المستشرقون والمنهج العلمي (٢):

يزعم كثير من المستشرقين أنهم أصحاب منهج علمي نزيه في كل ما يقومون به من دراسات وبحوث، ويتشدق بهذا الزعم تلامذتهم وأشياعهم في بلاد المسلمين، ونحن لا نجحد معرفة المستشرقين بالمنهج العلمي وقدرتهم على استخدامه وتطبيقه في دراساتهم وبحوثهم المتشعبة الواسعة، ولكن هذا إذا كان

---

(١) المصدر السابق (١٢٤).

(٢) انظر في ذلك:

- عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، ط. دار طيبة، الرياض، (٧٧/١) ط الأولى.
- إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط. الثالثة، ٢٠٠٠م، ص ١٢١.
- عبد العظيم الديب، المنهج عند المستشرقين، ط. دار الوفاء، ط. الثالثة، ١٤١٣، ص ٣٥٠.
- عبد العظيم الديب، المستشرقون والتراث، ط. دار الوفاء. ط الثالثة.
- حسن عزوزي، مناهج المستشرقون البحثية في دراسة القرآن الكريم، ط. فاس الأولى.

مجال الدراسة والبحث شيئًا غير الإسلام فهنا يصبح التزامهم بالمنهج العلمي كلامًا نظريًا، وحديثًا فارغًا من أي مضمون، وليس له ظلال على أرض الواقع، وبالتالي ترى الموازين آخذة في الميل والاختلال وترى الغرب يكيل بمكيالين، أحدهما مكيال خاص بالإسلام وأهله عارٍ من الإنصاف والعدل. يقول "ليوبولد فايس" النمساوي الذي اعتنق الإسلام وتسمى بـ "محمد أسد" متحدثًا عن موقف الأوربيين من الإسلام:

"لا تجد موقف الأوربي موقف كره من غير مبالاة فحسب، كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات، بل هو كره عميق الجذور يقوم في الأكثر على حدود من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليًا فحسب، ولكنه يصطبغ أيضًا بصبغة عاطفية قوية.

قد لا تتقبل أوربة تعاليم الفلسفة البوذية والهندوكية، ولكنها تحتفظ دائمًا فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن، ومبني على التفكير، إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب، حتى إن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام. ويظهر في جميع بحوثهم على الأكثر كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي، بل على أنه متهم يقف أمام قضاته، وليس ذلك قاصرًا على بلد دون آخر، إنك تجده في إنجلترا وألمانيا، وفي الروسية وفرنسة، وفي إيطاليا وهولندا، وبكلمة واحدة في كل صقع يتجه المستشرقون فيه بأبصارهم نحو الإسلام، ويظهر أنهم ينتشون بشيء من السرور الخبيث حينما تعرض لهم فرصة حقيقية أو خيالية ينالون بها من الإسلام عن طريق النقد." (١).

---

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، نقله إلى العربية، د. عمر فروخ (٥٥ – ٥٧). ط. دار العلم للملايين بدون تاريخ، وفي النسخة الإنجليزية (٤٩ – ٥١) ط. دار الأندلس.

إن المتتبع لما أنتجته قريحة المستشرقين وسطروه في بحوثهم عن الإسلام وكذلك ما قام به علماء الإسلام من الرد عليهم يتبين له أن ملامح هذا المنهج هي على النحو التالي:

١- شبهات ومطاعن تطلق من مبشرين متعصبين تصوروا أمورًا مسبقة عن الإسلام والمسلمين ثم جعلوا ذلك أصل تأسيس أحكام معينة عن الإسلام ولو أنهم التزموا الموضوعية والحقيقة في الحديث عن الدين الإسلامي وصوروا ما يعتقده المسلمون في دينهم ونبيهم وقرآنهم تصويرًا أمينًا صادقًا لاختلف الأمر،وتكمن خطورة هذا المنهج في أن يضطرهم غالبًا إلى الكذب والمغالطات واقتطاع النصوص (١).

٢- انتقاء المثالب وتضخيمها وإهمال الحقائق المنصفة فتبدوا صورة الإسلام في نظر القارئ سوداء شائهة فتجد بحوث أولئك المستشرقين مجافية للمنهج العلمي تنتقي المعائب وتترك المعالم المشرقة والحقائق الناصعة (٢).

٣- عدم دراسة الإسلام من مصادره المعتمدة، وإنما يستقي كثير من المستشرقين منهجم من واقع المسلمين أو من فرقة معينة منهم كالمتصوفة والشيعة، ويظهر هذا جليًا في كتابات زويمر كما سنرى، وهذا من أكبر الخطأ، فسلوك المسلمين ليس حجة أو حاكمًا على الإسلام، بل الإسلام هو الحاكم على الجميع، وهو المرجع وليس الأفراد.

٤- اعتمادهم على روايات مكذوبة أو ضعيفة أو قصص مختلفة أثناء الحديث عن الإسلام، وكذلك اعتماد بعض المستشرقين على ما ذكره المستشرقون السابقون دون الرجوع إلى كتب المسلمين مما يؤثر بالسلب على ما زعموه من نزاهة منهجهم.

---

(١) انظر على سبيل المثال ما ذكره د. عمر إبراهيم رضوان في "آراء المستشرقين" عن جولد تسيهر، وجب، ومرجليوث، ص ٨٠.

(٢) ومثال ذلك ما ذكره د. إسماعيل علي في كتابه "الاستشراق بين الحقيقة والتضليل"، من مناقشة د. حسين مؤنس للمستشرق "جاستون فييت" في كتابه "مجد الإسلام"، ص ١٣٨ ما بعدها.

٥- نظرتهم العرقية التي كانت ملمحًا أساسيًا لكثير من كتاباتهم فكثير منها تسير على منهج واحد هو منهج التأثير والتأثر والاستعارة؛ فبحكم أن الإسلام متأخر تاريخيًا عن اليهودية والنصرانية، استعار منهما لا أقول أصوله الدينية فقط، بل وكل ما يتعلق بالحضارة واللغة والأدب، فهذه النظرة الاستعلائية العميقة تسود كتابات المستشرقين، ،إن ادَّعوا العلمية المجردة الخالية من كل هوى [١].

٦- تحريفهم للنصوص وخيانتهم للمنهج، فعلى الرغم من أن كلمات مثل "الأكاديمي"، "البحث العلمي" "المنهج"، "حرية الرأي"، قيمة العقل".... الخ أصبحت شعارات تستخدم كدرع سابغ يتوارى خلفه مكنون صدور حاقدة وخفايا ضمائر ما تريد إلا تزييف الحق، وإبطاله بكل سبيل وفي شتى المجالات، وقد يكون الحق نفسه فيما نشروه بأيديهم من مخطوطات وتراثٍ كان حبيس المكتبات، ولكن هكذا تكون الأمانة العلمية، والتجرد، والمنهج إلى أخر هذا الركام من الأحجار التي يلقمونها لمن يريد أن ينظر في عمل المستشرقين [٢].

---

(١) وقد ذكر الدكتور/ فاضل السامرائي نماذج كثيرة من كلام المستشرقين، أمثال توماس كارليل وريان وغيرهما في كتابه "الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية"، ص ٥٣ – ٥٨ ط. دار الرفاعي للنشر والطباعة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣.

(٢) ومثال ذلك ما ذكره الدكتور/ عبد العظيم الديب في كتابه "المستشرقون والتراث"،ص ٢٨ – ٤١، ط. الثالثة دار الوفاء، مصر عن تحريفات جولد تسيهر، وول ديورانت، وفان فلوتن وغيرهم ،وكذلك الدكتور السباعي في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"،ص ١٨٧ – ٢٣٥.

المبحث الخامس

عرض تاريخي موجز لأحوال العالم الإسلامي

لا شك أنَّه مهم جدًا أن يتعرف المرء على الظروف التـــي كانـــت تكتنـــف العالم الإسلامي، والمسلمين في هذه الفترة التي كتب عنهـــا صـــموئيل زويمـــر، وصوَّر فيها أحوالهم وجعل مردَّها إلى تعاليم الدين الإسلامي، فصار يحكم علـــى الإسلام من خلال سلوك معتنقية وبيئتهم التي عاشوا فيها؛ فكل خلق ذميم وقع من مسلم هو من تعاليم الإسلام، وكل سلوك لا يُقِّره طبع فضلاً على دين وشرع هـــو من صميم ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم –!!.

يقول صموئيل زويمر – على سبيل المثال – لا الحصر.

"Of our Moslem sisters in Egypt. One who lived among them for four decades wrote: "As a babe she is unwelcome, as a child un thought, as a wife unloved, as a mother unhonored, in old age uncared for, and when her miserable dark and dreary life is ended, she is unmourned by those she has served" (1).

"من بين أخواتنا المسلمات في مصر، كتبت إحداهن وقد عاشـــت بيـــنهن أربعة عقود تصف حال المرأة.

"كرضيع، فهي غير مرحب بها، وكطفل فهي غير متعلمة، وكزوجة غيـــر محبوبة، وكأم فهي غير مُكرَّمة، وإذا كبر سنها لا يُهتم بهـــا، وعنـــدما تنتهـــي حياتها البائسة المظلمة، فلا أحد يأسى عليها ممن كانت تخدمهم"

---

(1) Across the world of Islam. P. 135

وانظر كذلك ما كتبه عن سبب فساد تخلف المسلمين في:

The Muslim Doctrine of Gad. P. 93

وكذلك:

- The Mohammedan World of Today P. 62
- Islam: A challenge to Faith P. 5.

لقد ذكر زويمر ذلك ليبين لقارئيه أن هذه هي تعاليم محمد – صلى الله عليه وسلم – ولذلك وضعها تحت عنوان "Womanhood under Islam"؛ أي "الأنوثة في الإسلام"، فكيف كانت أحوال العالم الإسلامي في هذه الفترة؟

لقد كان كتاب "شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام" Arabia, the Cradle of Islam من أوائل ما كتب زويمر، حيث كان ذلك سنة ١٩٠٠م، أي بعد نزول زويمر ميدان العمل التنصيري في بلاد الإسلام بعشر سنوات، حيث أنهى دراسته عام ١٨٩٠م، وقرر على الفور السفر للشرق الأوسط، فوصل إلى القاهرة يستطلع أحياءها، عيناه شاخصتان، يدقق ويسجل كل ما يراه في وقت كانت مصر تحت الاحتلال البريطاني، وقد أثقلت الديون كاهلها، الأمر الذي مهد السبيل للأوربيين للتدخل في شئون البلاد، مع ما عاناه المصريون من الفقر والجهل.

يقول "أندرسون واطسون د. د" واصفًا حال مصر هذه الفترة:

"Since the British occupation, Islam has governed Egypt only indirectly. The real ruler has been Lord Cromer with his staff of British officials, who plan, direct, restrain and control in all the departments of the government, finance, interior, justice, public works and public Instructions" (1).

"**منذ الاحتلال البريطاني حكم الإسلام مصر بشكل غير مباشر فقط، فالحاكم الفعلي هو اللورد كرومر مع معاونيه من الموظفين البريطانيين، فهم من يخطط، ويوجه، ويملك، ويتحكم في كل الدوائر الحكومية، من المالية، والشئون الداخلية، والعدل، وكذلك الأعمال والتوجيهات العامة**".

هذه الكلمات التي ذكرها واطسون، وهو ممن شاركوا زويمر في كتابه المشار إليه – تبين لنا حال مصر إبان الفترة التي بدأ زويمر ينقل من خلالها ما سطره قلمه من تدهور لأحوال المرأة، وإهمال للأطفال، وإيمان بالخرافات والدجل، إلا أنه كان ينسب ذلك كله للإسلام وما جاء به خير الأنام – صلى الله عليه وسلم –.

(1) The Mohammedan World of Today P. 28.

لم تنفرد مصر بهذه الأحوال، بل كانت معظم دول العالم الإسلامي تعـــاني من نفس الأمر، حتى قال زويمر:

"Islam has lost its power throughout the whole of Africa, the whole of Europe and is losing its grip even on Asia. Where formerly all evangelistic effort carried on directly for Moslems was interdicted or suppressed by the jealous of Moslem governors and rules, today Islam has lost its sword" (1).

"لقد فقد الإسلام سيطرته على أفريقيا كلها، وكذلك أوروبا، وكذلك تُرفـــع قبضته الأن حتى عن أسيا، والتي كانت سابقًا تقابل كل جهـــد تبشـــيري موجـــه مباشرة للمسلمين بالمنع أو القمع بواسطة غيرةِ الحكام والولاة المسلمين، لقـــد فقد الإسلام سيفه اليوم".

وهذا الذي قاله زويمر حق:

- فمصر، والسودان، والصومال، ومسقط، وعمان، والهند، والعراق تحت الاحتلال البريطاني.
- والجزائر، وموريتانيا، وتونس، والمغرب تحت الاحتلال الفرنسي.
- بينما أريتريا، وليبيا تحت الاحتلال الإيطالي (٢).

أضف إلى ذلك انفتاح مجال جديد للعمل في مواجهة العالم الإسلامي حتى لا تقوم له قائمة من محاولة إيجاد وطن لليهود بعد مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧ بزعامة الصحفي اليهودي هرتزل، وقد كان المخطط معدًا لأن تُعطى فلسطين كلها للصهيونية العالمية ليكون العالم الإسلامي كله جسدًا مريضًا منهكًا، لا يستطيع الحراك فضلاً عن النهوض مرة أخرى، الأمر الذي حمل السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ – ١٩٠٩) رحمه الله للعمل على إيجاد وحدة إسلامية جامعة لشمل المسلمين مرة أخرى، فاستعان بمختلف الدعاة والإصلاحيين والوسائل

---

(1) Child hood in the Moslem world. P. 267.

(٢) محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (١١/١٣) (٣٠/١١) ط. المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية.

لتحقيق غرضه فأقام الكليات، والمدارس وعمَّق الود والإخاء بين أطراف العالم الإسلامي ودولة الخلافة، وصار شعاره "يا مسلمي العالم اتحدوا" (١).

إلى جانب هذا فقد عمل السلطان على إنشاء سكة حديد تصل إلى الحجاز من الشام لتيسير الحج على المسلمين (٢) ليلتقوا لمناقشة قضاياهم، ثم يعود كلٌّ واحد منهم، وقد امتلأ بالرغبة في نصرة الإسلام، الأمر الذي لا يُرضي دول الغرب، فصار السلطان شخصًا غير مرغوب فيه، بل صار عندهم "الشيطان الأكبر" و "عدو المسيح" كما سماه جلادستون زعيم حزب الأحرار بإنجلترا (٣).

يقول صموئيل زويمر مصورًا خطورة الوحدة الإسلامية التي دعا إليها السلطان عبد الحميد:

"The church of Christ must deal with its spiritual aspects. We must meet pan – Islamism with Pan-evangelism. "It's a fight for life. We have got to conquer them or they will conquer us". So said Dr. George E. Post, of Beirut college, at the centenary Missionary conference "There are unknown possibilities in that great continent. Who knows what the forces of central Asia may yet be, stored up for the future?

Hear the parable of the locusts, when the locust appears in the desert, he is at home. He is Contented usually with its barrenness. He lays his eggs in the sand. He hatches his young and they eat the bitter and unpalatable herbs that grow in the few moist spots of the wilderness; but at certain times, under the influence of unknown causes which science cannot fathom, these locusts take upon them to fly over the cultivated fields and the fair provinces of the Empire. At such a time, there is nothing for the farmer to do but to go out and find the place where they

---

(١) أنور الجندي: تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث (٧) ط. دار الاعتصام.

(٢) وقد أقلق هذا المشروع زويمر جدًا حتى تكلم عنه في مواضع كثيرة منها على سبيل المثال:

- Islam: A challenge to faith, P. 110.
- Mohammed Or Christ. P. 102.
- The Moslem World, P. 75.
- Unoccupied Mission Fields, P. 86.
- The Disintegration of Islam. P. 135.

(٣) محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١٩/١) ط. ابن تيمية.

have laid their eggs in the soil. They dig a hole a few inches in depth and they deposit a bag, containing over a hundred eggs. Every egg is a locust and every locust can produce one hundred eggs, and these locusts sweep like a devouring prairie – fire all over the country, leaving nothing but dead vegetation and waiting men behind them. We must go down to the locusts home; we must go into Arabia, we must go into the Soudan; we must go into the central Asia and we must Christianize these people or they will march over their deserts, and they will sweep like afire that shall devour our Christianity and destroy it" (1).

"يجب أن تتعامل كنيسة المسيح بالجوانب الروحية. يجب أن نواجه الوحدة الإسلامية بالوحدة الإنجيلية، إنه صراع من أجل الحياة، فيجب علينا أن نقهرهم وإلا فسوف يقهروننا" هكذا قال دكتور جورج. إ. بوست من كلية بيروت في مؤتمر الذكرى المئوية للعمل التبشيري.

"هناك احتمالات غير معروفة في هذه القارة العظيمة، فمن يدري ما هي قوات أسيا الوسطى المدخرة من أجل المستقبل؟

عليكم أن تسمعوا إلى حكاية الجراد، عندما يظهر الجراد في الصحراء، فهو في موطنه، وعادةً ما يكون قانعًا بجدْبها، يقوم الجراد بوضع بيضه في الرمال، ثم يخرج صغاره فيأكلون عشبًا مريرًا غير مستساغ ينمو في بقاع قليلة رطبة من البرية، ومع ذلك، ففي أوقات معينة، وتحت تأثير أسباب غير معروفة لا يستطيع العلم تفسيرها، يقوم هذا الجراد بالطيران فوق الحقول المزروعة، وكذلك القطاعات الجميلة للإمبراطورية.

في هذا الوقت، لا يستطيع الفلاح أن يفعل شيئًا إلا أن يخرج ليجد الأماكن التي وضعوا فيها بيضهم في التربة، فهم يحفرون بعض بوصات ثم يقومون بوضع كيس يحتوي على أكثر من مائة بيضة. كل بيضة عبارة عن جرادة، وكل جرادة تستطيع أن تنتج مائة بيضة.

هذا الجراد يكتسح كالنار في الهشيم جميع أنحاء البلد فلا يترك إلا نباتات ميتة ونحيب الرجال خلفه. إذا كان الأمر كذلك، فيجب علينا أن ننزل إلى موطن الجراد، يجب علينا أن نذهب إلى الجزيرة العربية، والسودان، يجب علينا أن

---

(1) Islam: A challenge to Faith P. 240.

نذهب إلى أسيا الوسطى، يجب علينا تنصير هؤلاء الناس وإلا فسوف يجتـــازون صحاريهم ثم يكتسحوننا كالنار التي ستَلْتِهمُ مسيحيتنا وتدمرها".

إن هذه الحكاية الرمزية التي ذكرها زويمر على لسان دكتور جورج تبـــين لنا بجلاء أن الوحدة الإسلامية التي يسعى السلطان عبد الحميد جاهـــدًا لتحقيقهـــا كانت غصة في حلوق إخوة ثلاثة متعاونين، أبوهم واحد، وأمهم واحـــدة، وديـــنهم واحد، وهدفهم واحد، وهم المستشرقون والمنصرون، وكذلك المحتلون.

لقد سعى هؤلاء إلى وأد هذه الوحدة في مهدها بكل سبيل، فراح هذا يكتـــب مُشهِّرًا بالسلطان بالكذب والتدليس واصفًا إياه بالوحشية والاستبداد، وذاك بإثـــارة فتن لا تنقطع في دول البلقان يمدها بالسلاح لتتخلص من قبضة السلطان العثمـــاني كما كانت تفعل روسيا، وثالث يثير العصبيات القومية مناديًـــا بالحميـــة للأجـــداد والأتراك الأولين كما كانت تفعل الدونمة، ثم كانت الحرب العالمية الأولى والتـــي سقط بعدها أعظم رمز للرابطة التي كانت تجمع بين المسلمين فـــي شـــتى بقـــاع الأرض، لقد سقطت الخلافة، وتقاسم جيوش الأعداء أرضها وسيطروا على كـــل شيء. فإنَّ لله وإنَّ إليه راجعون.

يقول الدكتور محمد محمد حسين:

"وقد يبدو الأمر غير خطير إلى حد الإزعاج في أعين أبناء هذا الجيل ممن لم يعرفوا الخلافة الإسلامية وممن يتخيلون أنها طراز من الأشكال التاريخية التي طواها الزمن. ولكن شعور الذين عاصروا الخلافة الإسلامية وولدوا فـــي ظلهـــا وعاشوا في دولتها كان مختلفًا جد الاختلاف، فقد كانت في نظرهم وعاءً للإسلام، ورمزًا لوحدته، وتحقيقًا لوجوده في قلب الحياة، وكان فزعهم لإلغائها فزع من عاد يومًا إلى بيته الذي يُؤيه، أو المسجد الجامع الذي يضمه إلى المسلمين فـــي يـــوم جمعة أو عيد فوجده مهدومًا" (١).

(١) د. محمد محمد حسين، أزمة العصر (٩١). ط. مكتبة ابن تيمية.



الفصل الأول

دراسة زويمر لمصادر العقائد الإسلامية

- توطئة
- بيان رأي زويمر في مصادر الدين الإسلامي.
- المبحث الأول: تأثر الإسلام باليهودية والمسيحية في نشأته
- المبحث الثاني: تأثر الإسلام بالوثنية



توطئة:

إن الدين الإسلامي هو الدين الذي ارتضاه الله لنفسه؛ فبعث به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينًا غيره، لا من الأولين، ولا من الأخرين.

وهو دين الأنبياء، وأتباعهم كما أخبر الله تعالى – بذلك عن نوح ومن بعده من المرسلين قال تعالى: **(واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إلَيَّ ولا تُنظِرُونِ (٧١) فَإن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إنْ أَجْرِيَ إلاَّ عَلَى اللَّهِ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ (٧٢))** [(١)].

وقال – تعالى – عن إبراهيم – عليه السلام –:

(ومَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إبْرَاهِيمَ إلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ولَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وإنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ (١٣١) ووَصَّى بِهَا إبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ويَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)) [(٢)].

وقال – تعالى – عن يوسف الصديق – عليه السلام –:

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ أَنتَ ولِيِّي فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)) [(٣)].

وقال – تعالى – عن موسى – عليه السلام – أنه قال:

(يَا قَوْمِ إن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إن كُنتُم مُّسْلِمِينَ) [(٤)]

---

(١) يونس: الآيتان ٧١، ٧٢.

(٢) البقرة: الآيات ١٣٠ – ١٣٢.

(٣) يوسف: الآية ١٠١.

(٤) يونس: الآية ٨٤.

وأخبر – تعالى – عن السحرة، أنهم قالوا الفرعون:

(ومَا تَنقِمُ مِنَّا إلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) [١]

وقال – تعالى – عن بلقيس ملكة اليمن:

(رَبِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ) [٢]

وقال– تعالى – عن أنبياء بني إسرائيل:

(إنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى ونُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا)[٣].

وقال – تعالى – عن المسيح – عليه السلام–:

(فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إلَى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ واشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [٤].

وقال – تعالى –:

(وإذْ أَوْحَيْتُ إلَى الحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)[٥].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علَّاتٍ ليس بيني وبينه نبي" [٦] وعند مسلم "إخوة من علَّات [١] وأمهاتهم شتَّى شتَّى ودينهم واحد فليس بيننا نبيٌّ".

---

(١) الأعراف: الآية ١٢٦.

(٢) النمل: الآية ٤٤.

(٣) المائدة: الآية ٤٤.

(٤) آل عمران: الآية ٥٢.

(٥) المائدة: الآية ١١١.

(٦) رواه البخاري (٣١٨٦) باب قول الله "وأذكر في الكتاب مريم، ومسلم (٣٤٦٠) باب فضائل عيسى عليه السلام.

قال النووي - رحمه الله-:

قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "ودينهم واحد" فالمراد به أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالى، وإن اختلفت صفتها وأصول التوحيد والطاعة جميعًا" أ.ه (٢).

فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء واتباعهم، وهو الاستسلام والانقياد لله وحده، في الاعتقاد، والقول والعمل، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادته تعالى بما شرعه على لسان رسله - صلى الله عليهم وسلم - وكان خاتُم هؤلاء الرسل محمدًا - صلى الله عليه وسلم - الذي أكمل الله به الدين وأتم به النعمة فقال تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**) (٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "أرسله الله - تعالى - على حين فترة من الرسل، وقد مقتَ أهل الأرض: عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب(٤)، ماتوا - أو أكثرهم - قبل مبعثه، والناس إذ ذاك أحد رجلين إما كتابي معتصم بكتاب، إما مُبَدلٌ، وإما منسوخ، أو بدين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإما أميٌّ من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنه، وظنَّ أنَّه ينفعه، من نجم، أو وثن أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك، والناس في جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علمًا، وهي جهل، وأعمالٍ يحسبونها صلاحًا، وهي فساد.

---

(١) قال النووي - رحمه الله "قال العلماء: أولاد العلَّات بفتح العين المهملة وتشديد اللاَّم هم الإخوة لأب من أمهات شتَّى (مسلم بشرح النووي).

(٢) نفس المصدر (١٣٢/٨) ط. دار الحديث.

(٣) المائدة: الآية ٣.

(٤) في صحيح مسلم (٥١٠٩) من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ذات يوم في خطبته "وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب "الحديث".

فهدى الله الناس ببركة نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وبما جاء به من البينات والهدى هداية جلَّت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين، حتى حصل لأمته المؤمنين به عمومًا، ولأولى العلم منهم خصوصًا من العلم النافع والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جُمعت حكمة سائر الأمم علمًا وعملاً، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها، لتفاوتتا تفاوتًا يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فله الحمد كما يحب ربنا ويرضى [(١)].

فما ترك النبي – صلى الله عليه وسلم – أمرًا يقربنا من الجنة، ويباعدنا عن النار إلا وذكر لنا منه علمًا، حتى قال بعض المشركين لسلمان – رضي الله عنه – وهم يستهزئون به "إني أرى صاحبكم يعلمكم كل شيء حتى الخراءة، قال: أجل، أمرنا أن لا نستقبل القبلة ولا نستنجى بأيماننا ولا نكتفي بدون ثلاثة أحجار ليس فيها رجيع ولا عظم"[(٢)].

وقال أبو ذر – رضي الله عنه –:

"لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا"[(٣)].

فجاء نبينا – صلى الله عليه وسلم – بكل ما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم، وفي عبادتهم ومعاملاتهم، وفي شتى المجالات ومختلف نواحي الحياة، جاءنا بالإسلام منهجًا للحياة البشرية بكل مقوماتها وقد اشتمل على المبادئ الراقية والأخلاق والنظم العادلة، والأسس الكاملة، ولذلك فالعالم البشري مفتقر بأجمعه إلى أن يأوى إلى ظله الظليل، فعقائده أصح العقائد وأسلمها من التناقض والغموض، سهلة ميسورة حتى شهد بذلك أعداؤه وخصومه.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢١)، ط. ابن الجوزي. مصر.

(٢) رواه ابن ماجه (٣١٢) عن سلمان – رضي الله عنه – باب "الاستجمار بالحجارة والنهي عن الروث، وأصله عند مسلم (٣٨٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢١٣٦١) وهو حديث حسن له طرق عند الطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧)، والبزار (١٧٤)، راجع السلسلة الصحيحة (٤١٦/٤)، حديث (١٨٠٣).

يقول صموئيل زويمر:

"Among all the religions of the world, there is none that has a shorter creed than Islam; none whose creed is so well known and so often repeated" (1).

"بين كل ديانات العالم، لا توجد عقيدة أقصر، ولا أكثر شهرة وتكرارًا من الإسلام"

بينما يقول عن عقيدته التي يؤمن بها.

"The great problems of the incarnation, the deity of Christ and the trinity are stumbling – blocks not only to Moslem, but they are the very problems over which Christianity herself has pondered with amazement and owe, and with reference to which there have been divisions in the church itself; but these unfathomable mysteries are the very heart of our religion" (2).

"إن المشاكل العظمى الخاصة بتجسد الرب في المسيح، وكذلك ألوهية المسيح، والثالوث تعتبر حجر عثرة ليس فقط للمسلم، ولكنَّها كذلك أُسُّ المشاكل التي تحمل على تأمل المسيحية مليًا بدهشة، ومهابة، مع أنه ينبغي الإشارة إلى الانقسامات التي حدثت في الكنيسة نفسها بخصوص ذلك، ومع ذلك فهذه الأسرار التي لا يمكن فهمها هي جوهر ديننا".

ولذلك قال الأب **فيليب لجري**، راعي كنيسة سان نيكولادي شاردونية معلقًا على خطاب البابا يوحنا بولس الثاني الذي ألقاه عام ١٩٩٣.

"إنه مجرد بحث في الأخلاق ودليل على ضعف شديد...إن الأزمة التي تهز أرجاء الكنيسة بأسرها لا تتعلق بالأخلاق، وإنما تتعلق بالعقيدة نفسها". أ.هـ.(٣).

إن عقيدة الإسلام هي أصح العقائد وأصلحها للقلوب والأرواح، وتهدي إلى أحسن الأخلاق فما من خلق فاضل إلا أمر به ولا خلق ذميم إلا نهى عنه، فكان فيه صلاح الدنيا والدين، ومن احتج بما يرى من حالة المسلمين اليوم وتأخرهم

(1) The Moslem Doctrine of God. P. 15.
(2) The Moslem christ. P. 180.
(٣) د. زينب عبد العزيز، تنصير العالم (٣٨). ط. دار الوفاء. المنصورة. مصر.

عن مجاراة الأمم في المخترعات وسائر مرافق الحياة، فقد غلط وأخطأ في احتجاجه لأن المسلمين لم يقوموا حق القيام بما دعا إليه هذا الدين ولم يُحكِّموه في جميع أمورهم الدينية والدنيوية، وكثير منهم اكتفى بالاسم عن المسمى، وباللفظ عن المعنى، والواجب أن ينظروا في تعاليم هذا الدين ودعوته لجميع البشر إلى ما فيه خيرهم المتنوع من توحيد للرب تبارك وتعالى – في ألوهية (١) وربوبيته (٢) وأسمائه (٣) وصفاته.

قال تعالى: (وإِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ).

وقال تعالى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ ومَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ومَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)) (٤)

وقال تعالى: (رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًا) (٥)

وقال تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ (٣) ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)) (٦).

وعلى هذا التوحيد الواضح البين جميع الأنبياء والمرسلين من لدن أدم – عليه السلام – إلى أفضل الخلق أجمعين – صلى الله عليه وسلم –.

---

(١) توحيد الألوهية: هو توحيد الله تعالى بأفعال العباد، وهو توحيد الطلب والقصد، فلا يصرف العباد شيئًا مما يدخل في مسمى العبادة من أعمال القلوب واللسان والجوارح إلا الله – تعالى –.

(٢) توحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بأفعاله، من ملك وتدبير وخلق مما أختص به تعالى.

(٣) توحيد الأسماء والصفات: هو إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفاه سبحانه على الوجه اللائق من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

(٤) يونس: الآيات ٣١ – ٣٢.

(٥) مريم : الآيات من ٦٥.

(٦) الإخلاص: الآيات من ١ – ٤.

فاتفقت شرائع الأنبياء على ذلك، وختم الله – تعالى – بهم محمدًا – صلى الله عليه وسلم –، فتوترات النصوص عنه بالدعوة إلى ذلك، وظل ثلاث عشرة سنة في مكة ليس له هَمٌّ إلا تقرير ذلك ومحاربة الشرك والوثنية، وهذا معلوم مستفيض ومع ذلك كان لصموئيل زويمر رأي أخر، فإنه زعم – كما سنرى – أن دين الإسلام العظيم الذي جاء به سيد الخلق أجمعين.

١- هو خليط من اليهودية والنصرانية وغير ذلك.

٢- بناه على الوثنية وطقوس الجاهلية.

٣- أمر اخترعه محمد – صلى الله عليه وسلم – بعبقريته وتأمله في الطبيعة.

وهذا أمر دأب عليه المستشرقون، فقلما كتب مستشرقٌ عن الإسلام، ولم يذكر للإسلام مصدرًا بشريًا، وذلك لأن القرآن المتعبد به في شريعة الإسلام هو المصدر الأول في شرائع الإسلام ورسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – ولذلك وجدنا طاقات المستشرقين موجهة لإثارة الشبهات حوله (١).

وفي هذا الفصل، سأقوم – إن شاء الله – بنقل كلامه موثقًا ومناقشته في تلك الدعاوي، والله المستعان وعليه التكلان هو حسبي ونعم الوكيل.

---

(١) عمر إبراهيم رضوان، آراء المستشرقون حول القرآن الكريم وتفسيره، دراسة نقدية (٢٣٩/١) ط. دار طيبة الرياض.

ولمعرفة بداية ظهور هذا المبحث (مصادر القرآن) وتطوره أنظر الغارة التنصيرية (١٧٢)، مرجع سابق، وكذلك:

St. Tisdall. The Sources of Islam. P. 32 – 47. T. & T Clark. Edinburg. Scotland.

بيانُ رأي زويمر في مصادر الدين الإسلامي

لقد حاول زويمر أن يفجر قضية قلَّما تخلو كتابات المستشرقين الذين سبقوه منها [(١)]، وهي دعوى أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – انتحل من كتب الأولين من اليهود والنصارى وعرب الجاهلية وتأثر بهم، بل حاول زويمر أن يثبت أن محمدًا تعلَّمَ على يدي معلمين وملقنين من البشر بطريقة تبرز الأمر وكأنه من الحقائق المُسَلَّمَة.

يقول صموئيل زويمر:

"It is evident, not only from the Koran, but from the earliest Moslem biographies of Mohammed, that he was greatly indebted to Judaism, both for his doctrines and narratives. How early in his life, Mohammed come in touch with Jewish teaching. Or teachers, is uncertain, but that he obtained his knowledge of old Testament history from Jews well versed in Talmudic lore is admitted by all students of Islam" [(2)].

"من الواضح، ليس فقط من القرآن، ولكن كذلك من خلال السير الإسلامية الأولى عن محمد أنه مدين بشكل كبير للديانة اليهودية في كل من عقائده ورواياته، كم كان مبكرًا في حياة محمد اتصاله بالتعاليم اليهودية والمعلمين أمر غير يقيني، ولكنَّ حصوله على معارفه من تاريخ العهد القديم من يهود بارعين في علم التلمود أمر معترف به عند كل دراسي الإسلام".

---

(١) من هؤلاء شاخت كما فـــي كتابـــه An Introduction to Islamic Law. Oxford. P. 10، حيث زعم أن محمدًا اقتبس كثيرًا من الأحكام من يهود المدينة وكذلك الكهان والأحبار والتعـــاليم التلمودية، وعلى هذا تم جمع القرآن، وكذلك "ويلش" كما بيَّن ذلك د. محمد أبو ليلـــى فـــي كتابـــه (القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي ص ١٠٥)، وكذلك "أبراهام جيجر، الألماني فـــي كتابـــه "هل أخذ محمد من اليهودية"، و "ويلهلم رودولف" في "صلة القرآن باليهودية والنصرانية" وغيـــر هؤلاء كثير. لمعرفة تاريخ الطعن في القرآن الكريم والتأليف فيه أنظر "دعـــاوي الطـــاعنين فـــي القرآن في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها" للدكتور عبد المحسن المطيري (١٤٠ ط، دار البشاير).

(2) S. Zwemer, Islam: Achallenge to Faith, P. 16.

ويقول أيضًا في معرض كلامهِ عن أسماء الله وصفاته:

'Islam is not Original, not a ripe Fruit, but rather a wild off shoot of foreign soil grafted on Judaism" (1).

"ليس الإسلام دينًا أصيلا، ولا ثمرة ناضجة، وإنما هو نبتة برية في تربة أجنبية تمَّ تطعيمها باليهودية".

ويقول كذلك بعد أن ذكر تأثر محمد – صلى الله عليه وسلم – بالمسيحية في طفولته، وذلك من خلال ما سمعه عن الغزو المسيحي من الجنوب، وهزيمة أبرهة، ثم ذهابه بعد ذلك إلى سوريا، ومقابلته للرهبان – زعم – ومروره على قبائل النصارى في شمال الجزيرة العربية، ثم اتخاذه امرأة مسيحية من القبط كسريَّة، يقول:

"Mohammed could not remain wholly ignorant of Christianity, and therefore it is not surprising to find the evidence of this in Islam. The Christian factor cannot be omitted in our study of the origin of Islam. Christian teaching, though often in corrupt form, was one of the sources of the new religion"(2).

"ما كان لمحمد أن يبقى جاهلاً بالمسيحية تمامًا ، ولذلك فليس من العجب أن نجد برهان ذلك في الإسلام، فالعامل المسيحي لا يمكن أن نهمله (نسقطه) في دراستنا لأصل الإسلام. إن التعاليم المسيحية – رغم عرضها في صورة فاسدة غالبًا – كانت إحدى مصادر الدين الجديد".

وأخيرًا خرج صموئيل زويمر بعد عرضه لهذه الأمور التي نقلنا بعضها بهذه النتيجة

"Islam: a composite Religion:

From the condition of Arabia at the time of Mohammed and the whole religious environment of his day it is natural that

(1) S. Zwemer, The Moslem Doctrine of God. P. 28.
(2) S. Zwener. Islam: a challenge to faith. P. 21.

if there was to be a new a religion for Arabia it must take account of the existing faiths. It is not at all surprising, therefore, that the result of a century of critical study by European and American schools of every school of thoughts has established the fact that Islam is a composite religion(1).

"الإسلام: دين مركب:

"من خلال ظروف الجزيرة العربية في زمن محمد، وسائر البيئة الدينية في وقته، كان طبيعيًا- لو تصورنا دينًا جديدًا هناك- أن نأخذ في الاعتبار الاعتقادات الموجودة، فلم يكن أمرًا مدهشًا على الإطلاق أن تكون نتيجة قرن من الدراسة النقدية بواسطة دارسين أوربيين وأمريكيين من كل المدارس الفكرية مؤسسة على الحقيقة القائلة: إنَّ الإسلام دين مركب".

نستطيع من خلال هذه المقتطفات من كتابات زويمر أن نستخلص بعض الأمور التي بني عليها رأيه في بعض مصادر الدين الإسلامي وهي:

١- تأثر النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – باليهودية خاصة في تاريخ العهد القديم.

٢- أن هذا التأثر أمر معترف به لدى كل دارسي الإسلام.

٣- هناك كثير من الشواهد على تأثر الإسلام بالمسيحية.

٤- لقد تأثر محمد – صلى الله عليه وسلم – بالبيئة التي عاش فيها.

فأقول مستعيناً بالله كما قال شيخ الإسلام – رحمه الله –

"لما كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل، كان كلام أهل الإسلام والسنَّة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن وما تهوى الأنفس، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم: "القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة، رجلٌ

(1) S. Zwener. Islam, A challenge Faith. P. 24.

عَلِم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار" رواه أبو داود وغيره [(١)].

فإذا كان من يقضي بين الناس في الأقوال والدماء والأعراض – إذا لم يكن عالمًا عادلاً كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية والمعالم الكلية بلا علم، ولا عدل؟" أ.ه.[(٢)].

ونحن – إن شاء الله – سنبين غاية هذا الكلام الذي ذكره زويمر، وأنه بمقدماته ونتائجه لا يعدو أن يكون كما قال ابن الرومي:

لذوي الجدال إذا غدوا لجدالهم ... حججٌ تضلُّ عن الهدى وتجورُ
وُهُنٌ كآنيةِ الزجاج تصادمتْ ... فهوت، وكلٌّ كاسرٌ مكسورُ

فهذه الأمور التي ذكرها زويمر حججٌ "تضل عن الهدى وتجور، فلا هي قامت على العلم ولا هي قامت على العدل، وإنما لزمها أمران لا ينفكان دائمًا عن كل من لم يستضئ بنور الوحي أو يتضلع بحجج الشرع وهما الظلم والجهل كما قال تعالى: **(وحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)** [(٣)].

فاتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم، وجماع الشر في هذين الأمرين، فإذا منَّ الله على الإنسان بالعلم والعدل أنقذه من ذلك كما قال تعالى **(وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣))** [(٤)] فإذا علم المرء الحق ثم كذَّبه فقد صدر عن ظلم كذلك ولايكون بعد ذلك إلا جاحدًا كما قال تعالى: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا**

---

(١) رواه أبو داود في سننه من حديث ابن بريده عن أبيه، كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ (٣٥٧٣)، ورواه الترمذي في الأحكام بلفظ مقارب، وأخرجه ابن ماجه في الأحكام، باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق (٢٣١٥)، وأخرجه الحاكم وصحح إسناده، وكذلك الحافظ في تلخيص الحبير (٢٠٨).

(٢) ابن تيمية، الجواب الصحيح (١/١٠٧). ط. دار العاصمة.

(٣) الأحزاب: من الآية ٧٢.

(٤) العصر: الآيات من ١ – ٣.

أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا) (١) وقال تعالى على لسان موسى: (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ) (٢).

فإذا أخذ يجادل بعد ذلك عن باطله، ويأتي بزخرف القول غرورًا مما يحتج به على أهل الحق من الحجج الواهية، والشبه الباطلة بما يلفقه من منقول ومعقول كان ذلك من أسباب ظهور الإيمان الذي وعد الله بظهوره على الدين كله؛ بالبيان والحجة والبرهان، وذلك بما يقيمه الله – تبارك وتعالى من الآيات والدلائل التي يظهر بها الحق من الباطل، والخالي من العاطل، والهدى من الضلال، والصدق من المحال، والغي من الرشاد، والصلاح من الفساد، والخطأ من السداد كما قال ابن تيمية – رحمه الله –:

"فالدين الحق كلَّما نظر فيه الناظر، وناظر عنه المناظر، ظهرت له البراهين، وقوي به اليقين وازداد به إيمان المؤمنين، وأشرق نوره في صدور العالمين، والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل، ورام أن يقيم عوده المائل، أقام الله – تبارك وتعالى – من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، وتبين أن صاحبه الأحمق كاذب عائق، وظهر فيه من القبح والفساد، والتناقض والإلحاد، والكفر والضلال، والجهل والمحال، ما يظهر به لعموم الرجال، أن أهله من أهل الضلال، حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه أكثر العباد، ويتنبه بذلك من سِنَةِ الرُّقاد من كان لا يميز الغيَّ من الرشاد، ويحيي بالعلم والإيمان من كان ميت القلب لا يعرف معروف الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا ينكر منكر المغضوب عليهم والضالين" أ.هـ. (٣).

لقد برزت قضايا عديدة بِناء على ما ذكره زويمر وغيره من المستشرقين، منها قضية التأثير والتأثر، فهل حقًا تأثر الإسلام باليهودية والنصرانية في نشأته، بل وبالوثنية كذلك؟!

---

(١) النمل: من الآية ١٤.

(٢) الإسراء: من الآية ١٠٢.

(٣) ابن تيمية: الجواب الصحيح (٨٨/١) بتصرف يسير.

المبحث الأول

تأثر الإسلام باليهودية والمسيحية في نشأته

"Could Mohammed read and write?"

لقد حاول زويمر تحت هذا العنوان بكل قوة أن يجلب بخيله ورجله ليثبت أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – كان يستطيع القراءة والكتابة جيدًا ليدلل بذلك على بشرية ما جاء به – صلى الله عليه وسلم – فالقرآن كتاب محمدي، وليس كتابًا سماويًا من عند إله معبود (١).

يقول زويمر في كتابه "Across the world of Islam" والذي يُعتبر من أبرز كتبه التي أظهرت منهجه في دراسة الإسلام – بجانب كتابيه –
"Islam, A challenge to Faith" و "The Muslim Doctrine of God".

"The art of reading and writing was fairly common at Mecca at the time of Mohammed's birth". (2)

"كان فن القراءة والكتابة شائعًا في مكة في زمن ميلاد محمد"

ولمَّا أراد أن يأتي بالحجج على ذلك قال بعد أن ذكر كلامًا لموير. :Muir

"He quotes an account from katib al waqidi showing that Mecca was for in advance of Medina in the art of writing, so that after the battle of Bedr, many of the Meccan prisoners were compelled to teach the art of writing to the children of Medina. Each captive was assigned to ten boys, and their tuition, when completed was to be accepted as a full ransom". (3)

---

(١) يشترك في هذه الشبهة كثيرون مثل "يوليوس فلهاوزن" في كتابه "تاريخ الدولة العربية"، والدكتور بروز أستاذ الفقه الإنجيلي في جامعة بيل، وكذلك د. لوبون في "حضارة العرب" وغير هؤلاء كثير ،انظر: الإسلام في قفص الاتهام، ص ٢٣، للدكتور/ شوقي خليل. ط. دار الفكر، بيروت.

(2) S. Zwemer, Across the world of Islam. P. 51.

(3) S. Zwemer. Across the world of Islam. P. 52.

"واقتبس رواية من كتاب الواقدي تبين أنَّ مكة كانت أكثر تقدمًا من المدينة في فنِّ الكتابة، فبعد غزوة بدر أُجبر كثير من الأسرى المكيين على تعليم فن الكتابة لأطفال المدينة، وكُلِّف كلٌّ أسير بعشرة صبيان لتعليمهم، فإذا أكمل ذلك، تمَّ قبول تعليمه كفدية كاملة".

ويقول كذلك:

"There are many traditions which shows that writing was not uncommon in Mecca about Mohammed's time ….. Jaber and Yasser, two sword – makers in Mecaa are mentioned by the commentators as being in the habit of reading the Taurat and the injil when Mohammed passed them, and he listened to their reading" (1)

"هناك الكثير من التراث يبين أن الكتابة لم تكن غير مألوفة في مكة زمن محمد ..... فياسر، وجابر أثنان من صانعي السيوف في مكة – ذكرهما المفسرون – تعودا قراءة التوراة والإنجيل عند مرور محمد بهما، فكان يستمع لقراءتهما".

ويقول كذلك:

"Among the wives of the prophet we are sure that at least Ayesha and Hafasa could read and write….. he might even have learned the art from two of his wives (2).

"إننا واثقون أن من بين زوجات النبي كانت عائشة وحفصة على الأقل تستطيعان القراءة والكتابة...، فربما تعلم هذا الفن من زوجتين من زوجاته".

ثم قال بعد عرض هذه الشبهات:

On what, then is the general Mohammedan denial of their prophet's ability to read or write based?" (3)

(1) S. Zwemer, Across the world of Islam. P. 53.
(2) S. Zwemer, Across the world of Islam. P. 55.
(3) S. Zwemer, Across the world of Islam. P. 56.

"إذن فعلى أي شيء قام هذا الإنكار المحمدي العام لقدرة نبـيهم علـى القـراءة والكتابة؟"

ثم ذكر أهم الأدلة التي تمسك بها المسلمون في نفي معرفة النبي – صـلى الله عليه وسلم – القراءة والكتابة، ولكن قبل إيرادها ينبغي بيان مدى قـوة هـذه الشبهات التي أوردها هنا، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: إن حكاية هذه الأمور سابقة الذكر للتدليل على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يستطيع القراءة والكتابة، وبمطالعته لكتب أهل الكتاب ألـفَّ هذا القرآن = أقول: إن حكايتها تكفي في ردِّها لأمور:

الأول: أن هذه الدعاوي خارج موطن النزاع الذي لابد من تحريره، وهـو قـدرة النبي – صلى الله عليه وسلم – على القراءة والكتابة من عدمه، بينما مـا ذكره يتعلق بمعرفة أهل مكة بذلك، وعلى فرض صحة ذلك فلا يلزم منـه وجوده في النبي – صلى الله عليه وسلم – وهذا ظاهر ويوضحه.

الثاني: أنَّه لما نقل من كتب تواريخ المسلمين ما يدحض كلامه زيَّفه، وقال إنـه لا يعتمد عليه، فبأي مبرر ردَّه، يقول زويمر:

"Moslem tradition is in this respect unreliable. We are told, for example, that at Mecca at the time of the prophet only seventeen men were able to write! "Their names were preserved for us by al – Baladhuri. This statement seems very improbable, not to say impossible" (1).

"التراث الإسلامي في هذا الصدد غير جدير بالثقة، فقد أخبرنـا – علـى سبيل المثال – إنه كان في مكة وفي وقت وجود النبي سبع عشرة رجـلاً فقـط قادرين على الكتابة، وأسماؤهم محفوظة لنا عند البلاذري. إن هذا التقرير يبـدو بعيد الاحتمال جدًا، إن لم يكن مستحيلاً".

ثم نقل عن الحافظ في فتح الباري أن كُتَّاب الـوحي جـاوزوا الأربعـين، ووصفه زويمر بالأمر المبالغ فيه، مع أن الحافظ أراد كل من كتب الوحي للنبي – صلى الله عليه وسلم – من المكيين والمدنيين وغيرهم فتنبه.

(1) S. Zwemer, Across the world of Islam. P. 54.

الثالث: أن الكاتب كثيرًا ما يستشهد بروايات من كتب غير معتمدة عند علماء المسلمين، ويُزيف روايات في كتب هي في أعلى درجات الثقة والبحث القائم على القواعد الصحيحة، فهنا على سبيل المثال يستشهد بالواقدي، وفي موضع أخر بالأصفهاني في كتابه الأغاني وهكذا.

وإليك حال الواقدي صاحب الرواية التي ذكرها زويمر في فداء أسرى بدر.

قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في تهذيب التهذيب (٦٥٦/٣) ط. الرسالة:

وقال البخاري: الواقدي مدني سكن بغداد، متروك الحديث، تركه أحمد، وابن المبارك، وابن نمير، وإسماعيل بن زكريا.

وقال معاوية بن صالح: قال لي أحمد بن حنبل: الواقدي كذَّاب.

وقال لي يحيي بن معين: ليس بشيء

وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه.

وقال أبو زرعة الرازي، وأبو بشر الدولابي، والعقيلي: متروك الحديث.

هذا كله مع كثرة حفظه، ولكن كان غير معتمد عليه، ولذلك قال النووي في شرح المهذب "في كتاب الغسل منه: الواقدي ضعيف باتفاقهم".

وقال الذهبي في الميزان: "استقر الإجماع على وهن الواقدي. أ.هـ.

وقال الحافظ في تقريب التهذيب (٥٤٢/٢) ط. المكتبة التجارية.

"محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، الواقدي، المدني القاضي، نزيل بغداد متروك مع سعة علمه." أ.هـ.

الرابع: لو افترضنا صحة هذه الرواية (١) فيمكن الإجابة عنها بأمور منها:

- أنها خارج موطن النزاع كما سبق.
- أن الذي جاء فيها إنما هو تعليم صبيان المسلمين فلا علاقة لها بتعليم النبي – صلى الله عليه وسلم –.

---

(١) الأثر صحيح، ولكن ليس من طريق الواقدي كما عند أحمد في المسند (٢٢١٦) من حديث ابن عباس وسنده حسن.

- أن الذي جاء في الرواية التي ساقها زويمر "Many" أي كثير، والذي جاء في الرواية الثابتة في المسند هو:

"**كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ...**" **الأثر.**

فليس في الأثر هذه الكثرة التي ذكرها، ولذلك قال ابن القيم – رحمه الله –:

"فقتل يوم بدر من الأسرى عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وفادى أسرى بدر بالمال بأربعة آلاف إلى أربعمائة، وفادى بعضهم على تعليم جماعة من المسلمين الكتابة، ومنَّ على أبي عَّزةَ الشاعر يوم بدر" أ.ه. (١).

ولا تنس أن جملة أسرى بدر سبعون، فأين هذه الكثرة التي زعمها زويمر؟!

ثانيًا: وأما ما استند عليه زويمر في تعلُّم النبي – صلى الله عليه وسلم – من غُلامين كان يصنعان السيوف بمكة فمردود من وجوه:

الأول: أنه بالرجوع إلى هذا الأثر في مظانه مثل تفسير الطبري نجد الرواية هكذا:

- حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو بن عون، قال: أخبرنا هُشيم، عن حصين، عن عبد الله بن مسلم الحضرمي: أنه كان لهم عبدان من أهل عير اليمن، وكانا طفلين، وكان يقال لأحدهما يسار، والآخر جبر، فكانا يقرأن التوراة، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ربما جلس إليهما، فقال كفار قريش: إنما يجلس إليهما يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى: **(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)** (٢).
- حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن حصين، عن عبدالله بن مسلم قال: كان لنا غلامان فكان يقرأن كتابًا لهما بلسانهما، فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يمر عليهما، فيقوم يستمع منهما، فقال المشتركون: يتعلم

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد (٥/٦٠).

(٢) النحل: من الآية ١٠٣، وانظر تفسير الطبري (١٧/٤٥٣) ط. ابن الجوزي، مصر، ولمزيد بيان لهذه الشبهة تقريرًا وردًا أنظر: "القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي – دراسة نقدية تحليلية"، ص ١٠٦، مرجع سابق.

منهما، فأنزل اله تعالى ما كذبهم به، فقال: **(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)**(١).

بالنظر إلى مجموع الروايتين يتبين لنا أمور هي:

١- أنهما كانا عبدين، والأصل في العبيد عدم التبحر في العلم.

٢- أنهما كانا طفلين، وهذا لا يحتاج لتفسير.

٣- أنهما كانا يقرأن بلسانهما، والقرآن نزل" "بلسان عربي مبين".

٤- أن القرآن ما أقرَّ هذا الزعم الكاذب، فأنزل الله – تعالى – ما كذبهم به يقول الله تعالى: **(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)** (٢).

إن هذا القرآن لا يستطيع أن يأتي بمثله الإنس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ولا يقدر على الإتيان بمثله سوى من أنزله على رسوله، بما اشتمل عليه من الإعجاز البياني، والأحكام التشريعية، والأخلاق السنية، والحكم الربانية، والأخبار الغيبية، والآيات الكونية، وامتلاكه نواصي القلوب بأسلوبه، فأنَّي لمحمد – صلى الله عليه وسلم – أن يأتي بمثله، وهو أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، وقد عرفوه بالصدق والأمانة، وعدم اشتغاله بالأدب المنثور، والشعر الموزون.

ولم يُعرف كذلك عن أهل الكتاب أنهم يعينون غيرهم على هدم دينهم، ولا عن أولئك العبيد والموالي أنهم يحسنون فهم الكتب السماوية، أو نقل ما فيها إن صح أنهم يحفظونها، ويتضح ذلك من خلال هذه الآية (٣):

الثاني: يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية:

"أعلم أن المراد من هذه الآية حكاية شبهة أخرى من شبهات منكري نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – وذلك لأنهم كانوا يقولون إن محمدًا إنما يذكر هذه القصص وهذه الكلمات لأنه يستفيدها من إنسان أخر ويتعلمها منه، فقال تعالى:

---

(١) النحل: من الآية ١٠٣.

(٢) النحل: الآية ١٠٣.

(٣) انظر تفسير الطبري (٢٩٨/١٧) ط. الرسالة، تفسير السعدي (٤٥٠) ط. الرسالة، تفسير ابن كثير (٦٠٣/٤) ط. دار طيبة، تفسير البغوي (٤٤/٥) ط. دار طيبة، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (١٤٨٥/٦) ط. المطابع الأميرية، رد الطعون الواردة في الموسوعة العبرية عن الإسلام ورسوله – صلى الله عليه وسلم – د. موسى البسيط (٥)، ط. مجمع الملك فهد بالمدينة.

﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ أي: لسان الذي يميلون إليه أعجمي، وأما أعجمي فقال أبو الفتح الموصلي: تركيب ع ج م وضع في كلام العرب للإبهام والإخفاء، وضد البيان والإيضاح، ومنه قولهم: رجل أعجم وامرأة عجماء إذا كان لا يفصحان، فهذه هو الأصل في هذه الكلمة ثم إن العرب تسمى كلَّ من لا يعرف لغتهم ولا يتكلم بلسانهم أعجم وأعجميًا. قال الفرَّاء وأحمد بن يحيي: الأعجم الذي في لسانه عُجمة وإن كان من العرب، والأعجمي والعجمي الذي أصله من العجم.

وأما تقرير وجه الجواب فأعلم أنه إنما يظهر إذا قلنا:

القرآن إنما كان معجزًا لما فيه من الفصاحة العائدة إلى اللفظ، وكأنه قيل: هب أنه يتعلم المعاني من ذلك الأعجمي إلا أن القرآن إنما كان معجزًا لما في ألفاظه من الفصاحة، فبتقدير أن تكونوا صادقين في أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – يتعلم تلك المعاني من ذلك الرجل إلا أنه لا يقدح ذلك في المقصود إذ القرآن إنما كان معجزًا لفصاحته، وما ذكرتموه لا يقدح في ذلك المقصود" ثم قال في تقرير أوجه الرد عليهم وتكذيبهم:

الأول: أنهم لا يؤمنون بآيات الله وهم كافرون، ومتى كان الأمر كذلك كانوا أعداءً للرسول – صلى الله عليه وسلم – وكلام العدا ضرب من الهذيان ولا شهادة لمتهم.

الثاني: أن أمر التعليم لا يتأتى في جلسة واحدة، ولا يتم في الخُفية، بل التعلم إنما يتم إذا اختلف المعلم إلى المتعلم أزمنةً طويلة متطاولة ومددًا متباعدة، ولو كان الأمر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – يتعلم العلوم من فلانٍ وفلان.

الثالث: أن العلوم الموجودة في القرآن كثيرة، وتعلمها لا يتأتى إلا إذا كان المعلم في غاية الفضل والتحقيق، فلو حصل فيهم إنسان بلغ في التعليم والتحقيق إلى هذا الحد لكان مشارًا إليه بالأصابع في التحقيق والتدقيق في الدنيا، فكيف يمكن تحصيل هذه العلوم العالمية والمباحث النفسية من عند فلان وفلان؟!

وأعلم أن الطعن في نبوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأمثال هذه الكلمات الركيكة يدل على أن الحجة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – كانت ظاهرة باهرة، فإن الخصوم كانوا عاجزين عن الطعن فيها، ولأجل غاية عجزهم عدلوا إلى هذه الكلمات الركيكة". أ.ه. بتصرف يسير (١).

يقول الشيخ/ أحمد شاكر: "لقد ردَّ القرآن عليهم بأقوى رد، فخرست ألسنتهم وألسنة غيرهم، فلم يدَّع ذلك أحد منهم ولا من أهل الكتاب بعد ذلك مع كفرهم وعداوتهم، وتربصهم به وبالمسلمين إذ علموا أنهم لو عادوا إلى هذه الدعوى، لكانت حُجتهم داحضة، ودعواهم كاذبة، فإنه نشأ بينهم وعرفوا تاريخ حياته وأحواله تفصيلاً وإجمالاً، ولم يجدوا من يصدقهم من أهل عصرهم المشاهدين الحاضرين في أنه تعلم كل هذه العلوم والشرائع من بعض القارئين والكاتبين في مكة.

وقد اتصل المسلمون بالنصارى واليهود بعد الفتح الإسلامي للبلاد اتصالاً وثيقًا، وقامت في بعض الأوقات حرب الجدال الديني بين الفريقين واحتدمت، ومع ذلك فإنه لم يزعم أحدٌ – فيما نعلم – من أعداء الإسلام أن القرآن مقتبس كله أو بعضه من التوراة أو الإنجيل إلا في هذه العصور المتأخرة، حينما ضعف شأن الدولة الإسلامية ماديًا، وقام المستشرقون وفي أعقابهم المبشرون بالهجوم العلمي على المسلمين بعد أن وضعوا أيديهم على أكثر بلاد الإسلام.

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(٩))"(٢).

(١) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب (٢٧١/٢٠) ط: إحياء التراث.
(٢) الصف: الآيات ٨ – ٩.
أنظر: أحمد شاكر: مجموع المقالات (٤٥٧) ط – دار الآثار، وما قاله الشيخ/ أحمد شاكر – رحمه الله – فيه نظر، حيث إن هؤلاء ما كفوا عن هذا الزعم، فهذه الافتراءات التي تصدر ضد الإسلام ورسوله ومصادره افتراءات قديمة، لكنها بين الحين والآخر تلبس ثوبًا جديدًا يُضفون عليه مسحة منهجية علمية، والعلم منها براء، ولا أدل على ذلك من تصنيف علماء المسلمين في الرد على هؤلاء برسائل مفردة كما فعل القاضي عبد الجبار وكذلك الجاحظ والإمام القرطبي وغيرهم أو في ثنايا ردودهم على انحرافات عقدية شتى حتى وقتنا الحاضر.

الثالث: لو كان هذا الأمر صحيحًا، فلماذا لم يذهبوا لهذين الغلامين ليتعلموا منهما، وقد تحدَّاهم القرآن بأن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور فعجزوا، ثم تحداهم بسورة واحدة فعجزوا، أكان يعجزهم أن يذهبوا لمن تعلَّم منه النبي – صلى الله عليه وسلم – ابتغاء سورة واحدة؟! سبحانك هذا بهتان عظيم!

يقول عثمان بن سعيد الدارمي (١) – رحمه الله: "فلم يقدر الجن والإنس عربُها وعجُمها، من عبدة الأوثان، وعلماء أهل الكتابين أن يأتوا بسورة ولا ببعض سورة، ولو علموا أنهم قادرون عليها، لدعوا شهداءهم إلى ذلك، وبذلوا فيها الرغائب من الأموال وغيرها لخطبائهم وشعرائهم وأحبارهم وأساقفهم وكهنتهم وسحرتهم؛ أن يأتوا بسورة مثلها تصديقًا لما ادَّعوا من الزور تكذيبًا بمحمد – صلى الله عليه وسلم –.

وأنَّى يأتي المخلوق بمثل كلام الخالق؟! وكيف يقدر عليه؟! وقد قال تعالى: (وَلَنْ تَفْعَلُوا) فلن تفعلوا إلى يوم القيامة، فكما أنه ليس كمثله شيء؟ فليس ككلامه كلام" أ.هـ. (٢).

ويقول الرافعي – رحمه الله – "وحكمة هذا التحدي وذكره في القرآن إنما هي أن يشهد التاريخ في كل عصر يعجز العرب عنه وهم الخطباء اللدُّ، والفصحاء اللسن.... حتى لا يجيئ بعد ذلك فيما يجيء من الزمن مُوَلَّد أو أعجمي كاذب أو منافق أو ذو غفلة فيزعم أن العرب كانوا قادرين على مثلهن وأنه غير معجز" (٣).

---

(١) الإمام، الحافظ، الناقد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني صاحب المسند الكبير والتصانيف (ت ٢٨٠هـ) "السير ٣١٩/١٣".

(٢) الرد على الجهمية (٣٠)، ط. المكتبة الإسلامية.

(٣) إعجاز القرآن للرافعي، ص ٢٢. ط. دار مصر للطباعة، بدون تاريخ.

ثالثًا: وأما استناد زويمر في دعواه بعدم أمية النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى احتمالية تعلمه من زوجتيه عائشة، وحفصة – رضي الله عنهما [١]:

فهكذا حكاية تغني لرده؛ وذلك لأن المخالف يرد عليه بمثل ما ذكر فيقول أي: وربما لم يتعلم "He PBUH – might not have learned ...."

فليس شك أحدهما بأولى من الأخر، بل إن نفى التعلم أرجح بالنظر إلى وقت زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – منهما، وكم سبق من سور فيها الكثير من المعجزات والدلائل على إلهية القرآن، فهذا أمر لا يحتاج لمزيد كلام للرد عليه والله أعلم.

تبيين حقًا من خلال ما سبق صِدْق ما قاله سكادر *Scudder* [٢] عن زويمر:

"بالنسبة له كان العمل الإرسالي الموجه ضد الإسلام بكل معنى الكلمة حربًا صليبية عُظْمى، فالأساليب التصويرية المستخدمة من قِبَله في كتاباته تحمل طابعًا عسكريًا" [٣].

لم يكن صموئيل زويمر منصفًا في كتاباته، بل غلب عليها العصبية التي أفقدتها قيمتها، فهذا المكان الذي تبوأه زويمر ينبغي أن يكون لقاضٍ ينظر في أدلة الخصوم ليخرج بحكم عادلٍ قائم على منهج معروف سليم، ولكنَّ زويمر لم يكن كذلك، لقد نصَّب نفسه محاميًا مدافعًا عن عقيدة واحدة؛ هي عقيدته، ساعيًا ف تزييف كلِّ ما يخالفها أو يعود عليها بالإبطال، ولذلك على طالب الحق أن ينزل هؤلاء منزلتهم، فلا يسمع من أحد منهم حتى يسمع من الآخر ثم يحكم.

---

(١) استند بعضهم أيضًا ليدلل على أخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – من أهل الكتاب إلى الزعم بتعلمه من أم أيمن حاضنة رسول الله – رضي الله عنها –، وقد ردَّ ذلك الأستاذ محمود شاكر – رحمه الله فشفى وكفى، أنظر "أباطيل وأسمار" (٢٤٢) ط. الخانجي.

(٢) د. لويس سكادر، (١٨٩٥ – ١٩٧٥)، تخريج في كلية Hope College، وعمل منصِّرًا في الهند، وهو من الجيل الثالث في عائلة سكادر والتي عملت في هذا المجال في الهند لأكثر من ألف ومائة سنة The scudder family of missionaries in www.wikipedia.org. India.

(٣) حمد عبد الله: صموئيل زويمر، لقاء المسيحية بالإسلام (٦٥) نقلاً عن كتاب:
Scudder: The Arabian mission's story. P. 140.

فما هي الأدلة التي استند إليها من قال بألوهية الوحي المحمدي؟
يقول زويمر:

"On what, then is the general Mohammedan denial of their prophets' ability to read or write based? (1).

"**إذن فعلى أي شيء قام هذا الإنكار المحمدي العام لقدرة نبيهم على القراءة والكتابة؟ يقول زويمر:**

"On one word, "Ummi", used six times in the koran, and on one obscure passage where Angel Gabriel bids him" read (iqra) and he replies, "I'm not a reader". (2).

"**على كلمة واحدة" أمِّي" استخدمت ست مرات في القرآن، وعلى نصٍ غامض حين قال له الملك جبريل "اقرأ"، فردَّ "ما أنا بقارئ".**

ثم بدأ يفحص هذين الدليلين اللذين ذكرهما ويرد عليهما، فبدأ بالدليل الأول، وذكر الآيات الست التي ورد فيها ذكر كلمة "أمِّي".

- فمرة يترجم كلمة "أمي" بـــ Illiterate
- ومرة يترجمها بمعنى وثني "Gentile"
- ومرة أخرى ينقل عن بالمر Palmer:

"Mohammed seems to have borrowed the expression from the jews; ummiyyum, having the same significance as the Hebrew goyim" (3).

"**يبدو أن محمدًا قد استعار هذا المصطلح من اليهود "أميين" بما له من نفس المغزى في العبرية، "الأميين".**

وقبل أن ينقل كلام المفسرين العرب، ذكر – زَعَم – سبب إصرار النبي – صلى الله عليه وسلم – على تأكيد عدم علمه بالقراءة والكتابة:

Rodwell says: "There could be no doubt that Mohammed in spite of his assertions to the contrary, with a view to proving his inspirations was well acquainted with the Bible histories. He wished to appear ignorant in order to raise the elegance of the Koran in to a miracle". (4).

---

(1) S. Zwemer, Across the world of Islam. P. 56.
(2) S. Zwemer. Across the world of Islam. P. 56.
(3) Ibid. P. 57.
(4) Ibid. P. 58.

يقول رودويل:

"لا مجال للشك في أنه على الرغم من تأكيد محمد علي النقيض، فبنظرة لإثبات مصدر إلهامه نجد إلمامه الجيد بتاريخ الكتاب المقدس، وإنما أراد أن يظهر جاهلاً ليرفع تميز القرآن إلى رتبة المعجزة".

- لقد حاول صموئيل زويمر أن يبني بحثه على أمور يصل من خلالها إلى حماية عقل الأوربي المثقف من أن يتحرك في جهة مخالفة لما تربى عليه من الاقتناع التام بما هو عليه (١)، فما كتبت هذه الدراسات ابتداءً إلا من أجل هذا الغرض، ولذلك إذا نظرنا في هذه النقطة محل الدراسة الآن نجده:
- مرة يحاول إثبات اختلاف علماء اللغة في معنى الأمي، وذلك يدل على الاضطراب.
- وأخرى يُرجعها لأصل يهودي أو يوناني مما يعني اقتباس النبي – صلى الله عليه وسلم – لها من كتب اليهود، وهكذا.

فكأنه يريد أن يصف النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – أنه ربما لم يكن على بينة مما تدل عليه كلمة "أميّ" عند اليهود فأراد أن يجعل لها معنى جديدًا –كما زعم–، وهذا الذي زعمه ينهار كله بنقض أساسه؛ فإن كلمة "الأمي" وصف الله – تعالى– بها نبيه – صلى الله عليه وسلم – في آيتين في سورة الأعراف، وهي مكية، فقال تعالى: (**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)**) (٢).

(١) انظر في ذلك: ما كتبه العلاقة محمود شاكر في رسالته "في الطريق إلى ثقافتنا" (٦١).

(٢) الأعراف: من الآيات ١٥٧ – ١٥٨.

وهي أول السور الطوَّال نزولاً بمكة، ولم يكن للنبي – صلى الله عليه وسلم – صلة باليهود عندما كان بمكة، حتى يمكن للكاتب أن يزعم أن الكلمة أخذها النبي من اليهود عندما أطلقوها في ذلك الوقت على الوثنيين، ثم كانت قاصمة الظهر التي تردُّ أي تفسير لكلمة (أمي) بخلاف ما ورد في الآيات، وهو ما جاء في سورة النحل، وهي مكية أيضًا ما عدا الآيات (١←١١)، فقال تعالى في الآية (وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ) (١).

يقول ابن كثير: "أي لو كنت تحسنها – أي القراءة والكتابة – لأرتاب بعض الجهلة من الناس، فيقول: إنما تعلَّم هذا من كتب قبله مأثورةٍ عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أميٌّ لا يُحسن الكتابة" أ.ه (٢).

لقد أراد زويمر كغيره من المستشرقين أن يصل بهذا الادعاء إلى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان قارئًا اقتبس دينه وكتابه من الأديان السابقة والكتب المتقدمة، وهي دعوى لا تقوى على الثبات أمام أي سند تاريخي صحيح.

والآن أيها القارئ الكريم، إليك ما نقله زويمر عن أئمة التفسير واللغةِ لترى منهجه بجلاء:

يقول زويمر:

"Regarding the meaning of the word "ummi" Al Tabri says Commenting on the word in Sura"Alu Imran". (Vol. III, 142): "The ummiyyun are those among the Arabs who have no relevation" (3).

"فيما يتعلق بمعنى كلمة: "أمي" يقول الطبري معلقًا على الكلمة في سورة "آل عمران" المجلد الثالث/١٤٢) الأميون: هم من كان بين العرب ولم يكن لهم وحي منزَّل".

---

(١) العنكبوت: الآية ٤٨.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢٨٦/٦). ط. طيبة. الرياض، وانظر في الآثار المروية عن السلف "الدر المنثور" للحافظ السيوطي (٥٧٤/٣) ط. دار الفكر.

(3) S. Zwemer. Across the world of Islam. P. 58.

ويقول:

"We read in the Arabic dictionary, Taj Al Aroos, that Mohammed was not altogether, illiterate, but that "he couldn't distinguish between bad and good writing" (1).

"إننا نقرأ في القاموس العربي، تاج العروس: أن محمدًا لم يكن أميًا تمامًا، وإنما لم يكن يميز بين الكتابة الجيدة والرديئة".

ويقول:

"Fahr al. Razi however (Vol. VIII. 149)in commenting on chapter (VII:2) says: ummi means related to the people of the Arabs, because they are an nmmi people who have no book and don't read a book or write "Ibn Abbas says: the meaning is" Those who have no book and no prophet sent unto them" (2).

"يقول الفخر الرازي (١٤٩/٨) في تفسيره الجزءَ السابع: الأمي تعني من له صلة بالعرب لأنهم أميون ليس لديهم كتاب ولا يحسنون القراءة أو الكتابة، ويقول ابن عباس عن المعنى: الأميون: الذي لا كتاب لهم ولم يرسل إليهم رسول".

ويقول:

"Baidhawi interprets (Vol. 1.150) "The ummi is he who neither reads nor writes". The commentary called AL. Khazin says "vol. II, 147) "The ummi is he who is like the Arabs or the people of the Arabs because most of them neither write nor read".(3).

"يفسر البيضاوي، (المجلد الأول/١٥٠) الأمي: من لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب" وفي تفسير الخازن (المجلد الثاني/١٤٧) الأمي: هو الذي على صفة أمة العرب لأن العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ".

---

(1) Ibdi, 58.
(2) Ibdi, 59.
(3) S. Zwemer. Across the world of Islam. P. 59.

وأخيرًا بعد أن عرض زويمر هذه النصوص، قال على لسان نولديك مقــرًا بذلك.

"Mohammed desired to be known as one who didn't understand reading and writing he therefore employed a number of scribes and always had letters that come to him read out to Him" (1).

"رغب محمد في أن يعرف كشخص لا يفقه القراءة والكتابة،ــ ولذلك قام بتوظيف عدد من الكُتَّاب، ودائمًا كانت تأتيه الرسائل وتقرأ له".

لقد أراد زويمر أن يقنع من يقرأ له أن هذه الآيات المشتملة على هذه الكلمة ليس فيها حجة على المعنى المراد إثباته للنبي – صلى الله عليه وســلم –، وذلــك لأنها تحمل أكثر من معنى مما يجعلها خارج محل الاستشهاد.

والجواب عن ذلك من وجوه

الأول: ليس هذا بعشك فادرجي (٢):

فما المستشرق حتى يفتي في اللسان العربي، والتــاريخ العربــي، والــدين العربي؟! إنه فتى يتلقى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابهــا وتواريخها، عن أعجمي مثله وبلسان غير عربي، ثم يستمع إلى محاضر في آداب العرب وأشعارها أو تاريخها أو دينها، أو سياستها بلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل.

فكيف يجوز في عقل عاقل أن تكون بضع سنوات قلائــل كافيــة لطالــب غريب عن اللغة، وهذه حالة، أن يصبح محيطًا بأسرار اللغة وأســاليبها الظــاهرة والباطنة، وبعجائب تصاريفها التي تجمعت وتداخلت على مرِّ القرون البعيدة فــي آدابها؟

إن هذا الشرط صعب عسير على الكثرة الكاثرة من أبناء هذه اللغة أنفسهم، ولا يبلغ هذا المبلغ إلا القليلُ منهم فكيف بغيره؟

(1) Ibid. P. 65.

(٢) وهو مثل يُضرب لمن يتعرض إلى شيء ليس منه، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: درج. (١١/٢) ط. المكتبة العلمية. بيروت.

إن أحسن أحوال هؤلاء، ومنهم زويمر ومن احتج بكلامهم أن يكونوا في منزلة طالب عربي في الرابعة عشرة من عمره، بل هو أقل منه على الأرجح، أي هو من طبقة العوام الذين لا يعتد بأقوالهم أحد.

"إن كثيرًا من دراسات المستشرقين الناطقين بالإنجليزية قد تتميز بالتألق والجاذبية، ولكن حين يغوص المرء تحت المظاهر السطحية من الحواشي المتعالمة والمراجع المنسقة، يجد المرء نفسه مضطرًا لأن يواجه نذير الخطر في إلقاء القول على عواهنه والتخمين وإصدار الأحكام التي لا يشهد لها إلا القليل من الشواهد، أو لا يشهد لها شاهد قوي على الإطلاق، فإن المهارة في فك رموز النصوص العربية أو الفارسية أو التركية شيء له اعتباره بطبيعة الحال، .... وفي مجال الدراسات الإسلامية قد تكون المادة اللغوية والأدبية والتاريخية من التشابك إلى درجة تلزم الباحثين أن يتوفروا على بذل الكثير من المحاولات إلا أنهم في خلال هذه المحاولات يجدون أنفسهم يكتبون التاريخ في غالب الأمر من حيث لا يدرون وهم لم يؤهلوا لهذا العمل إلا قليلاً" (١) أ.هـ.

الثاني: لقد ذكر زويمر كلامًا للطبري – رحمه الله – ظنًا منه أن من يقرأه يذعن بتفسير الأمية بالشرك، وترك كلامًا له أو جَهِله يعتبر فاصلاً في موطن النزاع يقول الطبري بعد أن ذكر ما روى عن ابن عباس أن الأميين: "قوم" لم يصدقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتابًا أنزله الله، فكتبوا كتابًا بأيديهم" (٢).

وهذا التأويل على خلاف ما يُعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أن الأميَّ عند العرب: هو الذي لا يكتب أ.ه. (٣).

---

(١) عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية "دراسة نقدية" (٢٩)، ترجمة د. قاسم السامرائي ط. عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود.

(٢) الأثر لا يصح لأن الضحاك بن مزاحم لم يدرك ابن عباس.

(٣) أبو جعفر الطبري، جامع البيان (٢/٢٥٧) ط. الرسالة.

يقول الدكتور محمد أبو ليلى في معرض رده لهذه الفِرية:

"وأما زعم المستشرقين بأن القرآن لا يتضمن كلمة "أمي" بمعنى انعدام القدرة على القراءة والكتابة فزعم متهافت، وتحريف لألفاظ اللغة عن معاينها، وتخصيص لمعاني الألفاظ بلا مبرر، إذ إن المعنى الأول لكلمة "أمي" هو عجز الشخص عن القراءة والكتابة، هذا أمر بديهي، ومن القواعد الأصولية المقررة أننا ينبغي ألا نخرج على ظاهر معنى اللفظة أو العبارة إلى غيره إلا لضرورة توجب ذلك شريطة أن تكون هذه الضرورة مؤيدة بالدليل، والأمي بالمعنى الظاهر والمشهور مذكور في القرآن بصورة واضحة" أ. ه (١).

ولا تناقض بين التأويلين من أبي جعفر الطبري – رحمه الله –؛ فمشركو العرب كانوا بالجزيرة العربية التي بعث فيها النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكانوا أميين، فلم يذكر الطبري ما وصفهم به قبل ذلك، وهذا من فعل الأئمة الأعلام الذي جهله كثير ممن لم يمارس العربية فضلاً عن المستشرقين، ولعلك ترى ذلك واضحًا في تفسير الرازي حيث جمع بين الوصفين فزال الإشكال بحمد الله – تعالى –.

الثالث: إن الناظرَ فيما ذكره زويمر عن قاموس "تاج العروس" والمراجع لما نقله في موضعه يتبين له:

١- إنه لم ينقل كلام المرتضى الزبيدي المتعلق بالمسألة.
٢- أنه نسب كلام غيره مع تحريفه له.

ففي "تاج العروس":

"وقيل لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – الأمي؛ لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولاً وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة، لأنه – صلى الله عليه وسلم – تلا عليهم

(١) محمد أبو ليلى، القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي (١١٧)، ط. دار النشر للجامعات الطبعة الأولى ١٤٢٣ ه. ٢٠٠٢م.

كتاب الله منظومًا تارة بعد أخرى بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه ففي ذلك أنزل الله تعالى: **(وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)** (١) أ. ه. (٢).

وأما ما ذكره زويمر، فليس من كلام صاحب القاموس، وإنما هو من كلام الحافظ ابن حجر، نقله عن البغوي في التلخيص الحبير، وهذا نصه، وقارن بينه وبين تحريف زويمر:

"وقال البغوي في التهذيب: قيل: كان يُحسن الخط ولا يكتب، ويُحسن الشعر ولا يقوله، والأصح أنه كان لا يحسنها، ولكن كان يُميِّز بين جيد الشعر ورديئة" انتهى (٣).

فهذه سقطة تبين لك بعض سمات المنهج الذي سار عليه زويمر في دراسة الإسلام.

الرابع: أن الكلمة قد تأتي في لغة العرب ولها أكثر من معنى، وهو ما يسمى بالمشترك اللفظي كالعين والقرء، وعسعس وغير ذلك، فإذا أمكن حملها على أكثر من معنى لا تنافر بينهم في موضع واحد فلا جرح، بل هو أولى، وهذا مما يدل على ثراء لغة العرب التي يجهلها المستشرقون.

مثال ذلك: قول الله تعالى: **(وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ)** (٤).

فمن السلف من فسرها بالإدبار، ومنهم من فسرّها بإقبال الليل (٥)، وحمل الآية على المعنيين أولى، فالله تعالى أقسم بالأمرين، وهكذا هنا في لفظ الأميين، والسلف قد يفسرون اللفظ بدلالة التضمين أو اللزوم أو التطابق والله أعلم.

---

(١) العنكبوت: آية ٤٨.

(٢) المرتضى الزبيدي، تاج العروس (٢٣٧/٣١) ط. دار الهداية.

(٣) التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني (٢٦٨/٢) ط. مؤسسة قرطبة.

(٤) التكوير: الآية ١٧.

(٥) انظر: غير مأمور – جامع البيان (٢٥٥/٢٤) ط. الرسالة.

الخامس: لو كان النبي – صلى الله عليه وسلم – غير صادق فيما قال بأن الله – تعالى – وصفه به (**وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**) (١)، وهو الذي قد عاش في قومه إلى حين نزول هذه الآية – آية العنكبوت – نحو خمسين سنة، وهم يعرفونه ويعرفون أحواله وأخباره، لا يخفى عليهم منها شيء، وهم في قرية صغيرة، أهلها محصورون معروفون غير متكاثرين، ولا تزال هذه القرية قائمة إلى اليوم، ومن دخلها ورآها علم أنه إن أقام بها بضعة أشهر عرف أكثر أهلها، وأحاط بكثير من أخبارهم مفصلة كالمعهود في القرى، مع ازدياد سكانها في هذه العصور، واختلاف أجناسهم ولغاتهم، بخلاف ما كان في أول عهد النبوة، فلو كان قومه يعلمون عنه معرفة شيء من القراءة والكتابة لكان لهم السبيل إلى نفي قوله، ولقامت عليه حجتهم واضحة ظاهرة، بل ما أظن أن أحدًا مستقيم الفكر يتصور هذا الموقف، وأنه مما يحوز وقوعه:

"موقف رجل يدَّعي لنفسه صفةً بين قوم يعرفونه، ويعرفون أحواله طفلاً ثم شابًا ثم رجلاً، ثم كهلاً، ثم هو يقرعهم بهذه الصفة التي ينسبها لنفسه، بل يجعلها آية ومعجزة له تؤيد دعواه النبوة، ثم لا يكون صادقًا فيما وصف به نفسه من أنه لا يقرأ ولا يكتب" (٢).

وأما ما ورد بخصوص نزول جبريل – عليه السلام – على النبي – صلى الله عليه وسلم – في غار حراء وضمِّه، ثم قال له: اقرأ، فقال – صلى الله عليــه وسلم – "ما أنا بقارئ" فقد قال زويمر:

"The uncertainty regarding the text and its significance in the tradition mentioned is clear when we consult the commentaries. For example, the author of Fath – al – Bari (Vol. 1. P. 18) in his comment on Bukhari's text states that "the meaning of the word ma ana biqqari" are I'm not able to read well or readily". He goes on to say that the text itself is

(١) العنكبوت: الآية ٤٨.

(٢) أحمد شاكر، مجموع المقالات (٤٥٣) بتصرف يسير.

uncertain, and that according to one narrator, Mohammed didn't say "I can not read" nor "I am not a reader", but he said "How can I read?" or again according to another account "What shall I read?"

All of this shows that the matter is uncertain and God knows best, as the Moslem say" (1).

"إن التردد بخصوص هذا النص المذكور ومعناه يبدو واضحًا عندما نطالع التعليقات عليه، فعلى سبيل المثال، بيَّن مؤلف فتح الباري (المجلد الأول/١٨) في تعليقه على نص البخاري أن معنى "ما أنا بقارئ" هو "ما أحسن القراءة"، ثم ذهب يقول: إن النص نفسه غامض، فطبقًا لأحد الرواة: لم يقل محمد "لا أستطيع القراءة، ولا أنا بقارئ" ولكنه قال: كيف اقرأ؟ وإلا فطبقًا لتقرير آخر "ماذا اقرأ؟".

فكل هذا يبين أن الأمر غامض، والله أعلم! "كما يقول المسلمون". أ.ه.

أراد زويمر أن يصل بكلامه هذا لنتيجة مفادها أن هذا الحديث الذي يعتمد عليه من يثبت أمية النبي – صلى الله عليه وسلم – لا حجة فيه، وذلك لأن كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – غامض لا يتضح معناه كما زعم في نقله عن الحافظ في الفتح، وكذلك لِما طالعه من تعليقات على هذا الحديث.

فما هو كلام الحافظ تعليقًا على هذا الحديث؟

وما تعليقات غيره من أئمة العلم الذين يزعم زويمر اضطرابهم في ذلك؟

يقول الحافظ ابن حجر في الفتح ما نصه:

"قوله (ما أنا بقارئ) ثلاثًا. "ما" نافية، إذا لو كانت استفهامية لم يصلح دخوله الباء، وإن حُكي عن الأخفش جوازه وهو شاذ، والباء زائدة لتأكيد النص أي. ما أحسن القراءة، فلما قال ذلك ثلاثًا قيل له "اقرأ باسم ربك" أي: لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته، فهو يعلمك، كما خلقك وكما نزع

(1) S. Zwemer. Across the world of Islam. P. 68.

عنك علق الدم وغمْز الشيطان في الصغر، وعلَّم أمتك حتى صارت تكتب بـالقلم بعد أن كانت أمية، ذكره السهيلي" أ.ه (١).

فأنت ترى أن الحافظ أكد أن (ما) نافية، وردَّ على من قال :إنها استفهامية، بل الباء لتأكيد النفي، وشرح ذلك.

وأما نقله عن الحافظ عن بعض الرواة بما يفيد الالتباس، فإليك كلام الحافظ مجموعًا ليتبين لك الحق.

"فإن قيل: لم كرر ذلك ثلاثًا؟ أجاب أبو شامة بأن يحُمل قوله أولاً: "ما أنـا بقارئ" على الامتناع، وثانيًا على الإخبار بالنفي المحض، وثالثًا على الاستفهام.

ويؤيده أن في رواية أبي الأسود في مغازية عن عروة أنه قال: كيف اقرأ؟ وفي رواية عبيد بن عمير عن ابن إسحاق: "ماذا اقرأ؟" وفي مرسل الزهري فـي دلائل البيهقي: "كيف: اقرأ"؟ وكل هذا يؤيد أنها استفهامية والله أعلم". أ.ه (٢).

لم يفهم زويمر بنقله هذا مراد الحافظ – رحمه الله –، فإنما يريد قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في الثالثة "ما أنا بقارئ"، أنها للاستفهام كما نص الحافظ على ذلك في كلامه.

وثانيًا: هذه الروايات كلها من المراسيل كما صرَّح الحافظ هنا في رواية الزهري وعروة – رحمه الله – لم يدرك الواقعة، وكذلك عبيد بن عمير؛ حيث قـال الحافظ في (٥٨٩/٨): "وقع عند ابن إسحاق في مرسل عبيد بن عميـر" أنَّ النبي قال: أتاني جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب قال: اقرأ، قلت: ما أنـا بقارئ" **والمرسل من قسم الضعيف عند أهل العلم كما قال مسلم – رحمـه الله – في مقدمته للصحيح (٣)، فلا حجة فيه ليقاوم المتصل الصحيح.**

وكذلك مرسل عبيد بن عمير كان عن منام بخلاف حديث عائشة الذي ذكره زويمر فالوقعتان مختلفتان كما نبه على ذلك في فتح الباري في (بابٌ: أول ما بُدئ

(١) فتح الباري (٣٢/١) ط. الريان.
(٢) نفس المصدر (٣٣/١).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦٢/١) ط. دار الحديث.

به رسول الله – صلى الله عليه وسلم –)، فأتضح الآن أنه لا تعارض بين الروايات لصحة رواية البخاري وحدها، أو لحمل الروايات على أحوال مختلفة.

وأما عن قول زويمر إننا نلاحظ التردد أو الرِّيبة في معنى الحديث عندما تطالع التعليقات على هذا الحديث، فما هي التعليقات التي توهم الريبة كما زعم زويمر.

١- قال محمد أنور شاه الكشميري [(١)]. "قيل: ما في الأولى نافية، أي لست بقارئ، وفي البواقي استفهامية، أي: أي شيء اقرأ؟ **والأرجح عندي أنها كلها نافية**" أ.ه.

٢- قال السيوطي في الديباج على صحيح مسلم [(٢)] "ما" نافية: أي ما أحسن القراءة، **وقيل استفهامية، ورُدَّ بدخول الباء في الخبر**" أ.هـ.

٣- قال النووي في شرحه على صحيح مسلم [(٣)].

"معناه: لا أحسن القراءة، فما نافية، هذا هو الصواب، وحكى القاضي عياض – رحمه الله – فيها خلافًا بين العلماء، منهم من جعلها نافية، ومنهم من جعلها استفهامية، وضعفوه بإدخال الباء في الخبر، قال القاضي: ويصحح قول من قال استفهامية رواية من روى (ما أقرأ)، ويصح أن تكون (ما) في هذه الرواية أيضًا نافية. والله أعلم" أ.ه.

فهذه ثلاث نقولات لأهل العلم متفقة ولولا الإطالة لذكرت غيرهم.

بقيت شبهتان تعلَّق بهما زويمر في دعواه أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يستطيع القراءة والكتابة، وبالتالي اطَّلع على الكتب المتقدمة واقتبس منها.

(١) فيض الباري (١/١٠٠) ط. دار الكتب العلمية.

(٢) (١/١٨٨) ط. دار ابن عفان ط. الأولى.

(٣) (١/٤٧٩) ط. دار الحديث. ط. الثالثة.

الأولى: ما ورد في صلح الحديبية:

يقول زويمر:

"In regard to the treaty between Mohammed and koreish at Hudaibiya, Known as the oath of Ridhwan Muir gives along account; although he doesn't mention the fact that when Ali refused to write the words "Mohammed, the son of Abdullah". That Mohammed himself wrote these words" (1).

"فيما يتعلق بالمعاهدة التي كانت بين محمد وقريش في الحديبية والمعروفة ببيعة الرضوان، ذكر موير تقريرًا طويلاً، على الرغم من عدم ذكره أنه عندما رفض عليٌّ، أن يكتب "محمد بن عبد الله"، كتبها محمد بنفسه.

قلت: هذا الأمر قد يستدل به من قال: إنه عرف القراءة والكتابة بعدما أنزل عليه، بدليل أنه محا اسمه – صلى الله عليه وسلم – من وثيقة صلح الحديبية حين رفض عليٌّ – رضي الله عنه – أن يمحوه كما سيأتي في الحديث بعد قليل.

ولا يستبعد من فعله – صلى الله عليه وسلم – أنه يعرف صورة اسمه وصفته (محمد رسول الله)، ويمحو الكلمة التي بعد الاسم، أو يكون (محاها) بمعنى أمر بمحوها.

وممن ذهب إلى أنه – صلى الله عليه وسلم – عرف الكتابة في أواخر حياته أبو الوليد الباجي – رحمه الله –(٢)، أحد أعلام المالكية المغاربة، ولمَّا قال ذلك، طُعن فيه ورُمي بالزندقة، وسُبَّ على المنابر.

وجُلُّ ما اعتمد عليه أبو الوليد الباجي، حديث عن أبي إسحاق عن البراء قال: "لمَّا اعتمر النبي – صلى الله عليه وسلم – في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلمَّا كتبوا الكتاب كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا:لا نُقر بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئًا، ولكن أنت محمد بن عبدالله، فقال: أنا رسول الله، وأنا محمد

---

(1) S. Zwemer. Across the World of Islam. P. 70.

(٢) ذكره زويمر محتجًا بكلامه نقلاً عن القسطلاني في المصدر السابق، ص ٦٦.

بن عبد الله، ثم قال لعليٍّ: أمح رسول الله، قال علي: لا، والله لا أمحوك أبدًا، فأخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضي محمد بن عبد الله...."الحديث" (١).

قال الحافظ ابن حجر جوابًا على ذلك:

"القصة واحدة والكاتب فيها عليٌّ، وقد صرح في حديث المِسْور بأن عليًا هو الذي كتب، فيحمل على أن النكتة في قوله: "فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب "لبيان أن قوله: "أرني إياها" أنهَّ ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع عَلٌّى من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة، وعلى أن قوله بعد ذلك: فكتب "فيه حذف تقديره: فمحاها فأعادها لعليٍ فكتب، وبهذا جزم ابن التين وأطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة، وهو كثير كقوله: كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى، وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابه اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالمًا ويخرج عن كونه أميًا، فإن كثيرًا ممن لا يُحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويُحسن وضعها بيده وخصوصًا الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًا ككثير من الملوك.

ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ، وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة، ولا يخرج بذلك عن كونه أميًا" أ.هـ. (٢).

قال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ:

"ولعله لكثرة ما أملى على كتَّاب الوحي وكُتَّاب السنن والكتب إلى المملوك عرف من الخط ،وفهمه وكتب الكلمة والكلمتين كما كتب اسمه الشريف يوم الحديبية محمد بن عبد الله، وليست كتابته لهذا القدر اليسير مما يخرجه عن كونه أميًا ككثير من الملوك أميين ويكتبون العلامة" أ.ه (٣).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٩)، باب: الصلح مع المشركين، وأحمد (١٨٨٣٨) وغيرهما.

(٢) فتح الباري (قوله: باب عمرة القضاء) (٥٧٦/٧) ط. الريان.

(٣) تذكرة الحفاظ (٢٣٠/٢) ط. دار الكتب العلمية.

الثانية: ما ورد في بعض الأحاديث:

يقول زويمر:

"Springer give others proofs which are not so conclusive, although they are cumulative. He quotes traditions according to which Mohammed gave instructions to one of his scribes in words that prove his knowledge, not only of penmanship, but of calligraphy. How else could he have said: "Put down the ink pot, cut the pen, divide the strokes of the sin and do not lengthen the mim so much"? Ibn Abi Shaiba said "The prophet knew how to read and write before he died" If this tradition is reliable, it is important." (1).

"يعطينا سبر نجر براهين أخرى ليست قاطعة جدًا، ولكنها تراكمية، فهو يقتبس من التراث أن محمدًا أعطى تعليمات لأحد كُتَّابه في كلمات لا تثبت معرفته فقط بفن الخط، ولكن بحسن الخط كذلك، وإلا كيف قال "ألق الدواة، وحرِّف القلم، وفرِّق السين، ولا تطل الميم كثيرًا".

قال ابن أبي شيبة: "ما مات رسول الله حتى قرأ وكتب"، فهذا تراث مهم لو كان موثوقًا به".

قلت: لقد ظهر جليًا أن ديدن زويمر هو التجميع فقط لإقناع القارئ بهذا الكم، وإلا فلو رجع إلى فتح الباري الذي نقل منه لوجد الحافظ يقول عن هذه الأحاديث بعد أن ذكرها:

"وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث" (٢).

فأما الحديث الأول فقد رواه الديلمي، والقاضي في الشِّفا، وحكم بعدم صحته، وأما الحديث الثاني فقد رواه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد، عن عون بن عبد الله قال "ما مات ......" الحديث ولا يصح الإسناد، فبان أنه لا حجة في ذلك أيضًا.

---

(1) Ibid, P. 66.

(٢) فتح الباري: باب عمرة القضاء (٧/٥٧٥).

سبب أخر دعا زويمر لتصور اقتباس النبي – صلى الله عليه وسلم – من الكتب السابقة:

إن المتأمل لبعض ما كتبه زويمر، أو نقله عن غيره من المستشرقين يعلم سبب ظن زويمر أن النبي – صلى الله عليه وسلم –اطلع على الكتب السابقة، ومن ذلك بعض المعاني التي تشابهت بين الكتب السماوية.

يقول زويمر:

"Although as we have seen, there are many references to Jesus Christ in the Koran, it is remarkable that there is not a single direct quotation from the new Testament in the whole book, and only one from the old Testament (surah 21: 105). There are passages in the Koran, however, which indicate that Mohammed either directly or indirectly borrowed scripture thought if not language" (1).

"بالرغم من وجود إشارات كثيرة لعيسى المسيح في القرآن كما رأينا، فمن الملاحظ أنه لا يوجد اقتباس مباشر من العهد الجديد في الكتاب كله، وواحد فقط من العهد القديم (سورة رقم ٢١:١٠٥) (٢)، ومع ذلك يوجد الكثير من المقاطع في القرآن تشير إلى أن محمدًا اقتبس بشكل مباشر أو غير مباشر فِكْر الكتاب المقدس إن لم يكن أسلوبه"

ويقول أيضًا:

"Professor Goldziher has shown in his studies of Islam that from the earliest century regarded Christianity asareligion from which something could be learned and didn't therefore disdain to borrow from it. This is acknowledged by the Mohammedan theologians themselves" (3).

---

(1) S. Zwemer, The Moslem Christ. P. 135.

(٢) آية الأنبياء: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) الآية ١٠٥.

(3) S. Zwemer. Across the world of Islam. P. 75.

"لقد بين البروفيسور جولدزيهر في دراساته للإسلام أن الإسلام منذ القرن الأول اعتبر المسيحية دينا يمكن تعلُّم شيء منه، ولذلك لم يترفع عن الاقتباس منه، وهذا أمر معروف لدى علماء الدين المحمدي أنفسهم".

إذا نظرنا إلى هذين النقلين أتضح لنا جليًا سبب ظن زويمر اقتباس النبي – صلى الله عليه وسلم – من الكتب السابقة، وهو لا يخرج عن أمرين:

١- تشابه الأسلوب بين القرآن وغيره.

٢- التشابه في بعض المعاني.

فأما الأول، فيصدق على من ادعى ذلك قولُ الشاعر:

أيها المنكحُ الثريا سهيلاً عمرك الله، كيف يلتقيان
هي شاميةٌ إذا ما استقلت وسُهيلٌ إذا استقل يمانِ (١)

فشتان بين أسلوب القرآن المعجز في ذاته، وعجز فحول العرب أن يأتوا بسورة من مثله، ومن ذاق عرف، وغيره من الأساليب لفظًا ونظمًا كالتوراة والإنجيل.

فالنظم القرآني هو طريقة التأليف العجيبة التي تفرد بها القرآن وخالفت جميع طرق العرب في البلاغة وأعجزتهم عن إجابة التحدي الذي دعاهم إليه سواء من جهة المعنى، حيث تبدو بلاغة المعاني في مطابقتها للألفاظ التي جاءت هي الأخرى على غير المعهود من الجزالة، أضف إلى ذلك التراكيب التي جاءت معتدلة غير متباينة، متناسبة غير متنافرة، محكمة إذا نزعت إحدى لبناتها، ثم أديرت كلمات العربية كلمة كلمة لم يوجد أنسب منها (٢).

ومثال ذلك أننا لو نظرنا إلى ما كتبه أهل اللغة والمفسرون حول كلمة "ابلعي" في قوله تعالى: **(وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ........)** لرأينا أن التعبير بهذه الفريدة دون غيرها كاشربي أو امتصي هو عنوان الإيجاز وقمة الإعجاز حتى إن

---

(١) البيتان لعمر بن أبي ربيعة، الكامل (٤٧٩/١).

(٢) حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، ص ٧٤ – ٧٦ بواسطة الغارة التنصيرية على أصالة أصالة القرآن الكريم، ص ١٩٥، مرجع سابق.

عبد القاهر الجرجاني لم يجعل لهذه اللفظة موضعًا في الفصاحة والبلاغة إلا من خلال النظم الواردة فيه [1].

وأما الثاني فهذا أمر قد يُسلَّم، ولكن في أي شيء كان التشابه بين القرآن والكتاب المقدس؟

يقول الله – تبارك وتعالى – (**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**) [2].

إن نظرة متفحصة لهذه الآية الكريمة تجعلنا ندرك أوجه التشابه بين القرآن الكريم، وغيره من الكتب السماوية التي نزلت قبله، إنها الأصول التي اتفقت عليها جميع الشرائع من توحيد، ومكارم الأخلاق، وعبادات قد تختلف في هيئاتها وإفراده القرآن وقد دلت معظم آياته – إن لم تكن كلها – على توحيد الله وإفراده بالعبادة، نجد ذلك مبثوثًا في ثنايا الإنجيل مثلاً [3]، وإن حاول المبدلون إخفاءه وتحريفه، فعلى سبيل المثال:

"وسأله واحد منهم وهو ناموسي، ليجرِّبه قائلاً: "يا معلم، أيَّةُ وصية هي العظمى في الناموس، فقال له بيسوع: تُحب الربَّ إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والعظمى" [4].

---

(١) انظر: عمدة الحفاظ (٣٢٩/٢) للسمين الحلبي، دلائل الإعجاز (٤٥ – ٤٦) لعبد القاهر الجرجاني، فتح البيان (٣٥٩/٤) لصديق حسن خان، ولمزيد أمثلة "الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية"، عبد الله عبد الغني سرحان ط. دار الحضارة، ط. الأولى.

(٢) البقرة: الآية ٨٤.

(٣) ولا يعني هذا التطابق التام بين الأصول الإسلامية وأصول اليهودية والنصرانية فقد جاءت متباينة في كثير من المواضع كطبيعة الإله المعبود، والنبوات، واليوم الآخر، والكتب السماوية، والملائكة والقدر وغير ذلك. الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ص ١٩٦ – ٢٠٠، مصدر سابق.

(٤) متى (٣٦/٢٢).

"فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون، فلمَّا رأى أنه أجــابهم حســنًا، سأله: "أية وصية هي أول الكل؟ فأجابه يسوع: "إن أول كلِّ الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك" (١).

"وهذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحــدك، ويســوع المسيح الذي أرسلته أنا مجدتك على الأرض. العمل الذي أعطيتنــي لأعمــل قــد أكملته" (٢).

لمَّا عرض إبليس على المسيح – عليه السلام – بعض الأمور، وقال لــه: "أعطيك هذه جميعًا إن خررت وسجدت لي "حينئذ قال له يسوع: "أذهب يا شيطان؛ لأنه مكتوب: للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (٣).

وها هو بولس وبرنابا وقد ظن أناس من بني إسرائيل فيهما الألوهية بعــد شفاء رجل عاجز مقعد من بطن أمه فقالا لهم:

"أيها الرجال لماذا تفعلون ذلك؟ ونحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكم، نبشــركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض، والبحــر وكل ما فيها" (٤).

وغير ذلك كثير حتى قال شيخ الإسلام – رحمه الله فــي معــرض بيــان تحريف النصارى لمعاني القرآن: "وهذا الذي سلكوه في القرآن هو نظير ما سلكوه في الكتب المتقدمة وكلام الأنبياء من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها؛ فإن فيها من النصوص الكثيرة الصريحة بتوحيد الله وعبودية المسيح مالا يُحصى إلا بكلفة، وفيها كلمات قليلة فيها اشتباه فتمسكوا بالقليل المتشابه الخفي المشكل مــن الكتــب المتقدمة، وتركوا الكثير المحكم المبين الواضح" أ.ه (٥).

---

(١) مرقس (٢٨/١٢).
(٢) يوحنا: (١٣/١٧).
(٣) متى: (٤/١).
(٤) أعمال الرسل: (١٥/١٤).
(٥) ابن تيمية: الجواب الصحيح (٣٧٨/١).

وهكذا تجد ذلك في الأخلاق والعبادات مع أن القرآن اشتمل على أكملها كما هو معلوم لكل ذي أنصاف، بل فيه الكثير مما خالف فيه الكتب المحرفة من دعواهم أن المسيح – عليه السلام – صُلب، وقول بعضهم: إنَّه إله، وطعنهم في الأنبياء كسليمان وأبيه – عليهما السلام – وأمثال ذلك مما يبين أنه لم يأخذ عنهم.

بل في القرآن من قصص الأنبياء – عليهم السلام – مالا يوجد في التوراة والإنجيل مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك، وما وجد من قصص متشابه، فالهدف من ذكره مختلف، فالعهدان القديم والجديد يمثلان سجلاً تاريخيًا لحياة الشعب الإسرائيلي والنصراني، ولذلك جاءت عناوين الأسفار ملخصة لمضمون هذا السجل، وأما عن القصص فقد جاءت سردية تاريخية غير مؤثرة وجدانيًا في المتلقي أو مشوق له، وأما القصص القرآني فليس مسوقًا لذاته بل لأجل غايات وأهداف كثيرة يمكن إدراكها بالتفكير والتأمل في القصص لقوله تعالى (**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) ومن هذه الأهداف.

١- الاستدلال على التوحيد، وهو من أهم أهداف القصص القرآني كما في قصص الأنبياء مع قومهم.

٢- تثبيت الرسول والمؤمنين على الحق الذي يدعون إليه رغم ما يلقونه من مشقة ويتكبدونه من تضحيات، قال تعالى: (**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**).

٣- الحكم والفصل في مواضع الاختلاف والتضارب في قصص التوراة والإنجيل كما في قوله تعالى: (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**) (١).

وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله ، وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل، فمثلاً لا نجد توافقًا بين ما جاء في الإنجيل وما جاء في القرآن عن المحرومين من دخول الجنة، ففي الإنجيل أن المسيح قال

---

(١) د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم (٢٣١ – ٢٣٥)، وقد ذكر كثيرًا من أوجه الخلاف إضافة إلى ما تم ذكره.

لتلاميذه "الحق أقول لكم: إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله" (متى ١٩/٢٣-٢٥) ففي هذا النص حرمان الأغنياء من الجنة، بينما ضُرب في القرآن في معرض الحديث عن الكفار المكذبين لا الأغنياء [١].

وأخيرًا لعلَّ أبرز ما يتضح لكل من وجد إنصافًا من نفسه عن مطالعته للقرآن، تلك النزعة الشخصية والمشاعر الإنسانية التي غابت عن صفحات القرآن، فلا يظهر منه حزن الاستضعاف المكي، ولا نشوة النصر المدني، لا نجد فيه أي حديث يتعلق بآلام النبي – صلى الله عليه وسلم – وأفراحه وآماله وتطلعاته، فكما لا يتحدث القرآن عند موت زوجه خديجة وعمه أبي طالب، فإنه لا يذكر شيئًا عن زواجه أو ميلاد أولاده أو وفاتهم، أو غير ذلك من الأمور الشخصية المتعلقة بزوجاته أو أصحابه[٢].

أمَا سأل زويمر نفسه، كم مرة ذكر فيها اسم النبي في هذا السفر العظيم؟

لم يُذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – في صفحاته إلا خمس مرات، بينما ذكر عيسى – عليه السلام – باسمه أكثر من عشرين مرة، وذكر موسى – عليه السلام – بما يربو على المائة مرة ليبرهن لكلِّ قارئ أنه كتاب الله، وليس كتاب محمد – صلى الله عليه وسلم – أما سأل هؤلاء أنفسهم عن هذا العتاب المتلو إلى قيام الساعة للنبي – صلى الله عليه – في سور كعبس [٣]، والتوبة [٤]،

(١) منقذ السقار، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين (٦٥) ط. رابطة العالم الإسلامي، بدون تاريخ.

(٢) نفس المرجع (٣٩)، وكذلك: محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم (٥٥) ط. دار القلم، الكويت، الطبعة العاشرة.

(٣) وهو قوله تعالى: (عَبَسَ وتَولَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) ومَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) ومَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١)).

(٤) وهو قوله تعالى: (عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ (٤٣))

والأحزاب[١]، والحاقة [٢] وغير ذلك، مع أن شأن البشر – حين يكتبون – تمجيد أنفسهم وتعظيم ذواتهم عند الناس، فالبشر يكتبون ليخلِّدوا ذكرهم ومفاخرهم ويتعامون بالطبع عن ذكر معايبهم وأخطائهم، فأين هذا في كتاب الله – تبارك وتعالى – وصدق الله تعالى: **(فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)** [٣].

(١) وهي قوله تعالى: (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً (٣٧))

(٢) وهو قوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧))

(٣) الحج: الآية ٤٦.

المبحث الثاني

تأثر الإسلام بالوثنية

لم يتوقف زويمر عند زعمه أن الدين الإسلامي تأثر تأثرًا كبيرًا باليهودية والمسيحية، وقد بنى ذلك على ما قدمناه من شبهته التي استفاض في عرضها، وهي قدرة النبي – صلى الله عليه وسلم – على القراءة والكتابة، وبالتالي مطالعته للكتب السابقة.

لقد نحا زويمر منحى أخر قال فيه إن نبينا – صلى الله عليه وسلم – استمد بعض ما جاء به مما كان عليه أهل الجاهلية من الوثنية وعبادة الأصنام، وكذلك من طبيعة البيئة التي عاش فيها.

يقول زويمر:

"The idea of Mohammed regarding God's existence, character and attributes come to him from three sources:

First, he undoubtedly had acknowledged of God from nature, and the passages of the Koran which set forth this natural theology are some of the most beautiful and poetic in the whole book. Then, by his heredity and environment he couldn't free himself from the pagan ideas of Deity current among the Arabs…" [1].

"جاء رأي محمد فيما يتعلق بوجود الرب، وذاته، وصفاته من ثلاثة مصادر: فالأول الذي لا شك فيه حصوله على معرفته بالرب من الطبيعة، ونصوص القرآن التي استعرضت هذه النظرية اللاهوتية الطبيعية واحدة من أكثر النصوص جمالاً وشاعرية في الكتاب كله، ثم بواسطة ما ورثه من البيئة التي لم يستطع تخليص نفسه من الأفكار الوثنية المنتشرة فيما بين العرب عن الإله المعبود...".

(1) S. Zwemer. The Moslem Doctrine of God. P. 19.

ويقول كذلك عن عبادة الحج:

"In fact the whole ceremony of the Moslem pilgrimage to Mecca is taken over from pre-Islamic practice and is thoroughly pagan" (1).

"في الحقيقة، إن المراسم الكاملة لحج المسلمين إلى مكة مأخوذة من ممارسات قبل الإسلام وكلها وثنية"

ويقول كذلك عن اسم الله "الصمد"

"One other term often used for Allah we will have occasion to study later. It is the word Es-samad [The eternal] and seems to come from the same root as Samood, the name of an idol of the tribe of "Ad" (2).

"كلمة أخرى تستخدم غالبًا للإشارة إلى الله، وستأتي مناسبة لدراستها فيما بعد، إنها كلمة "الصمد" "الدائم"، ويبدو أنها مشتقة من نفس جذر كلمة "صمود"؛ اسم صنم لقبيلة عاد".

ثم قال بعد أن أشار في الحاشية إلى تاج العروس ليؤكد كلامه:

"We thus are led back to the sources from which the Arabian prophet drew his ideas of Allah. From Arabian paganism" (3).

"وهكذا عدنا إلى المصادر التي رسم من خلالها النبي العربي فكرته عن الله، إنها الوثنية العربية".

كانت هذه بعض الكلمات التي خطَّها قلم زويمر ليثبت لقارئيه أن هذا الدين الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – على حد قوله [A composite religion] كما سبق ولكن قبل بيان هذه الفرية التي لا توجد إلا في رأس قائلها، ويكذبها كل منصف مطلع على ما جاء به خير البرية – صلى الله عليه وسلم –، ينبغي أولاً التعريج ولو سريعًا على هذه النقطة التي ذكرها زويمر في بداية النقل

(1) S. Zwemer. Islam A challenge to Faith. P. 11.
(2) S. Zwemer. Islam A challenge to Faith. P. 27.
(3) Ibid, P. 28.

عنه، وهي فرية استمداد النبي دينه كذلك من الطبيعة المحيطة به، فأقول مستعيناً بالله – تعالى –:

إن كلَّ دارس لما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – لابد أن يؤديه تجرده للحق إلى نتيجة واحدة؛ وهي ألوهية هذه الرسالة المحمدية، فمهما أوتى بشر من قوة وذكاء وعبقرية فلن يأتي بمعشار ما أتى به، ولذلك تحدى الله تبارك تعالى قوم محمد – صلى الله عليه وسلم – قائلاً: **(فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا......)** (١)، فجاءت الآية "بلن" التي تفيد عجزهم عن ذلك، وحقًا وقع ما أخبر به القرآن، ولو كانوا مستطيعين لجمعوا شهداءهم، وبذلوا في ذلك رغائب أموالهم لخطبائهم وشعرائهم وأحبارهم وسحرتهم وأنَّي يكون لهم ذلك؟!!

إذن، لن يشفع لزويمر وغيره من المستشرقين أن يدندن بين الحين والآخر على عبقرية محمد – صلى الله عليه وسلم – قائلاً:

"There is nothing novel about it, except the genius of Mohammed in mixing old ingredients into a new panacea" (2).

"لا يوجد شيء جديد بالنسبة له (الإسلام)، ولكنها عبقرية محمد في مزج عناصر قديمة في ترياق جديد".

ويقول:

"We can never deny that he was a man of great talents" (3).

"لا نستطيع أبدًا أن ننكر أن محمدًا كان صاحب مواهب عظيمة".

مما لا شك فيه أن الوحي حقيقة غيبية، لا يطلع عليه مع العصمة واليقين أنه من عند الله تعالى إلا الأنبياء، ومن أنكره إما أن يستند إلى عدم إمكانه أصلاً، فلا يصدق بوجوده وهذا الفريق يمثله المذهب المادي الذي لا يؤمن إلا بالواقع المحسوس، وليس زويمر ممن يميل لهذا الرأي، وإما أن يكون الإنكار راجعًا إلى

---

(١) البقرة: الآيتان ٢٣ – ٢٤.

(2) S. Zwemer. A challenge to Faith. P. 24.
(3) Ibid. P. 32.

تكذيب النبي – صلى الله عليه وسلم –، والزعم بأن ما جاء به ليس وحيًا من الله تعالى، وإنما هو افتراء من عنده أو أنه تعلمه من غيره وصاغه بعبقريته وذكائه(١)، وهذا هو ما أشار إليه زويمر هنا، وطريق الرد على هؤلاء هو إثبات نبوة النبي – صلى الله عليه وسلم – بالدلائل العقلية الموجودة في القرآن وغيره مما لا يستطيع أحد إنكاره، وبالتالي يقال في مثل هذه الحالة بأنه لو كانت عبقرية محمد – صلى الله عليه وسلم – هي التي أعانته من خلال النظر في الطبيعة حوله في الوصول إلى ما دعا إليه الناس، فهل تستطيع عبقرية بشر أن تصل به إلى هذه العلوم والمعارف المذكورة في مثل هذه الآيات التي آثر زويمر أن يخفيها عن قارئيه؟!

يقول الله – تعالى –: **(فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ)** (٢)

وقال تعالى: **(وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ)** (٣)

وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)** (٤).

وقال تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)** (٥).

---

(١) عبد الله محمد القرني، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها (٨٥) بتصرف يسير. ط. مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٣٠ – ٢٠٠٩.

(٢) الطارق: الآية ٥٠.

(٣) الزاريات: الآية ٢١.

(٤) الحج: الآية ٥.

(٥) المؤمنون: الآيات ١٢ – ١٤.

أيُّ عبقرية هذه التي تستطيع أن تقرر مستقبل رسالة صاحبها، وأتباعه من المؤمنين، بل ومستقبل المعاندين له، ويقع الأمر كما أخبر تمامًا.

يقول الله – تبارك وتعالى –: (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ) (١) **ويقول: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)** (٢).

يقول الشيخ محمد عبد الله دراز: أتدري أيها القارئ الكريم متى وأين صدرت هذه البشارات المؤكدة، بل العهود والمواثيق؟ أنها آيات مكية في سور مكية، وأنت تعرف ما أمر الدعوة المحمدية في مكة. عشر سنوات من الإعراض من قومه – صلى الله عليه وسلم – والصدِّ عن الإصغاء له والاضطهاد، وتعذيب لتلك الفئة التي آمنت به، ثم مقاطعة، فمؤامرات سرية وعلنية على قتله أو نفيه، فَمنْ بعد ذلك يرى شعاعًا ولو ضئيلاً من الرجاء في ثنايا هذا الليل؟ وهَبْه امتلأ رجاءً بظهور دعوته في حياته مادام يتعهدها بنفسه، فَمنْ يتكفل له بعد موته ببقاء هذه الدعوة وحمايتها وسط أمواج المستقبل العاتية؟!

أخرج البخاري في صحيحه حديث عديٍّ بن حاتم قال: بينا أنا عند النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا أتاه رجلٌ فشكا إليه الفاقة ثم أتاه أخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: يا عدي، هل رأيت الحيرة، قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها، قال: فإن طالت بك حياة لترينّ الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَّار طيِّئ الذين قد سعَّرُوا البلاد؟، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلتُ: كسرى بن هرمز، قال: كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترينَّ الرجلَ يُخرج ملء كفِّه من ذهب أو فضّة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه... قال عديٌّ: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن

(١) الرعد: من الآية ١٧.

(٢) إبراهيم: الآيات ٢٤ – ٢٥.

هرمز، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم – صلى الله عليه وسلم – يخرج ملء كفِّه"، وعند أحمد "والذي نفسي بيده لتكوننَّ الثالثة لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد قالها" [١].

لقد مُنع المسلمون من دخول مكة عام الحديبية، واشترطت عليهم قريش إذا جاؤوها في العام المقبل أن يدخلوها عُزْلاً من كل سلاح إلا لسيوف في القِرب، فهل كان لهم أن يثقوا بوفاء المشركين بعهدهم، وقد بلوْا منهم نكث العهود وقطع الأرحام وانتهاك شعائر الله؟ أليسوا اليوم يحبسون هديهم أن يبلغ محله، فماذا هم صانعون غدًا؟ في هذه الظروف المريبة يحبيهم الوعد الجازم بالأمور الثلاثة مجتمعة: الدخول، والأمن، وقضاء الشعيرة **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ)**[٢]، فدخلوها في عمرة القضاء أمنين، ولبثوا فيها ثلاثة أيام حتى أتموا عمرتهم، وقضوا مناسكهم [٣].

وكذلك فيما يتعلق بمستقبل المعاندين، فلقد استعصى أهل مكة على النبي – صلى الله عليه وسلم – فدعا عليهم بسنين كسنى يوسف، فانظر ما قاله القرآن في جواب هذا الدعاء: **(فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)** [٤] فماذا جرى؟ أصابهم القحط حتى أكلوا العظام، وحتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد... رواه البخاري عن ابن مسعود. ثم انظر قوله بعد ذلك **(إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ)** [٥] تر فيها ثلاث نبوءات أخرى، كشف البؤس عنهم، ثم عودتهم إلى مكرهم السيء، ثم الانتقام منهم بعد ذلك، وقد

---

(١) المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها (١٣٤)، مرجع سابق، النبأ العظيم، مرجع سابق، وكذلك تنزيه القرآن الكريم من دعاوي المبطلين بمعناه، ص ٣١٢، مرجع سابق، والحديث رواه البخاري (٣٣٢٨)، باب علامات النبوة في الإسلام، وأحمد في المسند (١٧٥٤٨) وغيرهما.

(٢) الفتح: الآية ٢٧.

(٣) محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم (٧٧).

(٤) الدخان: الآيتان ١٠ – ١١.

(٥) الدخان: الآية ١٥ – ١٦.

كان ذلك كله كما بينه الحديث الصحيح المذكور، فإنهم لمَّا جاؤوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يستسقون وتضرعوا إلى الله (**رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ**) [١] سقاهم الله فأخصبوا، ولكنهم سرعان ما عادوا إلى عتِّوهم واستكبارهم، فبطش الله بهم البطشة الكبرى يوم بدر، حيث قُتل من صناديدهم سبعون، وأسر سبعون، إلى غير ذلك كثير.

فسبحان الله، ما أعجب شأن النبوءات القرآنية كيف تقتحم حُجبَ المستقبل قريبًا وبعيدًا، وتتحكم في طبيعة الحوادث توقيتًا وتأييدًا، وكيف يكون الدهر مصداقًا لها فيما قل وكثر؟ ثم يُقال بعد ذلك: إنها نِتاج النظر في الطبيعة! لقد صدق ابن القيم – رحمه الله – حين قال:

"وإذا طلع فجر الهدى وأشرقت النبوة فعساكر تلك الخيالات والوساوس في أول المنهزمين" [٢] (**وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**) [٣].

وهب أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – لفَّق هذا الدين من أمور شتَّى، ومنها النظر في هذا الكون، فأين ربُّ هذا الكون من هذا الافتراء – زعموا –؟ أين هو من رجل يُحلُّ ويُحرِّم، يقاتل ويسبى وينسخ الشرائع السابقة باسم الرب – تبارك وتعالى.

يقول ابن القيم – رحمه الله – :

"ودار بيني وبين بعض علمائهم – أهل الكتاب – مناظرة في ذلك، فقلت له في أثناء الكلام: ولا يتم لكم القدح في نبوة نبينا – صلى الله عليه وسلم – إلا بالطعن في الربِّ تعالى والقدح فيه، ونسبته إلى أعظم الظلم والسفه والفساد، تعالى الله عن ذلك، فقال: كيف يلزمنا ذلك؟

قلت: بل أبلغ من ذلك، لا يتم لكم ذلك إلا بجحوده وإنكار وجوده تعالى، وبيان ذلك أنَّه إذا كان محمد عندكم ليس بنبي صادق، وهو بزعمكم ملك ظالم، فقد

(١) الدخان: الآية ١٢.

(٢) ابن القيم: مفتاح دار السعادة (٧٣/٢)، ط. دار ابن القيم.

(٣) الصف: الآية ٨.

تهيأ له أن يفتري على الله، ويتقول عليه ما لم يقله، ثم يتم له ذلك، ويستمر حتى يحلل، ويُحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل، وهم أهل الحق، ويسبى نساءهم وأولادهم، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كلَّه إلى أمْرِ الله تعالى له به، ومحبته له، والربُّ تعالى يشاهده، وما يفعل بأهل الحق وأتباع الرسل، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثا وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره ويُعلى أمره، ويمكِّن له من أسباب النصر الخارجة عن عادة البشر، وأعجب من ذلك أنه يجيب دعواته، ويُهلك أعداءه من غير فعل منه نفسه ولا سبب، بل تارة بدعائه، وتارة يستأصلهم سبحانه من غير دعاءٍ منه – صلى الله عليه وسلم –، ومع ذلك يقضي له كل حاجة سأله إياها، ويعده كل وعد جميل، ثم ينجز له وعده على أتم الوجوه، وأهنئها، وأكملها هذا وهو عندكم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أكذب ممن كذب على الله، واستمر على ذلك، ولا أظلم ممن أبطل شرائع أنبيائه ورسله، وسعي في رفعها من الأرض، وتبديلها بما يريد هو، وقتل أولياءه وحزبه وأتباع رسله، واستمرت نصرته عليهم دائمًا، والله تعالى في ذلك كله يقره، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه بالوتين، وهو يخبر عن ربه أنه أوحى إليه أنه **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ)** (١) فيلزمكم معاشر من كذَّبه أحد أمرين لابد لكم منهما (٢):

---

(١) الأنعام: الآية ٩٣.

(٢) وهذه القسمة العقلية منهج استدلالي سليم ومعناها، "تقليب الأمر على وجوهه الممكنة بحيث لا يبقى وجه يحتمله العقل إلا اُعتبر، وفيها يستقصي المرء جميع الحالات الممكنة بحيث لا يدع احتمالاً واحدًا ممكنًا إلا طرحه للبحث والنظر، وهذا المنهج يتضمن عمليتين عقليتين هما تقسيم الكلام إلى الاحتمالات القائمة بالعقل، ثم النظر في هذه الأقسام للتوصل للحكم على كل قسم بالصحة أو البطلان من خلال ما هو معروف بالحصر والإبطال والسبر والتقسيم "أ. ه.".

- مختار محمود عطا الله، اليقين في العقيدة وطريق الوصول إليه، دراسة في مناهج الاستدلال في الفكر الإسلامي (٢٧٤)، بدون تاريخ.

- أما أن تقولوا: لا صانع للعالم، ولا مدبر، ولو كان للعالم صانع مدبِّر قدير حكيم لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالاً للظالمين إذ لا يليق بالملوك غيرُ ذلك، فكيف بملك السماوات والأرض، وأحكم الحاكمين؟
- **الثاني**: نسبة الربِّ إلى ما لا يليق به من الجور، والسفه، والظلم، وإضلال الخلق دائمًا أبد الآباد، لا بل نصرة الكاذب، والتمكين له من الأرض، وإجابة دعواته، وقيام أمره من بعده، وإعلاء كلماته دائمًا، وإظهار دعوته، والشهادة له بالنبوة قرنًا بعد قرن على رؤوس الأشهاد في كل مجمع وناد، فأين هذا من فعل أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؟ فلقد قدحتم في رب العالمين أعظم قدح، وطعنتم فيه أشد الطعن، وأنكرتموه بالكلية، ونحن لا ننكر أن كثيرًا من الكذابين قام في الوجود وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم له أمره، ولم تطل مدته، بل سلَّط عليه رسله وأتباعه، فمحقوا أثره، وقطعوا دابره، واستأصلوا شأفته، هذه سنته في عبادة منذ قامت الدنيا، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها.

فلمَّا سمع هذا الكلام، قال: معاذ الله أن نقول: إنه ظالم أو كاذب، بل كلُّ منصفٍ من أهل الكتاب يُقرُّ بأن من سلك طريقه، واقتفى أثره، فهو من أهل النجاة والسعادة في الأخرة.

قلت له: فكيف يكون سالك طريق الكذاب، ومُقتفي أثره بزعمكم من أهل النجاة والسعادة؟ فلم يجد بُدًا من الاعتراف برسالته، ولكن لم يرسل إليهم.

قلت: فقد لزمك تصديقه، ولابد وهو قد تواترت عنه الأخبار بأنه رسول الله رب العالمين إلى الناس أجمعين، كتابيهم وأُميِّهم، ودعا أهل الكتاب إلى دينه، وقاتل من لم يدخل في دينه منهم حتى أقرُّوا بالصغار والجزية، فبُهت الكافر، ونهض من فوره" أ.هـ [1].

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٥٥٩/٣). ط. الرسالة، وهذا الدليل مستخرج من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

إن المتأمل في هذه المناظرة يجد أنها قامت على منهج عقلي سليم أعتمد على النظر العقلي واستخلاص الأدلة والبراهين العقلية التي أيدت صدق كلام ابن القيم ونفت صحة ما ذهب إليه مخالفه من اعتمادها على أسس ومسالك عقلية بدءًا بالبديهيات من الاتفاق على وجود صانع لهذا الكون مرورًا بدليل اللزوم من نفي أو إثبات وبالتالي كانت النتيجة إثبات صحة نبوة محمد– صلى الله عليه وسلم–[(١)].

فإن قيل: قد استدام ملك كثير من الكافرين الظالمين كفرعون والنمرود وجنكيز خان وغيرهم فلا يدل ما ذكرت على صدقه ونبوته.

فالجواب عن ذلك ظاهر، وهو أنه لم يدَّع واحد من هؤلاء النبوة، وأن الله أمره أن يدعو إلى عبادة الله، وطاعته، ومن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، بخلاف نبينا – صلى الله عليه وسلم –، فلو كان هذا المتأمل في الكون مفتريًا على الله كاذبًا في دعوته – وحاشاه – صلى الله عليه وسلم – لانتقم الله منه وقطع دابره وفضحه على رؤوس الأشهاد كحال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وسائر الكذَّابين على الله تعالى: **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧))** [(٢)]

إذن، لماذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتفكر في خلق الله، بل كثرت الدعوة إلى ذلك في كتاب الله؟

إن السبب في ذلك – بلا شك – أن التأمل في هذا الكون، والنظر في مخلوقات الله المتنوعة العجيبة – من سماء وأرض، وشمس وقمر، وكواكب ونجوم، وجبال وأشجار، وغير ذلك من المخلوقات التي لا تُعد ولا تُحصى من أعظم دواعي الإيمان، وأنفع أسباب تقويته، فعِظَمُ المخلوق يدل على عِظَم الخالق.

يقول الله – تعالى–: **(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً**

---

(١) لمزيد معرفة بالمنهج العقلي ومسالكه ينظر أبجديات المنطق ومناهج البحث لأستاذنا الدكتور/ عبد الراضي محمد عبد المحسن، ط. دار الثقافة العربية، ٢٠١٤/١٤٣٦.

(٢) الحاقة: الآيات ٤٤ – ٤٧.

فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)) [١].

فهذه الأرض من الذي خلقها ونوَّعها هذا التنويع؟ ومن ألقى عليها رواسيها، وفتح فيها السُّبل، وأخرج منها الماء والمرعى؟ ومن الذي بارك فيها، وقدَّر فيها أقواتها، وأنشأ منها حيوانها ونباتها؟ ومن هيأها مسكنًا ومستقرًا للأنام؟ ومن وطأ مناكبها، وذلل مسالكها، ووسَّع فجاجها، وشق أنهارها، وأنبتت أشجارها وأخرج ثمارها؟

من بسطها، وفرشها، ومهَّدها وذلَّلها، وطحاها، ودحاها، وجعل ما عليها زينة لها؟

من الذي يحيها بعد موتها، فينزل عليها الماء من السماء، ثم يرسل عليها الرياح ويطلع عليها الشمس، فتأخذ في الحَبَل، فإذا كان وقت الولادة مخضت للوضع، واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج؟ فتأمل هذه المعاني الظاهرة في هذه الآيات التي عددت خصائص ربوبية – سبحانه وتعالى –، والتي تحمل الناظر فيها على الإقرار بتفرده تبارك وتعالى بالعبادة، فكان إعمال الفكر فيها وسيلة لذلك كما بين القرآن [٢].

---

(١) النمل: الآيات ٥٩ – ٦٥.

(٢) انظر: التبيان في أقسام القرآن، (٤٤٧)، "مفتاح دار السعادة (المجلد الثاني كاملا) وكلاهما لابن القيم رحمه الله) "العظمة" لأبي الشيخ الأصبهاني (١:٢٠٩)، وما بعدها إلى أواخر المجلد الأول من قوله: باب الأمر بالتفكر في آيات الله – عز وجل –٠ وقدرته وملكه، وسلطانه وعظمته، ووحدانيته، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي (٣١).

يقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قول الله – تعالى –:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ (١).

وهذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع فقال: وهي دالة على ذلك بطريق الأولى، فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النفع بها محكمة، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه، كما قال بعض الأعراب، وقد سئل: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إن البعرة لتدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؟ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!

وحكى فخر الدين عن الإمام مالك أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل باختلاف اللغات والأصوات والنغمات (٢)، وعن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أُخْبِرتُ عنه ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل، فقال: ويحكم هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع!! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه (٣).

---

(١) البقرة: الآية ٢٢.

(٢) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (٣٣٤/٢)، طز إحياء التراث.

(٣) ابن ابي العز الحنفي، شرح الطحاوية (١٣٥/١)، ط. الرسالة، ثم قال بعد ذكر المثال المضروب: والقرآن قد ضرب الله للناس فيه من كل مثل، وهي المقاييس العقلية المفيدة للمطالب =

وعن الشافعي: أنه سئل عن وجود الصانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الحرير، ويأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل إنه سئل عن ذلك فقال: هاهنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذا انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمل في نباتِ الأرض وانظرْ		إلى آثارِ ما صنع المليكُ
عيونٌ من لجيْن شاخصاتٌ		بأحداقٍ هي الذهب السبيكُ
على قُضُب الزبرَّجد شاهداتٌ		بأنَّ الله ليس له شريكُ

وقال ابن المعتز:

فيا عجبا كيف يُعصى الإله		أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كلِّ شيء له آية		تدل على أنه واحدُ

وقال آخرون: من تأمل هذه السماوات في ارتفاعها واتساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار المنيرة من السيارة ومن الثوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كل يوم وليلة دويرة ولها في أنفسها سير يخصها، ونظر إلى البحار الملتفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة في الأرض لتقر ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها كما قال: **(وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**

الدينية، لكن القرآن يبين الحق في الحكم والدليل، فماذا بعد الحق إلا الضلال، وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقًا عليها استدل بها، ولم يحتج إلى الاستدلال عليها، والطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن، بخلاف ما يدعيه الجهال الذين يظنون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية". أ.هـ.

كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (١) وكذلك هذه الأنهار السارحة من قطر إلى قطر لمنافع العباد وما زرأ في الأرض من الحيوانات المتنوعة والنبات المختلف الطعوم والأراييح والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، علم وجود الصانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم لا إله غيره ولا رب سواه، عليه توكلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدالة على هذا المقام كثيرة جدًا أ.ه (٢).

ويقول القاسمي – رحمه الله – في قول الله – تعالى –

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ(١٩٠))

"روى ابن أبي الدنيا في (كتاب التوكل والاعتبار) عن الصوفي الجليل الشيخ أبي سليمان الداراني قدس الله سره أنه قال: إني لأخرج من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة".

ولما كان الأمر كذلك، لا جرم أمر في هذه الآية بالفكر في خلق السموات والأرض، لأن دلالتها أعجب، وشواهدها أعظم، وكيف لا نقول ذلك، ولو أن الإنسان نظر إلى ورقة صغيرة من أوراق شجرة رأي في تلك الورقة عرقًا واحدًا ممتدًا في وسطها، ثم يتشعب من ذلك العرق عروق كثيرة إلى الجانبين، ثم يتشعب منها عروق دقيقة، ولا يزال يتشعب من كل عرق عروق أخر، حتى تصير في الدقة بحيث لا يراها البصر، وعند هذا يعلم أن للخالق في تدبير تلك الورقة على هذه الخلقة حكمًا بالغة، وأسرارًا عجيبة، وأن الله تعالى أودع فيها قوى جاذبة لغذائها من قعر الأرض، ثم إن ذلك الغذاء يجري في تلك العروق، حتى يتوزع على كل جزء من أجزاء تلك الورقة، جزء من أجزاء ذلك الغذاء بتقدير العزيز العليم. ولو أراد الإنسان أن يعرف كيفية خلقه تلك الورقة، وكيفية التدبير في إيجادها، وإيداع القوى الغاذية والنامية فيها، لعجز عنه. فإذا عرف أن عقله قاصر

(١) فاطر: الآيات ٢٧، ٢٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/١٩٧). ط. طيبة تحقيق. سامي محمد السَّلامة.

عن الوقوف على كيفية خلقه تلك الورقة الصغيرة، فحينئذ يقيس تلك الورقة إلى السموات، مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم. وإلى الأرض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان. عرف أن تلك الورقة بالنسبة إلى هذه الأشياء، كالعدم فإذا عرف قصور عقله عن معرفة ذلك الشيء الحقير، عرف أنه لا سبيل له البتة إلى الاطلاع على عجائب حكمة الله في خلق السموات والأرض، وإذا عرف بهذا البرهان النيّر قصور عقله وفهمه عن الإحاطة بهذا المقام، لم يبق معه إلا الاعتراف بأن الخالق أجلُّ وأعظم من أن يحيط به وصف الواصفين ومعارف العارفين (١).

فهذه المقالة التي قالها زويمر مقالة باطلة مضمحلة، بانَ زُورها لكِّل أحد، صاغها في ذهنه، وسطَّرها بقلمه بعبارات ظن أنها تروج، فما أسمجه وأكذبه من زعم! أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – كان يتعلم من نفسه، وأنه كان يخلو بالطبيعة: السماء، والأرض ، والشمس، والقمر، والنجوم، فيعطيها لُبَّه، ويناجيها بقلبه، فيخيل إليه أصناف التخاييل، فيأتي بها إلى الناس زاعمًا أنها من وحي الله على يد جبريل، وأن هذه التخيلات من الأمور العالية، التي يعتاد الإتيان بها أهل الرأي والحجى!

إن الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – هو هو ما جاء به من سبقه من الأنبياء والمرسلين، والذي علَّمه هو من علَّم من قبله فجاء بما حارت فيه العقول لا بما تحيله العقول، ولماذا نذهب بعيدًا، وهذا يوحنا في إنجيله يقول:

"ولمَّا كان العيد قد انتصف، صعد يسوعُ إلى الهيكل، وكان يُعلِّم. فتعجب اليهود قائلين: كيف هذا يعرف الكتب، وهو لم يتعلم؟!"

أجابهم يسوع وقال "تعليمي ليس لي بل للذي أرسلني. إن شاء أحدٌ أن يعمل مشيئة يعرف التعليم، هل هو من الله، أم أتكلم أنا من نفسي؟!" (٢).

---

(١) محاسن التأويل: (٤٨١/٢). ط. دار الكتب العلمية. بيروت.

(٢) يوحنا (١٤/٧).

وصدق شوقي:

أحـــرامٌ علـــى بلابلـــه الـــدوْحُ حـــلالٌ للطيـــر مـــن كـــلِّ جـــنْس

هل تأثر الدين الإسلامي بالوثنية Paganism؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تتطلب منا معرفة حال العرب بعد إسماعيل – عليه السلام –.

يقول العلامة عبد الرحمن المُعلِّمي اليماني: (١)

"فصل"

العرب بعد إسماعيل – عليه السلام – فريقان:

- الفريق الأول: ذريته، ومنهم بنو عدنان
- والفرق الثاني: من عداهم.

فأما ذرِّيته فإنها لزمتهم شريعة أبويهم إبراهيم وإسماعيل والتزموها، وأما من عداهم فإنها لزمتهم ببلوغ الدعوة، فمنهم من التزمها، ومنهم من أبى، والذين أبوا منهم من تهوَّد بعد ذلك كسبأ الذين اتَّبعوا سليمان – عليه السلام – مع ملِكتهم كما قصَّه الله تعالى في كتابه في سورة النمل، ومنهم من تنصَّر كأهل نجران، ومنهم من بقى على شِركه.

وكلامنا الآن في الذين اتبعوا شريعة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – فنقول:

إنهم بقوا محافظين عليها أمدًا طويلاً، ففي كتاب أرميا، الإصحاح الثاني: "**لذلك، أخاصمكم بعد. يقول الرب: وبين بنيكم أخاصم (١٠) فاعبروا جزائر كتيم**(٢) **وانظروا وأرسلوا إلى قيدار وانتبهوا جدًا وانظروا هل صار مثل هذا**

(١) رفع الاشتباه (١/١٠١) ط. عالم الفوائد، والمعلِّمي. هو الإمام العلم الفاضل عبد الرحمن بن يحيي ابن علي المعلِّمي – نسبة إلى أحد أجداده – اليماني، له كثير من المؤلفات والتحقيقات في سائر علوم الشريعة جمعت مؤخرًا في ٢٥ مجلدًا ط. مجمع الفقه الإسلامي بجدة، توفى رحمه الله عام ١٣٨٦ ه "مقدمة المجموع" (١/٤١).

(٢) هو اسم قديم لقبرص. انظر: قاموس ما يسمى بالكتاب المقدس، في مدخلي ركيتم وقبرس "المرجع السابق" حاشية.

(١١) هل بَدَّلت أمةٌ آلهة وهي ليست بآلهة، أما شعبي، فقد بدل مجده بما لا ينفع (١٢)" [١].

قيدار – ويقال قيذار – هو اسم ابن إسماعيل، كما هو مذكور في الإصحاح الخامس والعشرين في سفر التكوين.

فمعنى قوله: "وأرسلوا إلى قيدار" أي: أرسلوا إلى بلاد بني قيدار، وهي الحجاز، وما حولها، وقوله: "وانتبهوا جيدًا"، يشير به – والله أعلم – إلى تدبر الفرق بين بني إسرائيل، وبني قيدار.

بنو قيدار محافظون على شريعة إبراهيم، لم يبدلوا ولم يغيروا مع مرور الزمان، وبنو إسرائيل قد بدَّلوا شريعة موسى، وكان بعد إبراهيم بزمان، ومع ذلك كانت عندهم التوراة، ثم تسلسل فيهم الأنبياء كداود وسليمان ومَنْ بعدهما.

وقوله: "هل بدَّلت أمة آلهة" الخ... يُعلم منه مع ما تقدم أن بني قيدار لم يبدِّلوا كما بدَّل بنو إسرائيل، والسفر المذكور يصرِّح بأن بني إسرائيل عبدوا الأصنام ونصبوها في بيت المقدس، فراجعه إن شئت، واستمر بنو إسماعيل ومن وافقهم في اتِّباع شريعة إبراهيم – عليه السلام – على المحافظة عليها، فَبعث عيسى – عليه السلام – وهم على ذلك، ورفُع وبُدلت شريعته وهم على ذلك، حتى بدَّلها ذلك الخبيث عمرو بن لُحي [٢].

وقد تأملت أنساب الصحابة الذين أسلموا من ذرِّية عمرو بن الحيِّ كأكثم بن الجون، وسليمان بن صرُدَ، وعمرو بن سالم، وبُديل بن ورقاء، وعمرو بن الحميق، وجويرية أم المؤمنين، وغيرهم فإذا بيْن كلِّ منهم وبين عمرو بن لحيِّ تسعة آباءٍ، وربما زاد أبًا أو نقص، وبين عمرو بن لحيٍّ وبين معدِّ بن عدنان خمسة آباء.

وقد حكى ابن الكلبي وغيره أنَّ معدَّ بن عدنان كان على عهد عيسى – عليه السلام – وبين مولد عيسى ومولد محمد – عليهما السلام – نحو ستمائة سنة،

(١) الكتاب المقدس وأسفر أرميا (٢/٩).

(٢) كتاب أخبار مكة (١/١١٧) للأزرقي ط. دار الأندلس، سيرة ابن هشام (١١/٧٢) شركة الطباعة الفنية، الروض الآنف (١/٣٤٦) ط. دار إحياء التراث.

فعلى هذا يكون بين عيسى – عليه السلام – وبين تبديل عمرو بن لحيٍّ نحو مائتي سنة.

ومن تتبع تاريخ النصرانية علم أنها لم تكد تمضي مائة سنة بعد رفع عيسى – عليه السلام – حتى بدَّل جمهور أتباعه أشنع تبديل، وظهر بما تقدم أن شريعة إبراهيم وإسماعيل عليها السلام بقيت محفوظة – في ذريتهما العرب ومن وافقهم حتى بدلت شريعة موسى والأنبياء بعده، وشريعة عيسى، وكانت أخر الشرائع تبديلاً: أ.ه بتصرف يسير.

قلت: فهل مَدَح النبي – صلى الله عليه وسلم – فعل عمرو بن لحيٍّ، وندب للاقتداء به؟

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : "رأيت عمرو بن لحيٍّ بن قمعة بن خندف أبا بني كعب هؤلاء يَجُرُّ قُصْبَهُ في النار" (١).

وعند ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه مرفوعًا: "يجر قصبة في النار وهو أول من غيَّر عهد إبراهيم عليه السلام وسيَّب السوائب".

وفي المسند من حديث حسين بن محمد قال: حدثنا عبيد الله، عمر عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر، قال: .... الحديث، وفيه "ورأيت عمرو بن الحي يجر قُصْبه في النار" قال حسين: وكان أوَّلَ من حمل العرب على عبادة الأوثان"(٢).

فهذا جزاء من جدَّد عبادة الأوثان وبدَّل بها شرائع الأنبياء كما جاء عن خير البرية جمعاء، فكيف يقال: إن دينه – صلى الله عليه وسلم – قام على الوثنية؟!

فإذا فتشت في كتاب الله – تبارك وتعالى – لتظفر بموضع فيه تعظيم الأوثان، وعبادة غير الله تبارك وتعالى وجدت الآتي:

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٠٩٦) باب/ النار يدخلها الجبارون، و "قصبه" أمعاءه.

(٢) المسند (١٤٨٠٠) إسناده ضعيف وله شواهد كثيرة يثبت بها، راجع ط. الرسالة.

١- إنكار الباري ببرهان بديع على مَنْ عبَد غيره:

قال تعالى: (أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢)) (١).

قال تعالى: (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)) (٢).

قال سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (٣).

وقال تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (٤).

قال تعالى: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (٥).

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها تدور حول إبطال عبادة غير الله من صنم وشجر وحجر وغير ذلك.

---

(١) الأعراف: الآيات ١٩١ – ١٩٢.

(٢) النحل: الآيات ١٧ – ٢٠.

(٣) الحج: الآية ٧٣.

(٤) الرعد: الآية ١٦.

(٥) لقمان: الآية ١١.

٢- اتفاق دعوة الأنبياء والرسل على ذلك:

فها هو نوح – عليه السلام – يقول لقومه (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْـرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ) [١]. وقد ذكر تعالى صفة عبادتهم على لسانهم حيث قالوا: (وَقَـالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) [٢].

وقال تعالى عن قوم هود: (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) [٣].

وأما قوم الخليل – عليه الصلاة والسلام فقد تعددت دعـوة إبـراهيم لهـم فرادى ومجتمعين قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) ... الآيات (أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [٤].

وقال عز وجل: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨))[٥]

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) [٦]

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لمَّا رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر بها فمُحيت

(١) الأعراف: الآية ٦٥.

(٢) نوح: الآية ٢٣.

(٣) هود: الآيات ٥٣ – ٥٤.

(٤) الأنعام: الآيات ٧٤ – ٨٢.

(٥) الشعراء: الآيات ٦٩ – ٧٨.

(٦) إبراهيم: الآيات ٣٥ – ٣٦

ورأى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأيديهما الأزلام فقال: قاتلهم الله إن استقسما بالأزلام قط"(١).

وعند أحمد في المسند: "والله ما استقسما بالأزلام قط" (٢).

وقال تعالى عن دعوة جميع الرسل: **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** (٣).

فهذا حال جميع الأنبياء قبل نبينا – صلى الله عليه وسلم – لم يختلف قيد أنملة في أصول الدين، وإن اختلفت شرائعهم، فبأي شيء تعلَّق زويمر في دعواه هذه؟ وما أكثر دعاويه!

١- شعيرة الحج:

قد سبق نقل كلام زويمر في ذلك حيث زعم أن فريضة الحج كاملة مأخوذة من ممارسات أهل الجاهلية بوثنيتها الظاهرة، وهذا محض افتراء.

فإننا لا نجد شعيرة من شعائر الإسلام قامت على التوحيد مثل حج المسلمين، وبيان ذلك:

١) وحدة المكان:

فحج المسلمين لمكان واحد فقط، هو اشرف بقاع الأرض قاطبة، إلى بيت الله الحرام، قال تعالى: **(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)** (٤) وقصة بناء البيت قصة عظيمة في تاريخ البشرية الرشيدة ،أسرة نبع منها التوحيد بعد انتشار الشرك في البشر، وأنجبت الأنبياء والرسل بعد فترة من الرسل وانقطاع من الوحي، إنها أسرة الخليل إبراهيم – عليه الصلاة والسلام، والتأمل في قصة بناء البيت وجهة

---

(١) صحيح البخاري (٣١٠٣) باب قول الله تعالى (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) [النساء: ١٢٥].

(٢) المسند (٣٢٧٦) عن ابن عباس كذلك.

(٣) النحل: من الآية ٣٦.

(٤) الحج: الآية ٢٦.

المسلمين في الحج يعلم علم اليقين بطلان مثل هذه الدعاوي التي لم تتعد رأس صاحبها حتى تروج على غيره.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [١] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢)﴾ [٢].

---

(١) البقرة: الآيات ٢٤ : ١٢٩.

(٢) الحج: الآيات ٦ : ٣٢.

فتأمل كيف قال الله تعالى في بناء البيت: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ) (١) بعد قوله (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ) (٢) فالبقعة واحدة لعبادة إله واحد سبحانه وتعالى كما قال ابن القيم – رحمه الله:

فلواحدٍ كن واحدًا في واحد ... أعني سبيل الحق والإيمان (٣)

٢) وحدة الزمان:

فقد قال الله – تبارك وتعالى –: (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ)، فهي أيام معروفة للجميع لا تتبدل في أشهر معلومة كذلك.

٣) التوحيد في الشعائر:

وهنا هو بيت القصيد: وغاية المريد، بل والعنيد زويمر – لإثبات ما رامه من قول فاسد بعيد، فأقول مستعينًا بالله العزيز الحميد:

خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هو وأصحابه لخمس بقين من ذي القعدة وأهلَّ بحجة وعمرة مخالفًا لأهل الشرك الذين كانوا يرون أنَّ من أفجر الفجور الاعتمار في أشهر الحج (٤)، فكان في ذلك مخالفًا لما كان عليه أهل الجاهلية الوثنيين، وما ذاك إلا لأنه صلى الله عليه وسلم بعث لهدم ما أحدثه هؤلاء من تغيير الملل والشرائع، ولذلك قال في أعظم مجمع على الإطلاق في خطبة الوداع التي كانت في حجية يوم عرفة "ألا وإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة..." الحديث.

أهلَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – ولبىَّ بالتوحيد قائلاً: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك"، وهو في ذلك

---

(١) الحج: الآية ٣٠

(٢) الحج: الآية ٢٦.

(٣) النونية بشرح الهراس (١٤٦/٢). ط. دار المنهاج.

(٤) صحيح البخاري (١٤٦٢)، باب: التمتع والإقران والإفراد بالحج، ومسلم (٢١٧٨)، باب: جواز العمرة في أشهر الحج كلاهما عن ابن عباس – رضي الله عنهما –.

مخالف لما كان عليه أهل الأوثان من تشريكهم في عبادة الله غيره بقولهم .." لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك".. فكان ينهاهم عن ذلك بقوله "ويلكم" أي: اكتفوا بدعوة الأنبياء الخالصة من كل شرك فيزيدون عليها.

لمَّا وصل – صلى الله عليه وسلم – إلى البيت، حرص على مخالفة المشركين، فطاف بالبيت سبعًا يكشف عن منكبه يرمل (١) في ثلاثة منها لإغاظة أهل الشرك وإظهار القوة، وذلك أنهم لمَّا كانوا في عمرة القضاء في السنة التي تلت صلح الحديبية قال المشركون "يأتي عليكم قوم وهنتهم حمي يثرب.."، فعلم النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك، فأمر أصحابه – رضي الله عنهم – أن يكشفوا عن مناكبهم ويرملوا في الأشواط الثلاثة الأولى.

وحين فرغ – صلى الله عليه وسلم – من الطواف، صلَّى خلف المقام ركعتين، قرأ في الأولى بالكافرون، وفي الثانية بالإخلاص، وكلاهما براءة من الشرك والمشركين، فأين دين آبائه وأجداده في حجه – صلى الله عليه وسلم–؟!

ولما سعى – صلى الله عليه وسلم – بين الصفا والمروة، كان يعلن توحيده قائلاً: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده".

في يوم الثامن – يوم التروية – خرج إلى منى، وصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وفجر يوم التاسع ثم دفع بعد طلوع الشمس، ولا تشك قريش أنه – صلى الله عليه وسلم – واقف بمزدلفة في الحرم لما كانت قريش تفعل في الجاهلية، يقولون "نحن أهل الحرم فلا نخرج منه" ولا نقف مع الناس بعرفة، فموقف الناس كلهم في عرفة، بينما تقف قريش ومن سكنوا الحرم في الحرم بمزدلفة، **فماذا صنع سيد الموحدين – صلى الله عليه وسلم –؟**

---

(١) الرَّمَل، بالتحريك: الهرولة. ورملتُ بين الصفا والمروة رَمَلا ورمَلاَنًا. (الصحاح: ٤٦٧). ط. دار الحديث.

دفع النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى أتى عرفه، ولم يقف مع قومه يوم التاسع وأحيا ملَّة أبيه إبراهيم – عليه السلام، وأنزل الله تعالى: **(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ)**(١) أي من عرفة، فخالف دين الجاهلية.

وحين ذبح هديه – صلى الله عليه وسلم – يوم العيد قال: "إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين"، فذبح لله وبسم الله.

فما كان يأكل مما ذبح على النصب لغير الله حتى قبل البعثة.

في صحيح البخاري من حديث ابن عمر "أن النبي – صلى الله عليه وسلم– لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدح قبل أن ينزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – الوحي فقُدِّمت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – سُفْرةٌ فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لستُ أكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا أكل إلا مما ذكر اسم الله عليه" (٢).

فهذه فريضة الحج كما أداها النبي – صلى الله عليه وسلم –، فأين الوثنية فيها؟ وأما قول زويمر:

"For all pagan Arabia, Mecca was the Centre many centuries before Mohammed "Here stood the kaaba, the Arabian pantheon, with its three hundred and sixty idols – one for each day in the year" (3).

"كانت مكة قلب كل الجزيرة العربية الوثنية لقرون عديدة قبل محمد. فهنا تقف الكعبة المُشرَّفة عربيًا بأصنامها الثلاثمائة والستين، بمعدل صنم لكل يوم في العام."

---

(١) البقرة: الآية ٢٠٠.

(٢) صحيح البخاري (٣٥٤٠) باب: حديث زيد بن عمرو بن نفيل، وفي مستدرك الحاكم نهى النبي – صلى الله عليه وسلم – زيد بن حارثة من التمسح بالأصنام في الطواف وهذا قبل البعثة، وهو صحيح على شرط مسلم كما قال الحاكم ووافقه الذهبي.

(3) S. Zwemer, Islam: Achallenge to Faith. P. 10.

فالجواب عنه يسير، ومفاده أن النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة قبل حجه بعامين لم يترك صنمًا واحدًا من هذه الأصنام، ولو كان معظِّمًا لها لرفع من شأنها وقدم لها القرابين، ولكنه ما فعل ذلك.

ففي صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: "دخل النبي – صلى الله عليه وسلم –مكة وحول الكعبة ثلاث مائة وستون نُصبا فجعل يطعنها بعود في يده وجعل يقول: **(جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ)** (١) (٢)، وفي أخبار مكة للأزرقي، فتتساقط على ظهورها"، وعند الطبراني في الكبير من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – "فجعل يهوي به إلى كل صنم منها، فيخرُّ لوجهه".

وأما قوله:

"Here the tribes of Hejaz met in annual pilgrimage to rub and kiss the black stone, to circumambulate the Beit Allah" (3).

"**وهنا تتلقى قبائل الحجاز في حج سنوي لتمسح وتقبل الحجر الأسود، لتطوف حول بيت الله**"

فالجواب عن ذلك أن يقال:

أولاً: إن أراد زويمر بذلك إثبات عبادة المسلمين للحجر والأسود والكعبة كوثنيين فينبغي عليه بداية أن يُعرِّف لنا معنى العبادة، فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره (٤) كما هو معلوم، فلابد من تحديد المفاهيم، ووضع الحدود حتى يصح له الحكم، فقد يكون الحكم باطلاً لخلل في معرفة حدِّ الأمر المنظور فيه، وهذا يقع كثيرًا في أصحاب اللسان من هذه الأمة، فكيف برجل أعجمي يريد أن يُفتي في لسان غيره؟!

(١) صحيح البخاري (٢٢٩٨).

(٢) الإسراء: من الآية ٨١.

(3) Ibid, P. 11.

(٤) انظر في بيان معنى هذه القاعدة: التحبير شرح التحرير (١/١٩٣)، الأشباه والنظائر (٢/٣٨٥)، نهاية السول (١٥).

قال ابن تيمية: "والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل" [١]، وقال: "والعبادة تتضمن كمال الحب وكمال التعظيم، وكمال الرجاء والخشية والإجلال والإكرام" [٢]، وهكذا عرفها تلميذه ابن القيم [٣]، وهما من أعرف الناس بالحدود والمسميات.

فهل تقبيل المسلمين للحجر الأسود عبادة يصدق عليها الحد السابق؟ أمْ أنه مجرد الامتثال فهذا حجر يُقبل، وذاك حجر يُرجم بالأحجار؟

لا شك أنه الثاني، ولذلك جاء في صحيح البخاري حديث زيد بن أسلم عن أبيه قال: "رأيت عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قبَّل الحجر، وقال: لولا أنِّي رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبّلك" ما قبلتك" [٤]، وفيه أيضًا من رواية عابس بن ربيعة عن عمر – رضي الله عنه – إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع".

وثانيًا: قد ورد في الحديث الذي أخرجه النسائي وصححه العلماء عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "الحجر الأسود من الجنة"، فمن المتفق عليه محبة ما في الجنة، بل ورد في الحديث أن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطًا، فليس تقبيل الحجر ومسحه لذاته، وإلا فهولا ينفع ولا يضر كما مضى، وليس شرطًا فيما قبَّله الإنسان أن يكون عابدًا له يحبه ويتذلل له، فهذا المجنون يقول [٥]:

أمرُّ على الديار ديار ليلى		أُقبِّل ذا الجدار وذا الجدار
وما حب الديار شغفن قلبي		ولكنْ حبُّ من سكن الديار

فهل كان يعبد الجدران؟!

---

(١) مجموع الفتاوي (١٩٦/٢). ط. العبيكان. الرياض.
(٢) مجموع الفتاوي (٤٠٣/٢).
(٣) الداء والدواء (٤٩٠). ط عالم الفوائد. مكة المكرمة.
(٤) صحيح البخاري (١٥٠٦) باب: تقبيل الحجر.
(٥) انظر خزانة الأدب (٣٣/٢) لعبد القادر البغدادي.

وثالثًا: وأما فيما يتعلق بالكعبة فالأمر أبعد لأن قريشاً وغيرها من العرب كانت تعرف فضل الكعبة ومغايرتها لما كان حولها من الأصنام.

قال ابن إسحاق بعد ذكر اتخاذ قريش الأصنام "وهي تعرف فضل الكعبة عليها، لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده" أ.ه [١].

فلعلمهم بأن احترامها من دين إبراهيم الذي بلّغه عن ربه – عز وجل – لم ينعتوها بالألوهية كما نعتوا أصنامهم، ولم يصفوا احترامهم لها بأنه عبادة لها كما قالوا في أصنامهم، بل كانوا يرون أن احترامهم لها عبادة لله – عز وجل –، وخير دليل على ذلك أنهم لمَّا بنوا الكعبة قبل البعثة تواصوا أن لا يجعلوا فيها إلا مالاً طيبًا، ولا يجعلوا فيها مالاً أُخذ غصبًا ولا قُطعت فيه رحم ولا انتُهكت فيه ذمة ولا مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحدٍ من الناس [٢]، ولذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم لعائشة، وهو يبين لها سبب عدم إدخال الحجْر في الكعبة "ألم تري قومك قصرت بهم النفقة" قال في الفتح: أي النفقة الطيبة التي أخرجوها لذلك كما جزم به الأزرقي وغيره... وروى سفيان بن عينيه في جامعه عن عبيد الله بن أبي يزيد عن أبيه أنه شهد عمر بن الخطاب أرسل إلى شيخ من بني زهرة أدرك ذلك فسأله عمر عن بناء الكعبة فقال: إن قريشاً تقَّربت لبناء الكعبة، أي بالنفقة الطيبة، فعجزت فتركوا بعض البيت في الحجر، فقال عمر: صدقت" [٣].

رابعًا: لو كان مسح الحجر الأسود والطواف بالبيت عبادة لهما، لكان هذا من أبلغ الأمور التي يحتج بها المشركون على النبي – صلى الله عليه وسلم – ولما عجز واحد ممن كانوا يَشْغَبون[٤] على النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقول: "كيف يعيب محمد علينا عبادتنا للأوثان، وهو وأصحابه يعبدون الكعبة والحجر الأسود معنا"، فلمَّا لم يفعلوا ذلك عُلم أن ذلك من دين

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٨٣/١) ط. الحلبي.

(٢) راجع: سيرة ابن هشام، حديث بناء الكعبة (٩٤/١)، فتح الباري، كتاب المناقب، باب بنيان الكعبة (١٨١/٧) ط. الريان

(٣)رفع الاشتباه (١٠٧/١)مرجع سابق.

(٤) المِشْغَب – بكسر الميم وسكون الشين – المعاند عن الحق (لسان العرب) مادة شغب.

الأنبياء وليس من عبادة الأوثان، والمرء إذا تدبر ما سبق حق التدبر تبين له ضعف بل وهاء ما جاء به زويمر في هذا الأمر، فما هي إلا شبهات جرت على الألسنة، وما جاوزتها إلى العقول، ولو جاوزتها لمجتها النفوس، ولكنَّه كما قال الله تعالى:

(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ) (١).

فإذا كان الأمر كذلك، فالسؤال الذي يطرح نفسه بقوة الآن هو، لماذا زعم زويمر أن من مصادر الدين الإسلامي الوثنية الجاهلية؟

والجواب الذي يطرح نفسه وبقوة أيضًا... إنِّه الإسقاط.

فالإسقاط (Projection):

حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه، ورغباته المستكرهة، ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها، إلى غيره من الناس، أو الأشياء أو الأقدار أو سوء الطالع، وذلك تنزيهًا لنفسه، وتخففًا مما يشعر به من القلق أو الخجل أو النقص أو الذنب" (٢).

فالإسقاط هو العملية النفسية التي نخلع بها تصوراتنا ورغباتنا وعواطفنا على الآخرين، أو على موضوع من الموضوعات، وهذا تمامًا ينطبق على ما يفعله زويمر وكثير من المستشرقين، فمن يدرس (كتابهم المقدس)، وما ينشرون، وما يروجون، يعلم علم اليقين أن ما حاولوا وصم الإسلام به كذبًا وإفكًا هو من قبيل الإسقاط المدروس، الإسقاط الواعي، الذي يكذب وهو يعلم أنَّه يكذب.

لقد أنبرت كثير من الدراسات المنصفة لتبين مدى تأثر العهدين القديم والجديد بالعقائد الوثنية للأمم التي سبقتهم والعجيب أن بعضها كان لكُتَّاب غير مسلمين ومن هذه الدراسات ما جاء في كتاب (أسطورة تجسد الإله في المسيح) وهو كتاب مقسم على عشرة فصول كتبها من أساتذة الدين المسيحي، ستة رجال

---

(١) البقرة: الآية ١٧١.

(٢) د. شوقي خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين (١٣) ط. دار الفكر، بيروت.

وامرأة، وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٧م في لندن، والقاسم المشترك لهذه الفصول العشرة هو البحث في جذور ومصادر الأسطورة التي تسربت إلى العقيدة المسيحية.

تقول فرنسس يونغ، وهي محاضِرة في دراسة الأناجيل في جامعة بيرمنجهام ببريطانيا وأحد مؤلفي الكتاب:

"إن وجود تشابه صارخ بين البشر المؤلهين الوثنيين وبين موضوع شخصية المسيح أمر لا يمكن استبعاده كليًا، فنحن نواجه ليس فقط بحقيقة أن كل من يُعتبر استثنائيًا أو بارزًا في شخصيته أو قدرته أو مركزه يمكن أن يُدعى – أي إلهي – ولكننا نواجه بحقيقة الولادة الخارقة وقصص أسطورية عن اختفاء عجيب عند الموت والتأليه، والتجليات من الأعالي كلها كانت تتلازم تكرارًا مع شخصيات مثل هذا في العالم الوثني!! من أين إذن أتت هذه الألقاب والدوافع؟ من الواضح جدًا أنها استعيرت من الميثولوجيا القديمة، قصص الأساطير القديمة"أ.هـ[١].

ومن هؤلاء العلماء البارزين في حقل نقد الكتاب المقدس والديانة المسيحية كذلك:

(R. Simon), (Horne), (B. Spinoza), (Witter), (Kelle), (B. Russel), (E-Renan), (D. F. Strauss).

وأما ما كتبه المسلمون في هذا الجانب فكثير كذلك [٢] ومنه ما ذكره محمد بن طاهر البيروتي في كتابه "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" حيث عقد ستة عشر فصلاً من التشابه بل التطابق بين عقائد الديانات الوثنية القديمة، وعقائد النصرانية، وهي:

---

(١) أسطورة تجسد الإله (١٦٧، ١٦٨) ط.دار القلم.الكويت.الطبعة الأولى١٤٠٥/١٩٨٥

(٢) ممن تكلم كذلك عما وقع في العهدين من اختلافات وأغلاط وتأثر بالوثنية العلامة رحمت الله الهندي في إظهار الحق (٢/٢٥٧ – ٣٥٠) طبعة الرئاسة العامة للإفتاء بالمملكة السعودية، والدكتور أحمد شلبي في كتابيه "المسيحية"، "اليهودية" (٣٥٢ – ٣٦٢) ط الثامنة ١٩٨٨، مكتبة النهضة، والشيخ محمد أبو زهرة في "محاضرات في النصرانية"، (٤١ – ٤٧) ط. الرابعة ١٤٠٤ هـ الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء – الرياض.

- عقيدة التثليث، أي القول بالأب والابن والروح القدس.
- الصلب: تقديم أحد الآلهة فداءً عن الخطيئة.
- الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلِّصين للعالم.
- ولادة أحد الآلهة الذين قدَّموا أنفسهم فداءً عن الناس.
- النجوم التي ظهرت عند ولادة أحد الآلهة.
- الجنود السماوية التي ظهرت تسبح وتقدس عند ولادة أحد الآلهة الذين اتحدوا بالناسوت.
- الاستدلال على (الطفل الإله) وإكرامه بالهدايا!!
- محل ولادة بعض الآلهة الذين ظهروا بالناسوت.
- القول عن الآلهة المتجسدة أنها من سلالة ملوكانية.
- الاعتقاد بطلب الملوك والجبابرة قتل الآلهة المتجسدة.
- تجربة الشيطان لأبناء الآلهة المذكورين وصيامهم أربعين يومًا.
- نزول أبناء الآلهة المتجسِّدين إلى الجحيم من أجل خلاص الأموات.
- قيام أولئك الآلهة من بين الأموات.
- مجيء الآلهة المتجسدة إلى هذا العالم ثانية.
- الاعتقاد بأن الإله الابن هو خالق العالم ومدبره.
- التعميد لإزالة الخطيئة (١).

لقد كانت تلك الدراسات وغيرها برهانًا لا يقبل التشكيك ولا الجدال، الأمر الذي حمل أستاذنا الدكتور عبد الراضي أن يقول: "لم تعد اليوم الأصول الوثنية للعقائد النصرانية الحالية فرضًا علميًا أو تخمينًا أو استنتاجًا، لكنها بعد تقدم العلوم النقدية واكتشاف الوثائق وقراءة المخطوطات والنقوش قطع علماء الأديان الغربيون بأن هذه العقائد النصرانية إن هي – في حقيقة وواقع الحال – إلا

---

(١) راجع توثيق ذلك في "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" لمحمد بن طاهر البيروتي(١٨٥)، ط دار عمران، بيروت، مكتبة الزهراء، بحرم جامعة القاهرة، تحقيق: د. عبد الله الشرقاوي، وقد أخبرني أستاذنا الدكتور/ عبد الراضي أن الكتاب قد حقق في رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. بقيت مسألة ادعى زويمر أنها دليل له على تأثر الإسلام بالوثنية وهي اسم الله "الصمد"، وقد رأيت أنَّ إرجاءها للمبحث التالي أولى لتعلقها به.

خرافات وأساطير عرفتها الأمم الوثنية القديمة وسجلتها في آثارها، ثـم اسـتمدتها النصرانية منها ونقلتها نقلاً حرفيًا فيكاد الإجماع بين الباحثين يكون منعقدًا على أن هناك تطابقًا بين المسيحية البولسية الحالية وبين ديانات العالم الوثني القديم سـواء من ناحية المعتقدات والأفكار أو نواحي العبادات والطقوس التـي تعكـس تلـك المعتقدات" أ.هـ (١).

فهذه خلاصة ما تعلَّق به زويمر في دعواه، وقد رأينا أن الدين الإسـلامي الذي بلَّغه محمد صلى الله عليه وسلم قد زخر بالتنديد والتنفير من عبادة الأوثـان، بل لم يعُرف هذا عن نبينا – صلى الله عليه وسلم – في الجاهلية قبل البعثة فضلاً عن الإسلام فكيف يكون من دعاتها؟!

لقد اعتمد زويمر فيما سبق رأْيَ كتَّاب غربيين من أمثال سبرنجر، ومـوير Muir، واعتمد موير على كتاب "مصـادر القـرآن الأصـلية The Original Sources of the Quran" لتسدال Tisdall، ومما هو جـدير بالـذكر أن مـن علماء الغرب من نظر بإنصاف لما ذكره موير وتسدال عـن أصـول ومصـادر الإسلام ولم يرتضوا المنهج المستخدم في الكتاب كذلك:

"The essay by st. Clair Tisdall with a forward by Muir seems to have been included for the Christian prospective ….. It is not particularly scholarly essay or even a polemical one, It is simply a polemic. The author is altogether fond of using words such as "foolish", "Fancial" , "Childish" and "ignorant" when describing quranic stories that disagree with his Christian reading of the old Testament" (2).

---

(١) منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى – دراسة علمية من خلال جهود الإمـام ابـن تيمية رحمه الله – ص ٣٨٩ ط. الفاروق الحديثة. القاهرة. ط. الثانية ١٤١٥ه.

(2) Herbert Berg, "Review of Ibn Warraq's the origins of the Koran: classic Essays on Islam's Holy Book "Bulletin of the school of Oriental and African studies, 1999 Vol. 62, P. 558.

يقول هربرت بيرج [١]:

"لقد كانت المقالة المكتوبة بواسطة كلير تسدال ثم موير من وجهة نظر مسيحية .... فليست مقالة علمية **(**قوية الصلة بالدراسات الأكاديمية**)** خاصة، ولا مقالة جدلية كذلك، فقد كان المؤلف مُغرما تمامًا باستخدام كلمات مثل "سخيف"، "وهمي"، "طفولي"، "جاهل". عند وصفه القصص القرآني الذي يتعارض مع قراءته المسيحية للعهد القديم".

(١**)** أستاذ في الدراسات اللاهوتية بجامعة كارولينا الشمالية ويلمجتون. أمريكا

- en. Wikipedia.org. Herbert Beg (Scholar).
- People uncv.Edu/berg/cv.Pdf.

مقابلة عقائد الهنود الوثنيين في كرشنا ابن الله بأقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله [١]:

	أقوال الهنود الوثنيين في كرشنا ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
١	كرشنا هو: المخلِّص، والفادي، والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله، الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس الذي هو الأب والابن والروح القدس	يسوع المسيح هو: المخلِّص، والفادي، والراعي الصالح، والوسيط، وابن الله، والأقنوم الثاني من الثالوث المقدس، الذي هو الأب والابن والروح القدس.
٢	ولد كرشنا من العذراء ديفاكي التي اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها.	ولد يسوع من العذراء مريم التي اختارها الله والدة لابنه بسبب طهارتها وعفتها.
٣	عرف الناس ولادة كرشنا من نجمه الذي ظهر في السماء.	لما ولد يسوع ظهر نجمه في المشرق، وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته.
٤	وعرفت البقرة أن كرشنا إله، وسجدت له	وعرف الرعاة يسوع، وسجدوا له
٥	وآمن الناس بكرشنا، واعترفوا بلاهوته، وقدَّموا له هدايا من صندل وطيب	وآمن الناس بيسوع المسيح، وقالوا بلاهوته وأعطوه هدايا من طيب ومر.

(١) العقائد الوثنية في الديانة المسيحية (١٨٥)، وفيه عزو لكل هذه الأقوال إلى مصادرها بشكل دقيق لا يماري فيه أحد، وقد اقتصرت على بعضها حيث إنها كثيرة جدًا جاوزت الأربعين موضعًا.

	أقوال الهنود الوثنيين في كرشنا ابن الله	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
٦	وسمع حاكم البلاد بولادة كرشنا الطفل الإلهي وطلب قتل الولد، وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها كرشنا.	وسمع حاكم البلاد بولادة يسوع الطفل الإلهي، وطلب قتل الولد، وكي يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في الليلة التي ولد فيها يسوع المسيح.
٧	كانت ولادة القديس راما قبل ظهور كرشنا في الناسوت بزمن قليل، وقد سعى قانسا ملك البلاد في إهلاك القديس راما وإهلاك كرشنا أيضًا.	كانت ولادة يوحنا المعمدان قبل ولادة المسيح بزمن قليل، وقد سعى الملك هيرودس في إهلاك يوحنا، كما سعى في إهلاك الطفل يسوع المسيح.
٨	كرشنا صُلب ومات على الصليب	يسوع صُلب ومات على الصليب
٩	ومات كرشنا ثم قام من بين الأموات!!	ومات يسوع ثم قام من بين الأموات!!

مقابلة عقائد الهنود الوثنيين في بوذا بعقائد النصارى عن يسوع المسيح [(١)]:

	أقوال الهنود الوثنيين في بوذا	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
١	ولد بوذا من العذراء مايا بغير مضاجعة رجل.	ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل.
٢	كان تجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء مايا.	كان تجسد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم.
٣	وُلد بوذا ابن العذراء مايا التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (أي: في ٢٥ من كانون الأول).	ولد يسوع ابن العذراء مريم التي حلَّ فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد (أي: في ٢٥ من كانون الأول).
٤	لما كان بوذا طفلاً قال لأمه مايا إنه أعظم الناس جميعًا.	لما كان يسوع طفلاً قال لأمه مريم "أنا ابن الله".
٥	كان بوذا ولدًا مخيفًا، وقد سعى الملك بميسارا وراء قتله لمَّا أخبروه أن هذا الغلام سينزع الملك من يده إن بقي حيًا.	كان يسوع ولدًا مخيفًا سعى الملك هيرودوس وراء قتله كي لا ينزع الملك من يده.
٦	لما عزم بوذا على السياحة قصد التعبد والتمسك وظهر عليه مارا (الشيطان) كي يُجرّبه.	لمَّا شرع يسوع في التبشير ظهر له الشيطان كي يجربه.

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة المسيحية (٢٠٣)، واقتصرت أيضًا على بعضها وقد قاربت في الأصل الخمسين موضعًا.

	أقوال الهنود الوثنيين في بوذا	أقوال النصارى في يسوع المسيح ابن الله
٧	فلم يعبأ بوذا بكلام الشيطان، بل قال له: اذهب عني.	فأجابه يسوع وقال: اذهب يا شيطان.
٨	وقد عُمِّد بوذا المخلص، وحين عمادته بالماء كان روح الله حاضرًا وهو لم يكن الإله العظيم فقط، بل وروح القدس الذي فيه صار تجسد كوتاما لما حلَّ على العذراء مايا.	ويوحنا عمدَّ يسوع نبهر الأردن، وكانت روح الله حاضرة، ولم يكن الإله العظيم فقط، بل والروح القدس الذي فيه تجسده عندما حلَّ على العذراء مريم فهو الأب والابن والروح القدس.
٩	وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض.	وصعد يسوع بجسده إلى السماء من بعد صلبه لمَّا كمل عمله على الأرض.
١٠	ولسوف يأتي بوذا مرة ثانية إلى الأرض ويُعيد السلام والبركة فيها.	ولسوف يأتي يسوع مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها.

لقد جاءت هذه المقارنات التي عقدها البيروتي – رحمه الله – بعد ذكر ستة عشر فصلاً من التشابه، بل قل، من التطابق بين عقائد الديانات الوثنية القديمة، وعقائد النصرانية، وهي:

- عقيدة التثليث، أي القول بالأب والابن والروح القدس.
- الصلب: تقديم أحد الآلهة فداءً عن الخطيئة.
- الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلِّصين للعالم.
- ولادة أحد الآلهة الذين قدَّموا أنفسهم فداءً عن الناس.
- النجوم التي ظهرت عند ولادة أحد الآلهة.

- الجنود السماوية التي ظهرت تسبح وتقدس عند ولادة أحد الآلهة الذين اتحدوا بالناسوت.
- الاستدلال على (الطفل الإله) وإكرامه بالهدايا!!
- محل ولادة بعض الآلهة الذين ظهروا بالناسوت.
- القول عن الآلهة المتجسدة أنها من سلالة ملوكانية.
- الاعتقاد بطلب الملوك والجبابرة قتل الآلهة المتجسدة.
- تجربة الشيطان لأبناء الآلهة المذكورين وصيامهم أربعين يومًا.
- نزول أبناء الآلهة المتجسِّدين إلى الجحيم من أجل خلاص الأموات.
- قيام أولئك الآلهة من بين الأموات.
- مجيء الآلهة المتجسدة إلى هذا العالم ثانية.
- الاعتقاد بأن الإله الابن هو خالق العالم ومدبره.
- التعميد لإزالة الخطيئة [1].

فهذه خلاصة ما تعلَّق به زويمر في دعواه، وقد رأينا أن الدين الإسلامي الذي بلَّغه محمد صلى الله عليه وسلم قد زخر بالتنديد التنفير ومن عبادة الأوثان، بل لم يعُرف هذا عن نبينا – صلى الله عليه وسلم – في الجاهلية قبل البعثة فضلاً عن الإسلام فكيف يكون من دعاتها؟! فلم يبق إلا الحق المبين؟ إنه الإسقاط، ودفع التهمة الواضحة بإلصاقها بما هو منها براء، براءة الذئب من دم ابن يعقوب – عليهما السلام–.

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [2].

---

[1] بقيت مسألة أدعى زويمر أنها دليل له على تأثر الإسلام بالوثنية وهي اسم الله "الصمد"، وقد رأيت إن إرجاءها للمبحث التالي أولى لتعلقها به.

[2] المائدة: من الآية ٧٧.

لقد اعتمد زويمر فيما سبق رأْيَ كتَّاب غربيين من أمثال سبرنجر، وموير Muir، واعتمد موير على كتاب "مصادر القرآن الأصلية The Original Sources of the Quran" لتسدال Tisdall، ومما هو جدير بالذكر أن من علماء الغرب من نظر بإنصاف لما ذكره موير وتسدال عن أصول ومصادر الإسلام ولم يرتضوا المنهج المستخدم في الكتاب كذلك:

"The essay by st. Clair Tisdall with a forward by Muir seems to have been included for the Christian prospective ….. It is not particularly scholarly essay or even a polemical one, It is simply a polemic. The author is altogether fond of using words such as "foolish", "Fancial" , "Childish" and "ignorant" when describing quranic stories that disagree with his Christian reading of the old Testament" [1].

يقول هربرت بيرج [٢]:

"لقد كانت المقالة المكتوبة بواسطة كلير تسدال ثم موير من وجهة نظر مسيحية .... فليست مقالة علمية (قوية الصلة بالدراسات الأكاديمية) خاصة، ولا مقالة جدلية كذلك، فقد كان المؤلف مُغرما تمامًا باستخدام كلمات مثل "سخيف"، "وهمي"، "طفولي"، "جاهل".. عند وصفة القصص القرآني الذي يتعارض مع قراءته المسيحية للعهد القديم".

---

(1) Herbert Berg, "Review of Ibn Warraq's the origins of the Koran: classic Essays on Islam's Holy Book "Bulletin of the school of Oriental and African studies, 1999 Vol. 62, P. 558.

(٢) أستاذ في الدراسات اللاهوتية بجامعة كارولينا الشمالية ويلمجتون. أمريكا

- en. Wikipedia.org. Herbert Beg (Scholar).
- People uncv.Edu/berg/cv.Pdf.

المبحث الأول

"عقيدة المسلم في أسماء الله وصفاته"

توطئة :

المطلب الأول :

معاني الأسماء والصفات ودلالتها على الرب –تعالى-

المطلب الثاني :

علاقة الرب بالعالم كما يظهر من أسمائه وصفاته .

توطئة:

مما لا شك فيه أن شرف العلم تابع لشرف المعلـوم، ولا ريـب أنَّ أجـلَّ معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السـموات والأرضين الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المُنزَّه عـن كـل عيـب ونقص، وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

ولا ريب أن العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجلُّ العلوم وأفضـلها، ونسـبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات.

وكما أنه أجل العلوم وأشرفها وأعظمها، فهو أصلها كلها، فكلُّ علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقيق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عـرف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربَّه فهو لما سواه أجهل؛ فعلى أساس العلم الصحيح بالله وأسمائه وصفاته يقوم بالإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، وتنبنـي مطالـب الرسالة جميعها، فلا حياة للقلوب ولا نعيم، ولا سرور، ولا أمان، ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربَّها ومعبودها وفاطرها، ويكون أحبَّ إليها مما سواه، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكـون إلا شقيًا معذبًا، كما هو حال الكافرين.

لذلك فإن مَنْ في قلبه أدنى حياة أو محبة لربِّه، وإرادة لوجهه وشوق إلـى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التبصُّر فيه، وسـؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه، وأجل غاياته، فهذا هو الكمـال الذي لا كمال للعبد بدونه، فله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسـل، وقامت السماوات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ولأجلـه شُـرعت الشـرائع، وأسست الملَّة، ونصبت القبلة، وهو قطب رحي الخلق، والأمر الذي مداره عليـه، وهو بحق أفضل ما اكتسبته القلوب، وحصَّلته النفوس، وأدركته العقول، وليسـت القلوب الصحيحة والنفوس المطمئنة إلى شيء من الأشياء أشوق منها إلى معرفـة هذا الأمر، ولا فرحها بشيء أعظم من فرحها بالظفر بمعرفة الحق فيه [(١)].

---

(١) د. محمد خليفة التميمي، الصفات الإلهية، ص ٤.ط.دار أضواء السلف ١٤٢٢-٢٠٠٢

إذا كان الأمر كذلك، فحريٌ أن يقف من يبغي نجاته وكماله على هذا الباب العظيم ليكون على بينةٍ من أمره فيما يسمع أو يقرأ، فالمسلمون وسط في هذا الباب خاصة، وفي سائر أبواب الشريعة كذلك بين الغلو والجفاء، بين الإفراط والتفريط، فلم يجحدوا شرعة الناسخ لأجل شرعة المنسوخ كما فعلت اليهود، ولا غيرَّوا شيئًا من شرعة المحكم، ولا ابتدعوا شرعًا لم يأذن به الله كما فعلت النصارى، ولا غلو في الأنبياء والصالحين كغلو النصارى، ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود، ولا جعلوا الخالق – سبحانه – متصفاً بخصائص المخلوق ونقائصه ومعايبه من الفقر والبخل والعجز كفعل اليهود، ولا المخلوق متصفاً بخصائص الخالق – سبحانه – التي ليس كمثله فيها شيء كفعل النصارى، ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود ولا أشركوا بعبادته أحدًا كفعل النصارى.

فهل قام منهج صموئيل زويمر في دراسة باب صفات الرب – عز وجل – عند المسلمين على بيان هذه الوسطية، بين أهل الجحد والتعطيل، وبين أهل التشبيه والتمثيل، أم أنَّ الأمر كان خلاف ذلك؟ هذا ما نناقشه – إن شاء الله تعالى – في المطالب الآتية:

المطلب الأول
معاني الأسماء والصفات
ودلالتها على الرب – تعالى –

مما ينبغي أن يعلم أن أسماء الله – تعالى – كلها حُسنى ليس فيها نقص بوجه من الوجوه ولا بحال من الأحوال، قال الله – تعالى –: (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١) فوصفها باسم التفضيل، فليس فيها نقص بوجه من الوجوه.

وإذا كان الأمر كذلك، فلن تكون هذه الأسماء حسنى إلا إذا تضمنت معاني وأوصافًا، فكل اسم منها يتضمن الصفة التي اشتق منها، فأسماء الله أعلام دالة على صفات، ولولا ذلك ما كانت حسنى؛ لأنها إن لم تتضمن معنى صارت جامدة لا معنى لها، وإذا كانت أسماء جامدة لا معنى لها فلا توصف بالحسنى، والله – عز وجل – وصفها بأنها حسنة أي بالغةٌ في الحُسن كمالَه.

لقد حرص النبي – صلى الله عليه وسلم – على بيان معاني بعض الأسماء إمعانًا في معرفتها لتقوم أمته بعبودية الله تعالى بمقتضى هذه الأسماء حق القيام، ومن ذلك قوله الله تعالى: (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(٢).

فقد فسَّر النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه الأسماء الأربعة بقوله: "أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الأخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء" (٣).

---

(١) الأعراف: الآية ١٨٠.

(٢) الحديد: الآية ٣.

(٣) رواه مسلم (٤٨٨٨)، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه–.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة سواء كانت زمانيـــة أو مكانيـــة، وسيأتي زيادة بيان لهذه الأسماء إن شاء الله.

ومن ذلك بيان النبي – صلى الله عليه وسلم – لاسم الله "العلي"، و"الأعلى"، بقوله، وفعله، وتقريره، فهذا الاسم يتضمن صفة العلو الذاتي لله تعالى على الوجه اللائق به، وما يكاد يخلو كتاب من كتب السنة، أو الاعتقاد من هذه المباحث (١).

ومن ذلك أسماء تعرفها العرب لأن القرآن نزل **﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾** (٢)، فإذا سمعوها أمرَّوها كما جاءت لأن تفسيرها معروف في لسانهم.

من هنا صارت معرفة معاني الأسماء والصفات مردها إلى ما جـــاء فـــي الوحيين أو ما تعرفه العرب في لسانها، فلا يجوز لأي أحد أن يفسر كلام العـــرب بخلاف ما جاء في كلامهم، أو ما بيَّنه أفصح الناطقين به – صلى الله عليه وسلم، خاصة إذا كان يحتج بما ورد عن النبي – صلى الله عليه وســـلم – مـــن آيـــات وأحاديث كما هو الشأن في صموئيل زويمر، فقد تناول دراسة مبحث أسماء الرب وصفاته في واحد من أخطر كتبه، وهو "The Moslem Doctrine of God"، مستدلاً بالآيات والأحاديث، ومعاجم العرب، فهل وفِّق في ذلك؟، وهل كان زويمر على دراية بلغة العرب وأسرارها ليستطيع الولوج في هذا الباب العظيم؟!

يقول صموئيل زويمر في بيان سبب تأليفه لهذا الكتاب:

"Unless we know the Moslems' idea of God, we cannot understand his creed nor judge his philosophy nor intelligently communicate our idea of God to him…. Our purpose in these pages is to learn the extent and content of this idea "The Moslem Monotheism".

---

(١) انظر في ذلك: الشريعة للأجرى (١٠٨١/٣)، باب: ذكر السنن التي دلَّت العقلاء علـــى أن الله – عز وجل – على عرشه فوق سبع سموات وعلمه محيط بكل شيء، وكذلك الإبانة الكبرى لابـــن بطة (١٣٦/٣) باب: الإيمان بأن الله – عز وجل – على عرشه بائن من خلقه، وكـــذلك شـــرح الواسطية للعثيمين (١٧٧/٢).

(٢) الشعراء: الآية ١٩٥.

I have found no book in English, among the wealth of literature on Islam that treats of this subject. For a fair interpretation, however, of Islam's idea of God. We must go not only to the Koran, but also to Orthodox tradition. The Hadith….. "(1).

"لو لم نعرف فكرة المسلم عن الرب، فلن نستطيع فهم عقيدته، ولا الحكم على فلسفته، ولن نستطيع أن نوصل له فكرتنا على الرب بمهارة...، إن هــدفنا في هذه الصفات هو تَعُّلم مدى ومحتوى هذه الفكرة "التوحيد الإسلامي".

لم أجد كتابًا بالإنجليزية – من بين الثروة الأدبية عن الإسلام – عالج هذا الموضوع، ولكي نحصل على تفسير مقبول للفكرة الإسلامية عن الرب، علينا أن نلجأ ليس فقط إلى القرآن، ولكن إلى التراث القديم "الحديث...".

فهل وفَّى زويمر بما أخذه على نفسه ليخرج بتفسير مقبول، مــن الرجــوع إلى الوحيين لفهم معاني أسماء الرب وصفاته التي هي محــل البحــث وجــوهر التوحيد الإسلامي؟! أم أنها مجرد غطاء أراد أن يخفي تحته ما يريــد الوصــول بقارئه إليه؟

يقول صموئيل زويمر عن تفسير اسم الله "الظاهر والباطن"

"Whether Mohammed himself intended to teach the idea of pantheism or had any idea of the import of these terms does not alther the fact that they spell pantheism to many of his followers. If pantheism is the doctrine of one substance. It is taught her. God is the inside and outside of everything. He is the phenomena (Dhahir) and the power behind the phenomena (Batin) (2).

"سواء قصد محمد أن يُعلِّم فكرة وحدة الوجود بنفسه، أو كــان لديــه أي فكرة عن مغزى هذه المفردات، فهذا لا يُغير حقيقة أنها تعني الحلولية لكثير من أتباعه؛ فلو كانت وحدة الوجود اعتقاد وحدة المادة (الجوهر)، فإنها تُدَّرس هنا، فالرب هو باطن كل شيء وظاهره؛ إنه الظاهرة (الظاهر)، وهو كذلك القوة خلف تلك الظاهرة "الباطن".

(1) S. Zwemer, The Muslim Doctrine of God. P. 7.
(2) S. Zwemer, The Muslim Doctrine of God. P. 61.

إن الناظر في هذا الكلام يجد بلا شك أن زويمر أخطأ خطأين:

الأول: أنَّه فسَّر هذه الأسماء بخلاف ما وعد أنه سيرجع إليه.

الثاني: أنَّه حمَّلها ما لم تحتمل من المعاني.

فأما الأول، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد فسَّر بجلاء معاني هذه الأسماء، والنبي هو أعلم الخلق بربه، وهو المبلِّغ عنه – تعالى – المفسر لوحيه كما قال – عز وجل – **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**(١).

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن فاطمة – رضي الله عنها –.

أتت النبي – صلى الله عليه وسلم – تسأله خادمًا، فقال لها: قولي: "اللهم رب السموات السبع والأرض، ربَّ العرش العظيم، ربنا وربَّ كلِّ شيء، فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كلِّ دابة أنت أخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الأخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنَّا الدين، وأغننا من الفقر".

يقول الشيخ محمد خليل هراس:

"قد اضطربت عبارات المتكلمين في تفسير هذه الأسماء، ولا داعي لهذه التفسيرات بعدما ورد تفسيرها عن المعصوم – صلوات الله وسلامه عليه –، فقد روى مسلم في صحيحه عن النبي – صلى الله عليه وسلم – "الحديث، ثم قال:

فهذا تفسير واضح جامع يدل على كمال عظمته سبحانه، وأنه محيط بالأشياء من كل وجه فـ "الأول والأخر" بيان لإحاطته الزمانية، و "الظاهر والباطن" بيان لإحاطته المكانية، كما أن اسمه الظاهر يدل على أنه العلي فوق جميع خلقه، فلا شيء منها فوقه.

---

(١) النحل: الآية ٤٤.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، فأحاطت أوليته وأخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته و باطنيته بكل ظاهر وبـــاطن، فاســـمه "الأول" دال على قدمه وأزليته، واسمه "الأخر" دال على بقائه وأبديته، واســـمه "الظـــاهر" دال على علوِّه وعظمته، واسمه "الباطن" دال على قربه ومعيته، ثم ختمت الآية (١) بما يفيد إحاطة علمه بكلِّ شيء من الأمور الماضية والحاضـــرة والمســـتقبلية، ومـــن العالم العلوي والسفلى ومن الواجبات والجائزات، والمستحيلات، فلا يغيـــب عـــن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فالآية كلها شأن إحاطة الرب سبحانه بجميع خلقه من كل وجه، وأن العوالم كلها في قبضة يده كخردلة في يد العبـــد لا يفوته منها شيء" أ.ه(٢)

وأما الثاني: فإنه لا يُعرف في لغة العرب التي نـــزل القـــرآن بلســـانهم أن الظاهر يعني الظاهرة (Phenomena)، ولذلك إذا رجعنا إلى ترجمـــات معتبـــرة لمعاني القرآن الكريم نجد الآتي:

"He is the first (nothing is before Him) and the last (nothing is after him) the most high (nothing is above Him) and the most near, (nothing is nearer than Him). And he is the All-knower of everything" (3).

فلم يكن تفسير الاسم بهذا المعنى الذي ذكره زويمر، وإنما هو كما جاء في كتب اللغة وعلوم القرآن:

قال الفراء:

"الظاهر: على كلِّ شيء علمًا، وكذلك (الباطن) على كلِّ شيء علمًا".

وقال ابن جرير:

وقوله (الظاهر) يقول: وهو الظاهر على كلِّ شيء دونه، وهو العالي فـــوق كل شيء فلا شيء أعلى منه.

---

(١) هو قول الله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]

(٢) شرح العقيدة الواسطية (٣٢٠/١). لمجموعة علماء. ط. دار البصيرة.

(3) Interpretation of the meanings of the NOble Qur'an. P. 685. (Surat 57:3).

وقال الزَّجاج:

"الظاهر هو الذي ظهر للعقول بحُججه، وبراهين وجوده، وأدلة وحدانيته، وهذا إذا أخذْته من الظهور.

وإن أخذْته من قول العرب: ظهر فلانٌ فوق السطح إذا علا، ومنه قول الشاعر: وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها.

فهو من العلو، والله تعالى عالٍ على كل شيء" أ.ه.

وقال أيضًا: "الباطن" هو العالمِ ببطانة الشيء، يقال: بطنت فلانًا وخبرته: إذا عرفت باطنه وظاهره والله تعالى عارف ببواطن الأمور وظواهرها فهو ذو الظاهر وذو الباطن (١).

وقال الأزهري في تاج العروس: "ومن صفات الله عز وجل: الظاهر والباطن، وتأويلها ما روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في تمجيد الرب "اللهم أنت الظاهر...." الحديث، وقيل معناه:

أنه علم السرائر والخفيات، كما علم كلَّ ما هو ظاهر للخلق.. أ.ه.

فهل في هذه النقولات ما يقتضي تفسير اسم الله (الظاهر) بالظاهرة؟!، وهل يمكن ولو من بعيد جدًا إشارتها إلى الحلولية، أو وحدة الوجود؟!

لم يكن هذا خطأ زويمر الوحيد في بيانه لمعاني الأسماء والصفات، وإنما وقع كذلك في تفسيره لاسم الله "الحق".

يقول زويمر في بيانه لمعاني اسم الله "الحق".

"El – Hak – The Truth." (2).

ففسَّر اسم الله الحق، بالصدق الذي هو ضد الكذب، ولذلك أردفه بحديث نبوي عن الكذب، وهذا التفسير لا يُعرف في معاجم اللغة أو تفاسير الأئمة (٣).

---

(١) راجع عزو النقولات السابقة في النهج الأسمي للنجدي (١٥٣/٢). ط. مكتبة الإمام الذهب. الكويت.

(2) S. Zwemer. The Muslim Doctrine of God. pp. 41.

(٣) كثيرةٌ هي أخطاء المستشرقين المعجمية والنحوية في ترجماتهم لمعاني الآيات والأحاديث وذلك لجهلهم بلغة العرب، وقد ذكر أستاذنا عبد الراضي عبد المحسن نماذج كثيرة لترجمات مغلوطة إنجليزية وألمانية وفرنسية في بحث له بعنوان: "مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم – دراسة تاريخية نقدية"، ١٤٢٣ هـ.

يقول الأزهري:

معناه: وجب يجب وجوبًا [1].

وقال ابن منظور:

الحق: من أسماء عز وجل، وقيل: من صفاته، قال ابن الأثير: هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته [2].

وقال الخطابي:

الحقُّ هو المتحقق كونه ووجوده، وكل شيء صحَّ وجوده وكونه فهو حق، ومنه قول الله سبحانه: **(الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢))** [3] معناه، والله أعلم: الكائنة حقًا لا شك في كونها لوقوعها [4].

وقال الحليمي:

الحق: ما لا يسع إنكاره، ويلزم ثبوته، والاعتراف به، ووجود الباري عزَّ ذكره أولى ما يجب الاعتراف به، ولا يسع جحوده إذ لا مُثْبَت يتظاهر عليه من الدلائل البينة الباهرة، ما تظاهرت على وجود الباري جلَّ جلاله [5].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا قام من الليل يتجهد قال: "اللهم لك الحمد أنت قَّيِّمُ السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – حق، والساعة حق ..." الحديث.

---

(١) نقله صاحب اللسان عنه، مادة حقق (٥٢٦/٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحاقة: الآيتان ١ – ٢.

(٤) شأن الدعاء (٧٦). ط. دار الثقافة العربية.

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (١٨٤/١). نقلاً عن النهج الاسمي (١٥٤/٢).

قال الحافظ في الفتح:

"وإطلاق اسم (الحق) على ما ذُكر من الأمور معناه: أنه لابد من كونها، وأنها مما يجب أن يُصدَّق بها، وتكرار لفظ (حق) للمبالغة في التأكيد" (١).

فأين فَهْم زويمر لمعاني ما جاء على لسان رسول رب العالمين حتى يصير به قاضيًا مفتيًا في ديننا؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

يقول صموئيل زويمر كذلك في بيان معنى اسم الله الصمد.

"One other term used for Allah we will have occasion to study later. It is the word "Es-Samad" the Eternal and seems to come from the same root as Samood, the name of an idol of the tribe of A'd (2).

"كلمة أخرى تستخدم غالبًا للإشارة إلى الله، وستأتي مناسبة لدراستها فيما بعد، إنها كلمة "الصمد" "الدائم"، ويبدو أنها مشتقة من نفس جذر كلمة "صمود" اسم صنم لقبيلة عاد".

ثم قال بعد أن أشار في الحاشية إلى تاج العروس ليؤكد كلامه:

"We thus are led back to the sources from which the Arabian Prophet drew his ideas of Allah from Arabian paganism" (3).

"وهكذا عدنا إلى المصادر التي رسم النبي العربي فكرته من خلالها عن الله، إنها الوثنية العربية".

إن الذي يجب علينا الآن هو الرجوع إلى تاج العروس للوقوف على حقيقة هذا النقل عن صاحب التاج.

يقول المرتضى الزبيدي – رحمه الله –:

"الصمد بالتحريك: السيد المطاع الذي لا يُقضى دونه أمر. وهو من صفاته تعالى وتقدس لأنه أُصمْدت إليه الأمور فلم يقض فيها غيره، وقيل: الذي يُصمَد إليه في الحوائج أي يُقصَد وأنشد الجوهري:

---

(١) الفتح (٣/٤).

(2) The Moslem Doctrine of God. P. 27 – 28.
(3) Ibdi. P. 28.

عَلَوتْــه بحســـامٍ ثُـــمَّ قلـــتُ لـــه   خُذْها حُذَيْفُ فأنــت الســيدُ الصـــمد

وقيل: الصمدُ: الذي لا يطعمُ، وقيل: الصَّمَدُ: السيد الذي انتهى سؤدده.

وقيل الصمد: السيد الذي انتهى سؤدده، قال الأزهري: أما الله تعـالى فــلا نهاية لسؤدده لأن سؤدده غير محدود، وقيل: الصَّمد: الذي صَمد إليه كل شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغنى عنه شيء وكلها دالٌّ على وحدانيته" أ.ه. (١).

ثم قال بعد ذلك "وصَمود كزبور: اسمُ صنم كان لعادٍ يعبدونه قال يزيد بـن سعد وكان آمن بهود عليه السلام:

عَصَــتْ عـــادٌ رســولَهم فأمســوْا   عطاشًـــا لا تَمسُّـــهُم الســـماءُ

لهـــم صـــنمٌ يُقـــال لـــه صـــمود   يقابلـــــهُ صـــــداءٌ والبغَـــاءُ

وإنَّ إلـــه هـــودٍ هـــو إلهـــي   علـــى الله التوكُّـــل والرجـــاءُ

فلم لم ينقل زويمر ما سبق الجملة التي تشبث بها من دلالـة الاسـم علـى توحيد الله تعالى "وانفراده بصمود الخلق إليه"؟!

وهل مجرد الاشتراك في نفس الجذر يعني ما وصل إليه بقوله بأن فكـرة النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ربه مستمدة من الوثنية العربية؟! بل، لماذا لم يقل ذلك في اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى إنهما أصل الأسـماء التاليـة الله العزيز والمنان؟ لأنه لو قالها لرد عليه كل عاقل، فإذا صح أن هذه الأسماء اشتقت للأصنام من اسماء الله تعالى بعد أن اعتقد المشركون أن الملائكة بنات لله واشتقوا لها من أسماء الله أسماء مؤنثة ،فلماذا لا يكون قوم هود فعلوا نفس الأمر واشـتقوا اسم صنمهم من اسم الصمد فقالوا عنه: صمود؟!

لقد اعتاد المستشرقون – ومنهم زويمر – أن يبثوا في أبحاثهم إرجاع كثير من الكلمات العربية، وخصوصًا ما يتعلق منها بالقرآن أو الســنة إلــى مصــادر أخرى كالعبرية، وجاهلية العرب، وذلك لمحاولة إقناع القارئ بـأن ديـن محمـد مستمد – كما سبق– بيانه من التوراة والإنجيل والوثنية، وهذه دعـوى عريضـة

---

(١) تاج العروس، مادة "صمد" (٢٩٦/٨) ط. دار الهداية.

كبيرة تحتاج إلى قوائم من فولاذ تقف عليها، ولكنا نراهم بنوْها على قوائم من ثلج أو ملح، وأسسوها على شفا جرف هارٍ.

يقول ابن فارس (١):

صمد: الصاد والميم والدال أصلان: أحدهما القصد، والأخر الصلابة في الشيء، فالأول: الصمد: القصد. يقال: صمُدته صمْدًا، وفلان مُصمْمَّد إذ كان سيدًا يقصد إليه في الأمور، وَصَمَدُ أيضًا. والله جلَّ ثناؤه الصَّمَد، لأنه يَصمْمِد إليه عباده بالدعاء والطلب. قال في الصمد:

علوْتــه بُحســامٍ ثــم قلــت لــه   خذْها حُذَيفُ فأنــت الســيدُ الصــمدُ

يقول صموئيل زويمر في معرض كلامه عن الاسم الحسن "الله"

"There are twenty different views as to the derivation of this name of the supreme. The most probable is that its root is "ilah" from the word "ilah" to worship. When we open the pages of ferozabodi; Beidhawi or zamakhshari and read some of these twenty other derivations, we find ourselves at the outset before an unknown God". (2).

"هناك عشرون رأيًا مختلفًا بالنسبة لاشتقاق هذا الاسم الأعظم، وأكثرها احتمالاً أن جذرها هو "إله" من الكلمة "ألهَ" أي "عَبدَ" فعندما نفتح صفحات الفيروز أبادي أو البيضاوي أو الزمخشري ونقرأ بعضًا من هذه الاشتقاقات العشرين، نجد أنفسنا بداهة أمام إله غير معروف".

إن هذا الكلام يذكرني بما قاله الأستاذ محمود محمد شاكر، وهو يتكلم في رسالته " في الطريق إلى ثقافتنا"عن المستشرق وماهيته:

"كيف يحوز في عقل عاقل أن تكون بضع سنوات قلائل كافية لطالب غريب عن اللغة وهذه حالة، أن يصبح محيطًا بأسرار اللغة وأساليبها الظاهرة والباطنة وبعجائب تصاريفها التي تجمعت وتداخلت على مر القرون البعيدة في

(١) مقاييس اللغة (٤٩٤). ط. دار الحديث.

(2) The Muslim Doctrine of God P. 23.

آدابها؟ هذا، مع أنه أيضًا تعلمها تلقيًا من أعجمي مثله، ولم يخالط أهلها مخالطة طويلة متمادية تتيح له التلقي عنهم تلقيًا يُبصِّره ببعض هذه الأسرار.

فأعجب العجب إذن، أن يَعُدَّ أحدٌ شيئًا مما كتبه المستشرقون في لغتنا وثقافتنا وتاريخنا وديننا، داخلاً في حد الممكن، وأن يراه متضمنًا لرأي حقيقٍ بالاحترام والتقدير، فضلاً عن أن يكون "عملاً علميًا" أو "بحثًا منهجيًا" نسترشد به نحن في شئون لغتنا وثقافتنا وتاريخنا وديننا، كما هو السائد اليوم في حياتنا هذه الأدبية الفاسدة.

أليس هذا شيئًا لا يطاق سماعه ولا تصوره؟ أليس غريبًا جدًا أن لا يكون لمثل هذا شبيه البتة في أي لغة وأي ثقافة كانت في الأرض، أو هي كائنة اليوم؟ أليس غريبًا أن يكون غير الممكن ممكنًا في ثقافتنا وحدها، دون سائر ثقافات البشر قديمها وحديثها؟ غريب عجيب لا محالة" أ.ه بتصرف [(١)].

هذا ما فعله زويمر حقًا في تعامله مع لغتنا وثقافتنا وديننا، يُفتي دون الرجوع إلى أهل اللسان وأئمة العلم، ولو رجع أخذ من كلامهم ما يحلو له، مما يوهم الاضطراب والتعارض، وإلا فبالرجوع إلى كلام هؤلاء الذين ذكرهم خاصة الفيروز أبادي والزمخشري لمعرفتهما القوية باللسان العربي. نجد الأمر كالتالي:

يقول الفيروز أبادي:

"أَلَه إلاهة وأُلُوهةً وأُلُوهيَّةً" عبد عبادةً، ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولاً ذكرتها في المباسيط، وأصحها عَلَم وغيُر مشتقّ، وأصله إلهُ، كَفعال بمعنى مألوه. وكلُّ ما أتخذ معبودًا إله عند متخذه" أ.هـ.

فنرى في كلام صاحب القاموس المحيط النص على معنى الإله، بأنه المعبود، ولذلك صدر به كلامه، وأما نقله الاختلاف فيها فهذا لا يعني الاضطراب كما أوهمه كلام زويمر، وذلك لأمور منها:

---

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (٦٧) بتصرف.

١- أنه نقل الصحيح في هذه الأقوال، بل أصحها، ونقله لباقي الأقوال مع ضعفها إنما هو من باب الاستطراد كما هي عادة أهل العلم التي لا يعرفها زويمر.

٢- أنه وإن صحت كلُّ هذه الأقوال، فالمرجح لمعنى كلِّ مشتق إنما هو السياق الذي يرد فيه، وما يلحقه من زيادة حروف أو نقص، وتضعيف وتسهيل وغير ذلك، وهذا أمر لا يماري فيه أحد حتى زويمر نفسه فهذا معروف شائع في لسان قومه، وإلا فما معنى كلمة "Lord".

في هذين المثالين [١]:

A – They wanted their daughter to marry an English Lord.

B – The Lord be with you".

وما الفرق بين هذه الكلمات مع أنها من نفس الجذر.

"Useful, useless" – "Comfortable, uncomfortable": "tolerance, intolerance"?

فهل بقيت بمعانيها بعد إضافة Suffixes أو Prefixes لها؟ وهل يبقى الفعل كما هو من حيث المعنى بعد إضافة حروف الجر له، وهو ما يُسمَّى في الإنجليزية بـ "Phrasal Verbs" أم يختلف المعنى؟

فما الفرق بين:

- Result in result from.

- Look for look up, look after, look into, look at, lookout, look forward to, ect. [2]?

وكذلك لغة العرب، يختلف معنى الكلمة حسب السياق مع أن أصلها واحد.

يقول ابن قتيبة – رحمه الله – في كتابه "تأويل مشكل القرآن" [٣].

(1) Cambridge, International Dictionary of English P. 841.

(2) Ibid. P. 840.

(٣) ابن قتيبة، هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، ولد سنة ٢١٣ ه ونشأ ببغداد الزاخرة بالعلماء فنهل من علمهم وأخذ من كل فن وأجاد فألف في العقيدة والقرآن وعلومه، والحديث واللغة، وكان كتابه "تأويل مشكل القرآن" ردًا على الطاعنين فيه مات سنة ٢٧٦ه (سير أعلام النبلاء ١٣/٢٩٦)؛ مقدمة "تأويل المشكل" ط. الرسالة.

باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة:

الإمام:

أصله: (ما ائْتمَمَت به). قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[١] أي: يؤم بك، ويقتدي بسنتك.

ثم يُجعل (الكتاب) إمامًا يؤتمُّ به بما أحصاه. قال الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [٢] أي بكتابهم الذي جُمعت فيه أعمالهم في الدنيا.

وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [٣] يعني كتابًا، أو يعني: اللوح المحفوظ.

وقد يُجعل (الطريق) إمامًا، لأن المسافر يأتم به ويستدلُّ. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [٤] أي: بطريق واضح [٥].

فهذا الأمر كما ترى معروف غير مستهجن في لغة العرب التي نزل بها القرآن فاتفقت عليه كلمتهم؛ فما من إمام أَلَّف في لغة العرب أو علوم الشريعة خاصة التفسير وعلوم القرآن إلا وتجد في كلامه الكثير من ذلك، وما عليك إلا أن تراجع معاجم اللغة كلسان العرب، أو القاموس المحيط، أو تاج العروس أو غير ذلك وستجد بلا نكير من أهل الشأن – نقلهم للمعاني المختلفة للكلمة الواحدة بسبب السياق الذي وردت فيه.

فيقال لزويمر:

"ليس أوان عشك فادرجي" [٦].

---

(١) البقرة: من الآية ١٢٤.

(٢) الإسراء: الآية ٧١.

(٣) يس: من الآية ١٢.

(٤) الحجر: من الآية ٧٩.

(٥) تأويل مشكل القرآن (٣٢٨)، وقد ذكر بعد ذلك المعاني المختلفة للفظ "الأمر" فأوصلها إلى سبعة ثم قال" وهذا كلُّه وإن اختلف فأصله واحد".

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٢٤٦) وهو مثل يُضربُ لمن يتعرضُ إلى شيء ليس منه.

وأما إذا رجعنا لكتب التفسير لمعرفة معنى لفظ الجلالة "الله" فسنجدهم كالمجمعين على أنه المعبود محبة وتعظيمًا، فأين ما ذكره زويمر من دعوى الاضطراب، أو أننا أمام إله غير معروف؟

ودعنا نراجع في ذلك:

١- تفسير ابن جرير الطبري عند قول الله تعالى: (**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**) (١).

٢- تفسير الكشاف للزمخشري عند كلامه على أول سورة الفاتحة.

٣- تفسير البيضاوي لأول سورة الفاتحة.

٤- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني عند ذكره لمفرده "إله".

٥- تفسير أبي السعود عند قول الله تعالى: (**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**) (٢).

فإذا اتفق أهل التفسير واللغة على المعنى الراهن فلا يهمنا الخلاف في الاشتقاق، فإنهم على فرض اختلافهم في هذا فقد فسروه بالمعبود، أو المعبود بحق أو المستحق للعبادة، ومدار فهم المعنى على هذا لا على أصل الاشتقاق والله أعلم.

وأخيرًا إذا كان البابا يوحنا بولس الثاني قد قرر أنه يحق للكنيسة وحدها أن تعلن في أي زمان ومكان عن المبادئ الأخلاقية وأنَّ مهمة تفسير كلام الله – الكتاب المقدس – بصورة أصلية سواء أكان مكتوبًا أم منقولاً شفاهة تقع على الرئيس الحي للكنيسة وحده الذي يستمد سلطته ويمارسها باسم يسوع المسيح، فكيف يصح في الأذهان أن يأتي شخص غريب عن لغة قوم ودينهم فيفتي فيها، ويخرج بنتائج وأصول لا تمت لمنهجهم وقواعدهم بأي صلة؟!! (٣).

---

(١) البقرة: الآية ١٦٣.

(٢) الفاتحة: الآية ١.

(٣) تنصير العالم، د. زينب عبد العزيز، (١٨)، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: ولقد احتجزت الكنيسة سائر الناس، ولا معقب لما تقول في هذا التفسير، أو في أي رأي تبديه وعلى الناس أن يتلقوا قولها بالقبول، وافق العقل أو خالفه، وعلى المسيحي إذا لم يستسغ عقله قولاً قالته أو مبدأ دينيًا أعلنته أن يروض عقله على قبوله فإن لم يستطع، فعليه أن يشك في العقل، ولا يشك في قول البابا" أ.ه. محاضرات في النصرانية، (٢٠٧)، مرجع سابق.

المطلب الثاني

علاقة الرب بالعالم كما يظهر من أسمائه وصفاته

توطئة:

إن جميع ما في هذا الكون من كائنات ومحدثات إنما هو موجب أسماء الله الحسنى وصفاته العلي، وسريان آثار هذه الأسماء والصفات في الكون – في عالمه الحسي والروحي، إنما هو مقتضى حمد الله تعالى ومجده، فللَّه – سبحانه – في كلِّ ما قضاه في هذا الكون وقدَّره الحكمة البالغة، والنعمة السابغة، وإذا عرف العبد ذلك بقلبه، وعاين آثار فعل الرب – تبارك وتعالى – في خلقه، شاهد مواقع عدله – سبحانه –، وفضله ورحمته، واجتمع له الإيمان بلزوم حُجته مع نفوذ أقضيته، وكمال قدرته مع كمال عدله وحكمته، ونهاية عُلوِّه على جميع خلقه مع إحاطته ومعيته، وعظمته وجلاله وكبريائه وبطشه وانتقامه مع رحمته وبرِّه ولطفه وجوده وعفوه وحلمه، فمن تأمل سريان آثار أسماء الله تعالى وصفاته في الكون عَلِم أنه – سبحانه – كامل في أوصافه وأسمائه وأفعاله، فلابد من ظهور آثارها في العالم، فإنه مُحسن، ويستحيل وجود الإحسان بدون من يُحسن إليه، ورزَّاق فلابد من وجود من يرزقه، وغفَّار وحليم، وجواد وبُّر ولطيف بعباده، ووهاب، وسميع وعليم.

فهذه الأسماء تقتضي متعلقات تتعلق بها، وآثارًا تتحقق بها، وإلا تعطلت تلك الأوصاف وبطلت تلك الأسماء، وإذا أراد المرء أن يطالع آثار ذلك وعلاقة الرب بهذا العالم فسيرى ذلك جليًا شاهدًا على ربٍّ حكيم كامل موصوف بكل ما يدل على استحقاقه لنعوت الجمال والجلال والكمال.

يقول ابن القيم – رحمه الله – في تقريره لآثار آحاد أسماء الله تعالى وصفاته على الكون التي تَسبي القلوب، وتسترق الألباب، ولا ينكرها إلا من طُمِس على بصيرته = يقول في بيان آثار رحمة الله تعالى الخاصة والعامة في هذا الكون.

"إن ظهور آثار هذه الصفة في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملــك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسَعِت كــلَّ شيء وإذا أردت أن تعرف ذلك فأنظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة فبرحمته أرسل إلينا رسوله – صلى الله عليه وسلم – وأنزل علينا كتابــه، وعصمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصَّرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرَّفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرَّفنا به أنه ربنا ومولانا.

وبرحمته علَّمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانــا، وبرحمتــه أطلع الشمس والقمر؛ وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض؛ وجعلها مهادًا وفراشًــا وقرارًا وكفاتًا للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب؛ وأمطر المطر، وأطلــع الفواكه، والأقوات والمرعى.

ومن رحمته سخر لنا الخيل والإبل والأنعام؛ وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدرِّ.

وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها، وكذلك بين سائر أنــواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هــي صــفته ونعمتــه، واشتقَّ لنفسه منها اسم الرحمن الرحيم، وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمتــه، وبصَّرهم ومكَّن لهم أسباب مصالحهم برحمته.

وأوسع المخلوقات عرشه، وأوسع الصفات رحمته، فاستوى على عرشه – الذي وسع المخلوقات – بصفة رحمته – التي وسعت كلَّ شيء.، ولما استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته؛ وتسمَّى به دون خلقه، وكتــب بمقتضــاه على نفسه – يوم استوائه على عرشه، حين قضى الخلق كتابًا فهو عنده، وضــعه على عرشه "أن رحمته سبقت غضبه".

وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منــه – ســبحانه – للخليقــة كلِّهــا بالرحمة لهم، والعفو عنهم، والمغفرة والتجاوز؛ والستر والإمهال؛ والحلم والأنــاة،

فكان قيام العالم العلوي والسفلي بمضمون هذا الكتاب؛ الذي لولاه لكان للخلق شأن أخر ومن رحمته أنه خلق مائة رحمةٍ؟ كلٌّ رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأنزل منها إلى الأرض رحمة واحدة – نشرها بين الخليقة – ليتراحموا بها، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والطير والوحش والبهائم، وبهذه الرحمة قِوام العالم ونظامه.

وتأمل قوله تعالى: **(الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤))** (١) كيف جعل الخلق والتعليم ناشئًا عن صفة الرحمة متعلقًا باسم الرحمن؟ وجعل معاني السورة مرتبطة بهذا الاسم، وختمها بقوله: **(تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ)** (٢)

وأنت لو تأملت العالم بعين البصيرة لرأيته ممتلئًا بهذه الرحمة الواحدة كامتلاء البحر بمائة، والجو بهوائه، فهو أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين (٣).

وتأمل قوله تعالى: **(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** (٤) تجد ربًّا قائمًا بنفسه، وقام به كلٌّ شيء فهو قائم على كلِّ نفس بخيرها وشرِّها، قد استوى على عرشه، وتفرَّد بتدبير ملكه، فالتدبير كلُّه بيديه، ومصير الأمور كلِّها إليه؛ فكونه ربِّ العالمين، لا يليق به أن يترك عباده سُدى هملاً، لا يُعِّرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم؛ فالربُّ هو الذي يُربي عبده" **(الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)** (٥) إلى جميع الأحوال والمصالح التي بها كماله، ويهديه إلى اجتناب المفاسد التي بها فساده وهلاكه.

---

(١) الرحمن: الآيات ١ – ٤.

(٢) الرحمن: ٧٨.

(٣) ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٤٨ – ٣٥١) بتصرف. ط. أضواء السلف.

(٤) الفاتحة: الآية ٢.

(٥) طه: الآية ٥٠.

(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُون (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤)) (١)

وهكذا في كلِّ ما جاء في كتاب الله تعالى، أو في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - تجد وصفًا لربِّ خالق مالك مدبرٍ قائم على شئون خلقه في كلِّ صغير وكبير، وقد كتب على نفسه الرحمة، ونزهَّ نفسه أن يظلم الناس شيئًا، فعاملهم بعدله وامتن عليهم بفضله، وما في الكون يشهد بذلك.

(فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) (٢).

أقول بعد هذه التوطئة: لم يختلف الأمر كثيرًا في هذا المطلب عمَّا سبقه في طريقه تناول صموئيل زويمر للدين الإسلامي بفروعه المختلفة، بل زاد الأمر هنا عصبية وجدالاً بلا طائل إلا لمجرد التشويش والتشويه، وهذا ما سيظهر جليًا من خلال هذه السطور التي ستعرض منهجه بحروفه ودلائله.

لقد بدأ زويمر كتابه "عقيدة المسلم في الرب" ببيان أهمية معرفة فكرة الإله في علم مقارنة الأديان، بل قال أنها جوهرية Fundamental، ثم بيَّن الهدف من كتابه، وهو إعطاء فكرة واضحة عما علَّمه محمد، وكذلك ما يعتقده متبعوه

(١) النمل: الآيات ٥٩ – ٦٤.

(٢) يونس: الآية ٣٢.

بخصوص الله(١)، فبدأ ببيان عقيدة المسلمين في ربهم ونبيهم، ومصـــدر تشـــريعهم المتمثل في القرآن، أو الوحي المتلو – كما سمَّاه – والسُّنَّة، وعباداتهم من صلاة، وصيام وزكاة وغير ذلك، وهذا كلُّه في نقاط موجزة.

انتقل زويمر بعد ذلك للكلام عن اسم الجلالة "الله" مبيناً اشـــتقاقه، ومـــدى خلاف علماء العربية في ذلك، ومصادر معرفة محمد بصفات إلهه (٢) – كما يزعم – مما بيناه فيما سبق من الدراسة بتوفيق الله تعالى.

بدأ زويمر تحليله لصفات الرب – تبارك وتعالى – بذكر آيات سورة الرعد **(وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَـــاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)** (٣) وسورة مريم: **(إِنْ كُـــلُّ مَـــنْ فِـــي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا)** (٤) ليدلل بذلك على أن علاقة الله بالعـــالم تقوم على القهر والقوة وغاية الإنسان أن يشعر بالخوف من الموت، ومن قدرة الله المطلقة فقام بتقسيم الأسماء الحسنى إلـــى أســـماء جـــلال، وســـمَّاها Terrible Attributes ولا أدري ما وجه تفسير الجلال بـــ Terrible، وأســـماء جمـــال، وسمَّاها GloriousAttributes، ثم ذكر أن أسماء الجلال كثيرة جدًا في القـــرآن والسنة بخلاف الأخرى فلا تذكر كثيرًا، وإن ذكرت فبلا معنـــى واضـــح فـــربٌّ المسلمين كما يقول زويمر

"He is a God who abases, leads astray, avenges, with holds His mercies, and works harm. In all these doings he is independent and all-powerful" (5).

"إنه الرب الذي يُذل، ويُضِل، وينتقم، ويُمسك رحمته، ويضر، ومع كل ذلك فهو حُرٌّ في أفعاله، صاحب قدرة مطلقة".

---

(1) S. Zwemer, the Muslim Doctrine of God. P. 9

(2) Ibid., P. 19.

(٣) الرعد: الآية ١٣.

(٤) مريم: الآية ٩٣.

(5) S. Zwemer, The Muslim Doctrine of God. P. 48.

ورب المسلمين كما ينقل زويمر عن بالجراف Palgrave (١) في كلام طويل هو الفاعل الوحيد في هذا العالم، فهو الذي يحفظ، وهو الذي يدمر، وخلقه كلهم سواء.

"All are alike, tools of the one solitary force, which employs them to crush or to benefit, to truth or to error, to honor or shame, to happiness or misery" (2).

"**الكل سواء، أدوات للقوة المنفردة التي توظفهم لقهرٍ أو لإفادة، لحق او باطل، لرفعة أو خزي، لسعادة أو بؤس**".

إنَّه ربٌّ غلبت عليه صفات القهر إذا قارنَّاه بما جاء في العهد الجديد، فربُّ المسلمين

"He is ever more ready to punish than to reward, to inflict pain than to bestow pleasure, to ruin than to build. It is his singular satisfaction to make created beings continually feel that they are nothing else than his salves" (3).

"**إنَّه مستعد لأن يعاقب أكثر من أن يكافئ، ليُلْحق الألم بالأخرين أكثر من أن يمنحهم السعادة، ليدمر أكثر من أن يبني. إنها قناعته المنفردة لجعل الخلق يشعرون بشكل دائم أنهم لا شيء أخر سوى أنهم عبيده**".

إن علاقة الرب بهذا العالم لا تقوم على الحب فهذه صفة لا يعرفها ربُّ المسلمين كما يقول:

---

(١) وليام جيفورد بلجراف (١٨٢٦ – ١٨٨٨م) من أشهر الرحالة الذين زاروا جزيرة العرب لعب دورًا أساسيًا في تأسيس "دائرة المعارف البريطانية"، من أقواله التي تبين منهجه "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه" انظر الغارة على العالم الإسلامي (٩٣) ط. منشورات العصر الحديث.

-en-wikipedia.org/Gifford Palgrave.

(2) S. Zwemer, The Muslim Doctrine of God P. 67.

(3) Ibid, P. 67.

"The attribute of love is absent from Allah. We have already indicated this in our discussion of the attributes. The love of God is a Christian sense means either God's love to us or our love to Him. Both ideas are strange to Islam" (1).

"إن صفة المحبة غائبة عن الله، ولقد بينًّا ذلك بالفعل في مناقشتنا للصفات. إن محبة الرب مغزى (إحساس) مسيحي، أعني سواء محبة الرب لنا أو محبتنا له، فكلتا الفكرتين غريبتان عن الإسلام".

لقد استطاع محمد أن يجعل أتباعه دائمًا خائفين مراقبين لربهم لا محبين له، فهم دائمًا يفكرون في النار التي كما يقول زويمر عنها

"All the wealth of Arabic vocabulary is exhausted in Mohammed's fearful and particularized descriptions of the awful torments of the doomed (2).

"لقد اُستنزفت كلٌّ مفردات العربية – على وفرتها – في وصف محمد المخيف والمفصَّل للعذاب الرهيب للمحكوم عليهم".

إنهم دائمًا ما يطالعون في قرآنهم جهنم بأسمائها المختلفة ودركاتها التي أعدت للعصاة على حسب ذنبهم، وبالتالي فعين الرب دائمًا تراقبهم، ولكنها ليست عين رحمة وحفظ ورعاية، وإنما هي كما يصورها زويمر.

"In the Koran, God's eye is a big microscope by which he examines his creatures. In the Bible, his eye is aflame of fire laying bare the deepest thoughts and intents of the heart. The Koran has no word for conscience" (3).

"في القرآن، عين الرب مجهر كبير يفحص به مخلوقاته، بينما في الإنجيل، عين الرب شعلة من نار تبسط بجلاء أعمق مشاعر ونوايا القلب، فلا مكان لكلمة "ضمير" في القرآن".

(1) Samuel Zwemer, The Muslim Doctrine of God. P. 100.
(2) Ibid, P. 53.
(3) Samuel Zwemer, The Muslin Doctrine of God. P. 57.

كانت هذه بعض الأفكار التي سطَّرها زويمر، وأراد من خلالها الكلام عن علاقة رب المسلمين بهذا العالم، مع زعمه أن هذا هو ما دلَّ عليه القرآن وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – فهل هذا حقًا منطوق القرآن ومفهومه؟ وهل دلَّ الكتاب المقدس على خلاف ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – مما يتعلق بهذا الأمر؟

إن القرآن الكريم لا تكاد تخلو آية من آياته من صفة لله – سبحانه وتعالى – أو اسم من أسمائه الحسنى؛ ففيه من ذكر أسماء الله وصفاته وأفعاله، أكثر مما فيه من ذكر الأكل والشرب والنكاح في الجنة، وهذا ما ييسر لنا الوقوف على حقيقة ما توصَّل إليه زويمر.

إن الناظر في آيات القرآن المستقرئ لآياته يجد نفسه أمام حقائق عدة أهمها:

١- أن الآيات التي اشتملت على صفات الجمال – كما سمَّاها زويمر – أكثر من الآيات التي اشتملت على صفات الجلال.

فاسم الله "الرحمن" ذكر في القرآن سبعًا وخمسين مرة، واسمه "الرحيم" ذكر مائة وأربع عشرة مرة.

وسمي الله – تعالى – نفسه بالغفور في إحدى وتسعين آية.

وورد اسم الله "الحليم" إحدى عشرة مرة، واسم الله "الرؤوف" عشر مرات، وهذا فيما يتعلق بالأسماء فقط، وأمَّا ما يتعلق بها من أوصاف وأفعال وآثار في هذا الكون فذكرها أضعاف أضعاف ذلك.

فإذا نظرنا في الأسماء التي سمَّاها بالجلال، وجدنا على سبيل المثال:

اسم الله "القوي" – والذي هو مصدر إزعاج لزويمر، ذكر في القرآن في تسعة مواضع فقط، واسم الله "القادر" اثنى عشرة مرة، بينما اسم الله "القدير" ورد خمسًا وأربعين مرة.

وجاء اسم الله "المتكبر" في آية واحدة هي قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (١).

فكيف يقول زويمر مخاطبًا عقولاً يعرف أنها لا تراجع كلامه:

"Although we admit that the merciful attributes are in a sense moral attributes. Of these only two occur in the Koran, and both are of doubtful significance in Moslem theology~ While we find that the "terrible" attributes of God's power occur again and again in the Koran" (2).

"بالرغم من اعترافنا أن صفات الرحمة سمات أخلاقية، فلا يوجد منها إلا اثنان في القرآن، وكلاهما ذو دلالة مظنونة في دين المسلمين، بينما نجد الصفات الرهيبة (المريعة) لقوة الرب تتكرر مرة بعد أخرى في القرآن".

فأي دارس منصف لكتاب الله – عز وجل – يتضح له جليًا أن هذا مجرد زعم ليس عليه أثارةٌ من علم.

٢- أن هذه الآيات التي ورد فيها وصف الرب – تبارك وتعالى – بصفات الجلال لم ترد على لسان نبينا – صلى الله عليه وسلم – وحده، بل كذلك وُصف بها على لسان غيره من الأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – ومن ذلك على سبيل المثال.

أ) الآيات التي ذكرها الله تعالى في سورة البقرة (٢٥٨ ← ٢٦٠).

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ...... وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

ب) قول زكريا – عليه السلام – (قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (٣)

---

(١) الحشر: الآية ٢٣.

(2) S. Zwemer, the Moslem Doctrine of God. P. 49.

(٣) آل عمران: آية ٤٠.

ج) قول مريم – رحمها الله – (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ(٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)) (١).

د) قول الله تعالى عن كليمه موسى – عليه الصلاة والسلام – (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .... فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) (٢).

ه) ما ذكره الله تعالى في سورة الأعراف (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ..... كَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) (٣) على لسان هود وصالح، ولوط، وشعيب – عليهم الصلاة والسلام – من حوار دار بينهم وبين أقوامهم وبيان عاقبة أمرهم.

و) ما ذكره الله تعلى على لسان نبيه نوح – صلى الله عليه وسلم – في سورة يونس (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ

(١) آل عمران: آيات ٤٧ – ٥١.
(٢) المائدة: الآيات ٢٠ – ٢٦.
(٣) الأعراف: الآيات ٦٥ – ٩٣.

عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣)) [١]

ز) ما ذكره الله تعالى في سورة الشعراء (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)) إلى قوله ...... (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)) [٢]

٣- لو لم ترد هذه الصفات إلا في القرآن فلربما كان لزويمر أن يتمسك بذلك، فكيف وقد ورد وصف الرب بذلك في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومنها على سبيل المثال:

أ) **اسم الله "الملك":**

ورد هذا الاسم في قول الكتاب المقدس (الرب ملك إلى الدهر والأبد – بادت الأمم من أرضه) [٣].

وكذلك "يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي. اهتفوا لله بصوت الابتهاج. لأن الرب عليٌّ مخوفٌ ملك كبير على كل الأرض – يخضع الشعوب تحتنا، والأمم تحت أقدامنا" [٤].

---

(١) يونس: الآيات ٧١ – ٧٣.

(٢) الشعراء: الآيات ١٠ – ٦٨.

(٣) مزمور ١٠ : ١٦.

(٤) مزمور ٤٧: ١ – ٤.

٤- اسم الله (القدير)، (الجبار)

"ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات، فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب القدير الجبار، الجبار في القتال) (مزمور ٢٤: ٧ – ٩).

٥- وصف الرب "بالعلو القهري والقوة والسطوة.

"وسبح داود الربَّ أمام الجمع المحتشد قائلاً: "لك الحمد أيها الرب، إله أبينا إسرائيل، من الأزل وإلى الأبد. لك يا رب العظمة والسطوة والجلال والبهاء والمجد، لأن لك كل ما في السماء والأرض. أنت يا رب صاحب الملك وقد تعاليت فوق رؤوس الجميع. أنت مصدر كل غنى وكرامة، وأنت المتسلط على الجميع والمالك للقوة والسطوة، وأنت القادر على تعظيم الجميع وتقوية عزيمتهم".

(أخبار الأيام الأول ٢٩: ١٠ – ١٣)

٦- قلت "محمد":

ما الفارق بين هذه الصفات آنفة الذكر، وما عاب به زويمر ربَّ المسلمين على لسان غير واحد من المستشرقين من أمثال Palgrave الذي وصفه بأنه 'The only agent, the only force, the only act, the sole power ……"?

٧- اسم الله (القوي)

"أيها الرب القدير من مثلك؟ رب قوي أنت وأمانتك تحيطك لك سلطان على هيجان البحر فتهدئ أمواجه عند ارتفاعها. بطعنة واحدة قتلت رهب، وبقوة ذراعك فرقت أعداءك. لك السماوات والأرض جميعًا، والكون وما فيه أنت أسسته. أنت خلقت الشمال والجنوب" [١].

(١) مزمور ٨٩: ٨ – ١٢.

٨- تسمية الرب "الرهيب"

"وإن لم تحفظوا جميع أحكام هذه الشريعة المكتوبة في هذا السفر، وتعملوا بها وتخافوا اسم الرب إلهكم المجيد الرهيب، يرسل الرب عليكم وعلى نسلكم ضربات عظيمة عجيبة وأمرضًا خبيثة لا شفاء منها. ويعيد عليكم جميع الأوبئة التي أنزلها بالمصريين وفزعتم منها، فتعلق بكم. وكل مرض وضربة مما لم يكتب في سفر هذه الشريعة يسلطه الرب عليك حتى تدمروا) (١).

فأين هذه الصفات من قول زويمر عن رب المسلمين (٢):

"He is a God of power, a tremendous autocrat, the pantheism of force. He is merciful and compassionate to those that obey Him and his prophet, but He is also the proud, the terrible, the avenger who creates hell and fills it with infidels"(3).

"إنه إله القوة، المستبد الرهيب، المنفرد بالقوة. إنه رؤوف ورحيم مع من يطيعه ويطيع رسوله، لكنه أيضًا المتكبر، الرهيب، المنتقم الذي يخلق النار ليملأها بالكافرين".

وهل الربُّ في الكتاب المقدس يجعل محبته ورحمته لكلِّ أحد أم أنها كذلك للمؤمنين به دون غيرهم؟ حتى يقول زويمر.

"Islam is an exclusive brotherhood of believers, not an inclusive brotherhood of humanity" (4).

"إن الإسلام أخوة قاصرة على المؤمنين، ليست شاملة للبشرية".

(١) تثنية ٢٨: ٥٨ – ٦١.

(٢) للاستزادة، انظر الدكتور/ محمود عبد الرازق الرضواني: "أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس دراسة مقارنة". ط. دار سلسبيل.

(3) S. Zwemer. Childhood in the Moslem world. P. 201.

(4) Samuel Zwemer, The Muslim Doctrine of God. P. 110.

لقد كان زويمر يعلم أن كثيرًا من قرائه لا يراجعون كلامه، ولا يقابلونه بما في الكتاب المقدس، مع أننا لو نظرنا فيه نظرة باحث عن الحقيقة لوجدنا فيه كثيرًا من النصوص التي هي حجة على زويمر لا له.

ففي إنجيل لوقا (٨: ١٩ – ١٢).

"وجاء إليه أمه وأخواته، ولم يقدروا أن يصلوا إليه بسبب الجمع. فأخبروه قائلين: "أمك وإخواتك واقفون خارجًا، يريدون أن يروك" فأجاب وقال لهم: "أمي وإخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها".

وفي إنجيل متى (٢٢ : ٤٤) ما هو قريب من هذا المعنى.

وفي متى (٢٣ : ٣٣) ، (٢٥ : ٤٥) ، (٢٢ : ١٣) كذلك.

وفي إنجيل لوقا (١٦ : ١٩ – ٢٦) في قصة الغني ولعازر.

فهذه النصوص تبين لنا أن المحبة والرحمة إنما هي لمن آمن بأنبياء الله ورسله وعبد ربه وحده ولم يشرك به شيئًا لا كما يريد زويمر أن يلبس المسيحية ثوبًا ليس لها، لا من حيث ما ذكر في الكتاب المقدس، وكذلك من حيث الواقع الملموس، فهل ما يحدث لكلِّ من ليس مسيحيًا على وجه الأرض من قتل وتشريد وتطهير عرقي – خاصة المسلمين – منذ الحروب الصليبية يحمل زويمر على كتابة مثل هذا الكلام، أم الأمر بخلاف ذلك؟

وأخيرًا، ما الضَّيْرُ في أن يتصف الربُّ بهذه العظمة والقوة والإحاطة التي يدبر بها عالمه الذي خلقه؟ أم أن ذلك الانتقاص هو السبيل الوحيد لدعوة الناس لربِّ جاء ليخلص البشرية من الخطيئة الأولى؟ خطيئة أدم – زعموا –؟! أربٌّ يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار، بيده ملكوت كلِّ شيء، قائم على كلِّ نفس بما كسبت خيرٌ، أم ربٌّ يجوع ويطلب ما يأكل، ويعطش ويشرب، ويعرق من الخوف، ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تينًا يأكله، ويفشل فيركب حماره، ويؤخذ فيُلطم وجهه، ويُضرب رأسه بالقصبة، ويُبزق في وجهه، ويضرب ظهره بالسياط، ويُميته الشُّرط ويتهكمون به، ويُسقى الخل من الحنظل، ويُصلب بين سارقين

وتسمَّر يداه، ومات في الساعة ثم أحيا نفسه بعد الموت، ولم يكن له هــمٌ بعــد أن حيي إلا طلب ما يأكله، فأطعموه الخبز والحوت المشوي، وسقوه العسل، ثم انطلق إلى شغله؟! [١].

إذا كانت صفات الكمال والجلال صفات نقص يُعاب بها رب المسلمين، فما الذي ينبغي أن يمدح به؟!

(١) راجع ذلك في: متى (٢٧ : ٤٦)، (يوحنا ١٨ : ٢٢)، يوحنا (١٩ : ١) متى (٢٦ : ٣٨)، (متى ٢٦ : ٦٧)، مرقس (٥ : ٣٠)، لوقا (١٩ : ٤١)، (لوقا: ٢٢ : ٦٣).

المبحث الثاني

عقيدة المسلم في القدر وأثرها عليه

توطئة

المطلب الأول: عقيدة المسلم في القدر.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بالقضاء والقدر على المسلم

توطئة:

لما كانت عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في الإسلام من العقائد ذات الأهمية بين أركان الإيمان لارتباطها ارتباطًا وثيقًا بوحدانية الله وقدرته؛ فهو المصرِّف وحده لأمور الكون وكلِّ شئون الإنسان، فلا يقع أمر إلا بعلمه وقدرته كما قال تعالى:

(**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**)(١)

وقال تعالى: (**إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (٢)

فهو سبحانه الذي أوجد وأفنى وأمات وأحيا وأضل وهدى، فالقدر سر الله في خلقه ولابد من التسليم والتصديق به، فمن وحَّد وكذَّب بالقدر، نقض تكذيبه توحيده كما جاء عن ابن عباس – رضي الله عنهما –.

لمَّا كان الأمر كذلك، وكانت هذه العقيدة راسخة في قلوب المؤمنين، عمد الكثير من المستشرقين إلى التشكيك في سمو هذه العقيدة – كغيرها من عقائد المسلمين، زاعمين – كما هو حال زويمر –:

١- إن عقيدة القضاء والقدر فكرة إسلامية خالصة جاء بها النبي – صلى الله عليه وسلم – فهي عقيدة مبتدعة عندهم لم تكن معروفة قبلهم.

٢- إن هذه العقيدة هي سبب تخلف المسلمين، فلم يُعرف لهم يومًا حضارة، ولا إسهام في علم، وكانت دعوة إلى التواكل والخمول والكسل وعدم السعي للعمل اعتمادًا على أن الله قدَّر عليهم كلَّ شيء، وأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم.

فهل هذا الكلام صحيح أم أنه يحتاج لإعادة نظر فيما جاء به النبي الأمين – صلى الله عليه وسلم – خاصة لمن أراد الوقوف على حقيقة ذلك؟

---

(١) الأنعام: الآية ٥٩.

(٢) البقرة: من الآية ٢٠.

المطلب الأول

عقيدة المسلم في القضاء والقدر

مما لا شك فيه أن الأمانة العلمية والخلقية تقتضي نقل كلام زويمر في كل نقطة تعرض لها، وهذا مما حضنا عليه دنينا الحنيف حتى مع خصومنا، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (١).

ولمَّا كان ذلك الدرب هو الذي سلكته – بعون الله – منذ البداية، أصبح لزامًا على أن أكمله ليكون البحث على درجة واحدة من الموضوعية والإنصاف بعيدًا عن الهوى والجور.

يقول صموئيل زويمر:

"It is this dark fatalism which, whatever the Koran may teach on the subject, is the ruling principle in all Moslem countries. It is this which makes all Mohammedan nations decay" (2).

"أيا كانت طريقة بيان تدريس القرآن لهذا الموضوع، فهذا القدر المظلم هو المبدأ الحاكم في كل البلاد الإسلامية، وهذا ما جعل كل الأمم المحمدية (٣) تفسد".

فبين زويمر أن سبب تخلف المسلمين وفسادهم – زعم – هو إيمانهم بهذه العقيدة؛ عقيدة القضاء والقدر.

---

(١) المائدة: الآية ٨.

(2) The Muslim Doctrine of God. P. 93.

(٣) أي: المسلمين، وهذا اللفظ يستخدمه كثير من المستشرقين لاعتقادهم أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – جاء بهذا الدين من عند نفسه، والاسم الذي ارتضاه الله لنا "المسلمون".

ويقول أيضًا:

"Allah Katib" God decreed it, is the easy covering for many crimes. Moslem criminals often use it before their judge in a trial; and the judge remembering surah (4: 32" sometimes gives his verdict on the same basis" (1).

""الله كتب" إنه الغطاء السهل لكثير من الجرائم، فكثيرًا ما يستخدمها المتهمون "الجناة" المسلمون أمام القاضي في المحاكمة، فيتذكر القاضي الآية الثانية والثلاثين من السورة الرابعة". النساء (٢) فيعطي حكمه على هذا الأساس".

لقد كانت هذه العقيدة سببًا في الاحتجاج بها على كثير من الجرائم، فلم يكن بدٌّ من القاضي إلا الإذعان والقبول فصارت سببًا في الفساد وتبرير كلِّ خلق رديء في رأي زويمر.

ويقول أيضًا نقلاً عن مستر ألين إيرلند "Mr. Alleyne Ireland".

"The people of this belt have added nothing whatever to human advancement. Those natives of the tropics and sub-tropics who have not been under direct European influence have not made a single contribution of the art, literature, science, manufacture or invention; they have not produced an engineer or a chemist, or a biologist, or …." (3). "Such intensity is often supposed to be a result of Mohammedan fanaticism and fatalism" (4).

"لم يُضف الناس في هذا النطاق – شبه الجزيرة – أي شيء لتقدم البشرية؛ فهؤلاء المواطنون من ساكني المناطق الاستوائية، وشبه الاستوائية ممن لم يقع تحت التأثير الأوربي المباشر لم يقدموا ولو إسهامًا فريدًا في مجال

---

(1) S. Zwemer, The Muslim Doctrine of God. P. 98.

(٢) يريد بذلك قوله الله تعالى: (وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ......) [النساء: ٣٢] ولكن ما علاقة الآية بما ذكر؟!

(3) S. Zwemer, Childhood in the Moslem World. P. 43.

(4) S. Zwemer, Childhood in the Moslem world. P. 43.

الفن أو الأدب، أو العلم، أو الصناعة والاختراع، فلم يقدموا مهندسًا أو كيميائيًا، أو عالمًا بالأحياء أو .....".

ثم يبين على لسان هونتنجتن "Huntington" سبب ذلــك فيقــول "**فهــذه الحدة من المفترض أن تكون نتيجة العصبية المحمدية والقضاء والقدر**".

إنه الإيمان بالقضاء والقدر أيضًا، إنه الحامل لهؤلاء على القعود عن العمل والسعي للأخذ بركاب الحضارة، لأن دينهم المحمدي يدعوهم لذلك كما يظهر جليًا في كلام زويمر.

ويقول أيضًا:

"Fatalism has much to do with the enormous death rate of children in Moslem lands during epidemics or contagious diseases. There is no segregation, no attempt to prevent children with alight attack of smallpox from mingling freely with healthy children. Those whom God intends to live will live, those whom he means to die will die" (1).

"**لقد كان للقضاء والقدر دور كبير في معدل وفيات الأطفال الهائل في بلاد المسلمين خلال فترات الأوبئة والأمراض المعدية، فليس هنــاك محاولــة عــزل للأطفال ذي الإصابة الخفيفة من الجدري عــن الاخــتلاط بالأطفــال الصــحيين، فهؤلاء الذين أراد الربُّ حياتهم سوف يحيون، وهؤلاء الذين أراد موتهم ســوف يموتون**".

ها هو زويمر يزعم مرة أخرى أن المسلمين امتنعوا عن الأخــذ بأســباب الوقاية من الأمراض وعلاجها ركونًا لما علَّمَهم دينهم، فكان النتيجة ما ذكر مــن ارتفاع معدل الوفيات عند الأطفال خاصة، وما ذاك إلا لأن من مــات فقــد أراد الربُّ موته، ومن عاش فكذلك لإرادة الرب، فلماذا العمل والأخذ بالأسباب؟

(1) S. Zwemer, Childhood in the Moslem world. P. 62.

ويؤكد زويمر ما سبق ذكره بقوله:

"The indifference of Moslems to vaccination, and carelessness as to proper precautions in times of epidemic is largely due to their belief in fate" (1).

"**إنَّ عدم اكتراث المسلمين بالتطعيم، وإهمالهم للاحتياطات المناسبة في أوقات الأوبئة يرجع بشكل كبير لاعتقادهم في القدر**".

لقد كان ما مضي بعض ما ذكره زويمر مما يتعلق بعقيدة المسلمين في القضاء والقدر فهل هي كذلك بدعة محمدية تدعو للتخلف والكسل والاستسلام لكلِّ ما يتعرض له المسلم حتى لو كان به هلاكه أم أنه الكذب والافتراء بلا دليل؟

لقد جانب الصواب زويمر في هذه المسألة كغيرها من المسائل التي ناقشها، وذلك لأمور:

أولاً: زعمه أن هذه العقيدة اختص بها المحمديون – كما يسميهم – دون غيرهم من الأمم وهذا القول غير صحيح، فهو أمر معروف في دين الله الذي دعا إليه جميع الأنبياء، وإن اختلفت شرائعهم، ومعروف كذلك في الفلسفات القديمة، وإن كان هناك انحراف عن الأديان في مفهوم القدر (٢).

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن جميع الأنبياء والرسل قد أقروا وسلموا بقضاء الله وقدره، وبأنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد.

أ) فها هو نوح – عليه السلام – يطلب منه قومه أن يستعجل لهم العذاب الذي وعدهم به إن لم يؤمنوا بعد مراحل طويلة من الجدال معهم فيقول لهم **(إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلا يَنفَعُكُمْ**

---

(1) S. Zwemer, the Mohammedan world of to – day. P. 62.

(٢) د. عبد المنعم فؤاد: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام. (٢٥٢). ط. العبيكان.

نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤)) (١)

فليس الذي يستعجلون من العذاب إلى نوح، وإنما هو إلى الله لا إلى غيره، فهو الذي يأتيهم به إن شاء، وليس تعذيبهم بفائت منه، لأنهم حيث كانوا في ملكه وسلطانه وقدرته، وحكمه عليهم جار لا رادَّ له (٢).

ب) وعندما عرض إبراهيم – عليه السلام – رؤياه المنامية على ابنه إسماعيل – عليهما السلام–، وإسماعيل يعلم أن رؤيا الأنبياء حق، وأن هذا أمر من الله تعالى فيسلم لذلك ويطيع، ويقول لأبيه (**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**) (٣) فإن كان الله كتب عليَّ ذلك فقد وطنت نفسي على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى، لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله، وهذا هو الشاهد.

ج) وفي قصة يوسف – عليه السلام – يقول تعالى: (**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) (٤).

قال ابن كثير: (**إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ**) (٥): أي إذا قضى أمرًا قيَّض له أسبابه ويسَّره وقدَّره، "إنه هو العليم": بمصالح عباده، الحكيم: في أفعاله وأقواله، وقضائه وقدره، وما يختاره ويريده" أ.ه (٦).

---

(١) هود: الآيات ٣٣ – ٣٤.
(٢) انظر تفسير الطبري (٣٥/١٥) ط. الرسالة.
(٣) الصافات: الآية ١٠٢.
(٤) يوسف: الآية ١٠٠.
(٥) يوسف: من الآية ١٠٠.
(٦) تفسير ابن كثير ت. سلامة (٣١٤/٤).

فيوسف – عليه السلام – كان مؤمناً بالقدر، موقناً أن ما جرى له ويجـــري كان بتدبير من الحق – تعالى – لأنه وحده المدبر لشئون خلقه.

د) كذلك موسى – عليه السلام – ذكر الله تعالى عنه إيمانه بـــأن الهدايـــة والإضلال بيد الله وهما تحت مشيئته، فقد قال الله تعالى فـــي معـــرض قصته (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَـــالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ) (١) أي: هذا هو ابتلاؤك واختبارك، تُضل من تشاء، وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمـــن هـــديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت فالملك كلُّه لـــك، ولـــك الخلـــق والأمر، فأنت خير من غفر ، وأولى من رحم ، وأكرم مـــن أعطـــى، فقول موسى هذا يدل على تصديقه وإيمانه بقضاء الله وقدره، ولا معنى له غير ذلك.

هـ) وبعد أن خسف الله بقارون وداره يقول تعالى عن قومه: (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَـــافِرُونَ) (٢)، فقولهم هذا إقرار منهم بأن الله تعالى هو الذي يبســـط الـــرزق لـــبعض عباده ويُضيِّقه على بعضهم، فله الأمر، يفعل ما يشاء سبحانه وتعالى.

و) وكذلك أخبرنا الله تعالى عن قصة زكريا ومريم فقال: (فَتَقَبَّلَهَـــا رَبُّهَـــا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَـــا زَكَرِيَّـــا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١) الأعراف: الآية ١٥٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كـــلام المنَّـــان (٣٤٥) ط دار الســـلام، الرياض، الثانية.

(٢) القصص: الآية ٨٢.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١) فقول مريم – عليها السلام – ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يفيد الإقرار بأن هذا الأمر مرتبط بمشيئة الله تعالى (٢).

فهذه الآيات السابقة تدل على وحدة دين الرسل من جهة العقيدة وإن اختلفت شرائعهم، والإقرار بالقدر جزء من التوحيد الذي هو دين أبينا أدم ودين الرسل من بعده.

فإن قيل: فأين ما يدل أن عيسى – صلى الله عليه وسلم– كان يؤمن بمثل ما ذكرتم عن الأنبياء والرسل فيما يتعلق بالقضاء والقدر؟

فالجواب: أن هذا مما كثر على لسان عيسى – صلى الله عليه وسلم – مخاطبًا به تلاميذه، ومناجيًا به الرب – تبارك وتعالى – مما هو موجود في الإنجيل نفسه ليدل على صحة ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – حجة عليكم لا ينبغي أن تقابل إلا بالتسليم والقبول.

١- في إنجيل متى (٢٦: ٢٤)

يقول عيسى وهو يخاطب تلاميذه في عشاء الفصح؟

"إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي يُسلَّمُ به ابن الإنسان. كان خيرًا لذلك الرجل لو لم يولد".

٢- في إنجيل متى (٣٩/٢٦)

يقول عيسى وهو يناجي ربَّه وقد خرَّ على وجهه "سجد" يصلي:

"يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عنِّي هذا الكأس – يعني: صلبه –، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت".

٣- وفي متى كذلك (٤٢/٢٦).

"فمضى أيضًا ثانية وصلَّى قائلاً "يا أبتاه، إن لم يكن أن تعبر عنِّي هذه الكأس إلا أن أشربها، فلتكن مشيئتك".

---

(١) آل عمران: : الآية ٣٧.

(٢) المصدر السابق (٤٨١/٣).

٤- وفي إنجيل يوحنا (٥/٣٠)

يبين عيسى – عليه الصلاة والسلام – أن الأمر كلَّه بمشيئة الله.

"أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا، كما أسمع أدين، ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الأب الذي أرسلني".

٥- وفي إنجيل لوقا (١٧/١)

"وقال لتلاميذه: لا يمكن إلا أن تأتي بالعثرات، ولكن ويلٌ للذي تأتي بواسطته".

بل في كلام عيسى – صلى الله عليه وسلم– ما يوهم ظاهره الدعوى إلى التواكل وعدم الأخذ بالأسباب لأن الأمر كلَّه بيد الله تعالى:

ففي إنجيل متى (٦: ٢٥ – ٢٨):

يقول عيسى – صلى الله عليه وسلم – وهو يخاطب تلاميذه عن عناية الله بهم. "لذلك أقول لكم: لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولأجسادكم بما تلبسون، أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء: إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوي يقوتها، ألستم أنتم بالحريِّ أفضل منها؟ ومن منكم إذا أهتم يقدرُ أن يزيد على قامته ذراعًا واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ولا تتعب ولا تغزل".(١).

قد يقول قائل: إن المسيح – عليه السلام – أراد منهم التقلل من هذه الأمور لا ترك السعي في تحصيلها كلية، فيقال: فما معنى: "ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعًا واحدة؟" أليست هي دعوة لترك الأخذ بالأسباب؟!

إن ما سبق ذكره يبين لنا العقيدة الصحيحة في القضاء والقدر، والتي توالت دعوة الأنبياء على الإيمان بها وتعليمها أتباعهم، وخلاصة هذه العقيدة: أنه ينبغي على كلِّ عبد من عباد الله أن يعتقد اعتقادًا جازمًا أن كلَّ ما يقع في هذا الكون من

---

(١) وانظر قريبًا من هذا المعنى إنجيل لوقا (١٢:٢٢ – ٢٨).

خير أو شر هو بقضاء الله وقدره، فهو تبارك وتعالى (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (١)، فكُّل شيء بإرادته، ولا يخرج عن مشيئته وتدبيره، فعلم – سبحانه – كلَّ ما كان وما يكون من الأشياء، وقدَّر المقادير للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته، وعلم أحوال عباده، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته.

قال تعالى: (سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) (٢)

وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (٣).

وقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر كلِّه خيره وشره وحتى يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه"(٤).

وقال تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) (٥) وهو اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لم يُفرط فيه من شيء، فكلُّ ما جرى وما يجري وكلُّ كائن إلى يوم القيامة مكتوب عند الله في أم الكتاب.

وقال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) (٦) فلا خالق غيره – سبحانه ، ولا ربَّ سواه، فهو سبحانه وتعالى خالق العباد وأفعالهم، وكل ما يجري من خير وشر، وكفر وإيمان، وطاعة ومعصية هو من تقديره وخلقه سبحانه، ولا حجة لمن أضلَّه ولا عذر له، لأن الله تعالى قد أرسل الرسل لقطع الحجة، وأضاف عمل العبد إليه وجعله كسبًا له، والعبد فاعل مختار، له عزيمة وإرادة جازمة، لم يكلفه

(١) البروج : من الآية ١٦.

(٢) الأحزاب: من الآية ٣٨.

(٣) القمر: الآية ٤٩.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٢١٤٤)، وابن عدي في الكامل (٢١٧/١)، وقال العلامة الألباني في الصحيحة (٥٦٦/٥)، ط. المعارف حديث (٢٤٣٩): "الحديث صحيح"، وذكر عدة أحاديث في نفس المعنى.

(٥) يس: من الآية ١٢.

(٦) الفرقان: من الآية ٢.

ربه إلا بما يستطيع كما قال تعالى: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ) (١) وقال تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (٢).

ولكنَّ الشر لا ينسب إلى الله لكمال رحمته، لأنه أمر بالخير ونهى عن الشر، وإنما يكون الشر في مقتضياته وبحكمته.

قال تعالى: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ)(٣).

فالله تعالى منزه عن الظلم، متصف بالعدل، فلا يظلم أحدًا مثقال ذرة، لأن كلَّ أفعاله عدل ورحمة.

قال تعالى: (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (٤) وقال كذلك، (إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ)(٥) وفي الحديث الإلهي "يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي ... الحديث"(٦).

ولما كان الأمر كذلك، جعل سبحانه للإنسان إرادة وقدرة واختيارًا ومشيئة لتكون أفعاله منه حقيقة لا مجازًا، ثم جعل له عقلاً يميز به بين الخير والشر، ولم يحاسبه إلا على أعماله التي هي بإرادته واختياره؛ فالإنسان غير مجبر، بل له مشيئة واختيار، فالله تعالى هو الخالق لأفعال العباد، وهم الفاعلون لها، فهي من الله خلقًا وإيجادًا وتقديرًا، ومن العبد فعلاً وكسبًا. قال تعالى: (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)) (٧).

فما من إنسان إلا وهو يشعر بحريته في الاختيار، وبناءً على هذه الحرية جاء التكليف الشرعي بوجوب الإيمان وحرمة الكفر، وبنى المرء حياته اليومية على هذا الاختيار الحر والإرادة الجازمة، فمثلاً لا يعاقب الجماد، ولا يغضب على

---

(١) غافر: من الآية ١٧.

(٢) البقرة: من الآية ٢٨٦.

(٣) النساء: من الآية ٧٩.

(٤) ق: من الآية ٢٩.

(٥) النساء: من الآية ٤٠.

(٦) رواه مسلم، باب تحريم الظلم (٤٦٧٤) من حديث أبي ذر – رضي الله عنه – عن النبي – صلى صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى.

(٧) التكوير: الآيات ٢٨ – ٢٩.

الحجر، والخشب والماء، والنار، والريح مهما لحقه الأذى والضرر والعنت من هذه الأشياء؛ لأنه يعلم أنها غير مخيرة، أما إذا تعرض إنسان للإهانة أو هتك عرض غضب غضبًا شديدًا وعاقب من فعل ذلك، ولو كان لأحد أن يحتج بالقدر وأنه مجبور على أفعاله لاحتج به أهل النار عندما سئلوا (مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ) [1] بقولهم: (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤)) [2]، فلو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقوبة، ولذلك لما أحتج بعض المشركين بالقدر على شركهم فقالوا: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ) [3] [3] ردَّ الله عليهم بقوله تعالى: (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ)[4].

يتضح مما سبق أنه من العدل ألا نقول إن تخلف المسلمين اليوم يعود إلى عقيدة القدر، وإنما يعود إلى الفهم الخاطئ لهذه العقيدة، ولذلك لمَّا فطن المسلمون الأوائل إلى المفهوم الحقيقي للقدر قادوا العالم، ولمَّا غفلنا نحن عن هذا المفهوم

---

(١) المدثر: الآية ٤٢.

(٢) المدثر: الآية ٣٣ – ٤٤.

(٣) الأنعام: من الآية ١٤٨.

(٤) الأنعام: من الآية ١٤٨. يقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره (٣٥٨/٣): هذه مناظرة ذكرها ذكرها الله تعالى، وشبهة تشبث بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه، وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان ويحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره، فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا بذلك، ولهذا قالوا {لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء} كما في قوله تعالى، {وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم} الآية، وكذلك الآية التي في النحل مثل هذه سواء.

قال الله تعالى: {كذلك كذب الذين من قبلهم} أي بهذه الشبهة ضل من ضل قبل هؤلاء وهي حجة داحضة باطلة، لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام، {قل هل عندكم من علم} أي بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه {فتخرجوه لنا} أي فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه {إن تتبعون إلا الظن} أي الوهم والخيال، والمراد بالظن هاهنا الاعتقاد الفاسد {وإن أنتم إلا تخرصون} تكذبون على الله فيما ادعيتموه".

صرنا في مؤخرة الأمم، وإذا كان المسلمون قد تخلفوا بسبب عقيدة القدر عندهم، فما سبب تأخر النصارى وأهل الملل الأخرى الذين لا يدينون بالإسلام، وبالتالي لا يدينون بعقيدة القدر؟ فهل وجدنا هؤلاء في بلاد المسلمين قد سلكوا سبيل الأوربيين في الحضارة؟ ولماذا كان النصارى وغيرهم في أفريقيا كالأثيوبيين متخلفين كذلك هل لإيمانهم بعقيدة القدر كالمسلمين؟! أم لأسباب سياسية قام الأوربيون بفرضها على هذه البلاد لتبقى مستعبدة للاستيلاء على خيرات بلادهم ومقدراتها، ولذلك يحاربون أي بارقة أمل لخروج هذه البلاد من المستنقعات التي أوقعهم فيها الجنس الأبيض.

المطلب الثاني

أثر الإيمان بالقضاء والقدر على المسلم

لقد فهم الأوائل من هذه الأمة معنى قول الله تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (١) فهمًا صحيحًا، فلم يكن المعنى عندهم أن يترك الإنسان العمل ليعمله له غيره، أو اعتمادًا على أن الله تعالى سيعطيه ما يتمنى دون عمل، فإن الآية لا تشير إلى ذلك التواكل بل إلى التوكل الذي معناه: أن يعمل الإنسان ويسعى ويكد في الأرض ويتخذ كلَّ الوسائل الممكنة وكل الأسباب في الوصول إلى ما يريد، ثم يترك النتائج إلى الله تعالى فهو الذي قدَّرها ويعلم ما يضر منها وما ينفع، فإذا جاءت بما يريد الإنسان فهذا مما يريده الرحمن، وإن جاءت غير ذلك فلحكمة عظيمة يعلمها الرب تبارك وتعالى، وإن غابت على الإنسان (٢).

إنَّ من الغرابة بمكان أن يدندن زويمر – كما مرَّ – كغيره من المستشرقين زاعمًا أن تمسك المسلمين بعقيدة القضاء والقدر هو سبب تأخر المسلمين ودعوة إلى التواكل والخمول والكسل، فهم لذلك مستسلمون، والغرض من ذلك دفع العامة من الناس لنبذ الإسلام وعقائده، وتقديم صورة مغلوطة لأبناء جلدته عن الإسلام.

قال زويمر :

"fatalism has paralyzed progress" (3).

لقد أصابت عقيدة القضاء والقدر التقدم بالشلل.

وقال أيضًا:

"This faith has left no place for progress in the lands under Mohammedan rule" (4).

لم تترك هذه العقيدة مكانًا للتقدم في البلاد التي تخضع للحكم المحمدي.

---

(١) الطلاق: من الآية ٣.

(٢) من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام (٢٦٩).

(3) The Muslim Doctrine of God. P. 117.
وقد تكلم عن القدر في اكثر من ٢٠ موضعًا في هذا الكتاب.

(4) The Muslim World, P. 68.

وقال كذلك نقلاً عن Canon Sell:

"It is the dark fatalism which, whatever the Koran may teach on the subject is the ruling principle in all Muslim countries. It is this which makes all Mohammedan nations decay" (1).

إنه القدر المظلم والذي مهما حدثنا القرآن عنه، إلا أنه المبدأ السائد في كل البلاد المسلمة والذي جعل الأمم المحمدية تفسد.

وأخيرًا قال:

"Fatalism, the philosophy of masses has paralyzed progress. Hope perishes under the weight of this iron bondage"(2).

القدر، فلسفة الجماهير التي أفسدت التقدم وفني الأمل تحت هذا الاستعباد الشديد.

دعنا نراجع صفحات التاريخ معًا لنرى هل هذا التأخر الذي نلمسه بين المسلمين الآن خاصة في التقدم العلمي ونُقرِّه ولا نكذبه، هل كان ملازمًا للمسلمين في كل عصر؟ وهل كان العرب قبل الإسلام في قمة التقدم ثم جاء الإسلام فجعلهم في أخر الأمم؟ وهل كانت أوربا التي نشاهد ازدهارها العلمي – فقط – الآن سبَّاقة في التمدن والبحث العلمي عن المسلمين في عصورهم الماضية؟!

إن هذه الأسئلة لا تحتاج إلى عمق في التفكير، فالعرب قبل الإسلام لم يكن لهم دولة، بل كانوا بدوًا رحَّلاً تتخاطفهم دولتان ذات اليمين وذات الشمال هما دولة الفرس والروم، فلمَّا جاء الإسلام وحدَّهم وطوَّرهم وجعلهم قادة الدنيا كلها، بل وخضعت لهم دولة الفرس والروم كذلك، ودخل أكثرهم في دين الله بطمأنينة واقتناع، وظهر بينهم العلماء والأدباء، ومكتشفو النظريات الكونية والإنسانية، وذلك كلُّه بفضل الله الذي أكرمهم بالإسلام.

(1) Ibid. P. 68.
(2) Disintegration of Islam, P. 95.

أما أوروبا وشعوبها فقد كانت في الشمال والغرب لا تزال خارج الوجــود المتمدن لا تشعر بأحد ولا يشعر بها أحد، وليست عصور الظــلام عــن أذهاننــا بعيدة[١]. إن التاريخ يحكي لنا أن هارون الرشيد أرسل إلى شارلمان ساعة دقاقــة تدور بالماء، فلما ذُهب بها إلى بلاط فرنسا قالوا: "إنَّ بها شيطانًا يحركهــا" فكنــا أصحاب حضارة في الوقت الذي كانوا يحاربون فيه كلَّ سعي نحو التقدم، وما رد فعل الكنيسة مع كوبرنيق، وجرادنوا برونو، وجاليليو بخافٍ على أحد [٢].

بينما في ظلِّ الإسلام كان الرازي طبيب العرب الأول، وما وجُد جابر بــن حيان الكيميائي المعروف عند علماء الغرب إلا في ظل الإسلام. وليس اسم ابــن الهيثم بغريب على أسماع الأوربيين الآن، ومنذ عصر النهضة، فقد اغترفوا مــن نظرياته خاصة ما كتبه في علم البصريات والضوءــ فالعالم المسيحي لــم يتقــدم علميًا إلا بتأثير الحضارة الإسلامية، وبعد الفصل بين ديانة العهد الجديد وتعاليمه، وبين شئون الدنيا ومنها العلم، يقول محمد أسد: "وهكذا تكون نسبة نتــاج المدنيــة الغربية الحديثة إلى النصرانية خطأ تاريخيًا عظيمًا، فإن النصرانية ســاهمت فــي جزء يسير جدًا من الرقي العلمي المادي الذي فاق به الغرب في مدنيته الحاضرة كلَّ ما سواه. وفي الحقيقة أن ذلك النتاج قد برز من كفاح أوروبا المتطاول للكنيسة المسيحية ولاستشراقها للحياة".

وأما القرآن فكان أكثر الكتب احتفاء بــالعلم، حيــث وردت لفظــة العلــم ومشتقاتها أكثر من ٨٢٣ مرة؛ لأن العلم في القرآن أحد وســائل المعرفــة التــي منحها الله للإنسان لمساعدته في القيام بأعباء الاستخلاف في الأرض، وقد بلغ عدد الآيات القرآنية المتعلقة بالعلوم وحقائقها أكثر من ٧٥٠ آية شملت معظم مجــالات العلم: كالفلك، والطب، والجيولوجيــا، والزراعــة، وعــالم النبــات، والحيــوان، والتناسل... الخ، وفي ذلك يقول جورج سارطون مؤرخ العلوم "إن معجزة العلــم

---

(١) ناقش أستاذنا الدكتور محمد السيد الجليند ذلك وكشف غوره بكلام يحتاجه المبتــدئ ولا يســتغنى عنه العالم في كتابه "من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهويــة"، انظــر ص١٠١، فما بعدها على سبيل المثال.

(٢) المصدر السابق (١٠٥).

العربي ترجع في الأكثر إلى الأثر الذي حدث بفعل النشاط والجد العربيين وبفعل الإيمان الإسلامي" (١).

وأما تأخر المسلمين في العصور المتأخرة فالسبب في ذلك كما قال بعض أساتذتنا:

"إن المسلمين في القرون الأخيرة خذلوا إسلامهم يوم أن عطَّلوا العقل عن وظيفته الكونية التي دعاه القرآن إلى مباشرتها والنهوض بها، لأنه لم ينزل كتاب سماوي ليأمر العقل بتبني منهج في البحث الكوني يقوم على الاعتبار العقلي، وملاحظة الظواهر الكونية مثل القرآن، فليس في الإسلام "أطفئ سراج عقلك، ثم اتبعني"، والآيات الكونية في هذا المعنى كثيرة ومتنوعة فمنها ما يتعلق بعالم الأفلاك، ومنها ما يتعلق بالأرض وما عليها، ومنها ما يتعلق بالإنسان وما يحيط به من كائنات أخرى تتصل حياتها بحياته.

قال تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤))** (٢).

ويقول تعالى: **(وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١))** (٣).

ويقول تعالى: **(فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦))** (٤).

ولا ينبغي أن يفهم أحد من هذا أن القرآن كتاب في منهج البحث العلمي، أو أنه وضع خطوات البحث العلمي أو ... أو .... لا ليس هذا من مقصدنا وإنما الذي أقصده أن نوضح لأولئك الذين يقولون إن الإسلام يحارب العلم نقول لهم:

---

(١) د. عبد الراضي عبد المحسن، الغارة التنصيرية ص ٢١٠ مرجع سابق، وقد أفاض أستاذنا في ذكر الدلائل المتكاثرة على مدى تأثير القرآن في نهضة العلوم والمعارف بعد مائتي عام من نزول القرآن، بينما لم يظهر تأثير العهد القديم والجديد إلا بعد عشرات القرون من تلقيها بالقبول من أهل الكتاب، وكل ذلك بشهادة الغرب مثل روم لاندو في كتابه (الإسلام والعرب).

(٢) المؤمنون: الآيات ١٢ – ١٤.

(٣) الذاريات: الآيات ٢٠ – ٢١.

(٤) الواقعة: الآيات ٧٥ – ٧٦.

هذا هو كتاب الإسلام ودستوره، وهذا هو موقفه من العلم والعلماء فأروني كتابًا سماويًا قبله حفَّز العقل إلى العلم حفزًا يمثل ما حفزه القرآن، أو كتابًا سماويًا غيره ربط بين العلم والعقيدة كأساس لخشية الله كما ربط القرآن، فلماذا إذن يتقولون على الإسلام وهم لا يعلمون شيئًا عنه إلا ما يرونه من واقع المسلمين، ولا شك أنه واقع متردٍ يدعو إلى الأسف، ولكن من الإنصاف أن يفرقوا بين واقع المسلمين وحقيقة الإسلام لأن الحكم على الإسلام من واقع المسلمين فيه ظلم للإسلام من جانب، وفيه مجافاة للمنهج العلمي من جانب آخر" أ.ه بتصرف [١].

إنَّ اتهام الإسلام بالكسل والتواكل أمر ترفضه الآيات القرآنية الكريمة والسنة الشريفة وأقوال علمائنا الأجلاء:

١- أما في كتاب الله تعالى:

أ) فقد جاء قوله – تعالى– في سورة التوبة: **(وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** [٢].

فلو كان الإسلام يدعو إلى التواكل والاعتماد على أن كلَّ شيء مكتوب لما قرع الله آذان المتبعين لدنيه بذلك الأمر الحاسم في التوجه إلى العمل، بل العمل المتفق المحكم بقدر استطاعة العبد، لأن الآمر بالعمل والخالق لك هو الذي سيطلع عليك وعلى عملك، بل وسيراه رسوله والمؤمنون كذلك.

ب) وفي سورة الجمعة: **(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [٣].

---

(١) محمد السيد الجليند، من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، مرجع سابق، ص (١٣٦).

(٢) التوبة: الآية ١٠٥.

(٣) الجمعة: الآية ١٠.

أي: إذا فرغتم من أداء فريضة الصلاة فلا تتناموا أو تقعدوا ظانين أن أداءكم لفرض الله سيغنيكم عن البحث عن الرزق، بل تحركوا وانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم.

ج) من ذلك أيضًا قوله تعالى في سورة الملك: **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ)** (١)

قال الشيخ عطية سالم – رحمه الله – في تتمة أضواء البيان للشنقيطي: "فقد وضع القرآن الأمة الإسلامية في أعز مواضع الغنى، والاستغناء والاستثمار والإنتاج، فما نقص عليها من أمور دنياها إلا بقدر ما قصَّرت هي في القيام بهذا العمل وأضاعت من حقها في هذا الوجود.

وقد قال النووي في مقدمة المجموع: إنَّ على الأمة الإسلامية أن تعمل على استثمار وإنتاج كل حاجياتها حتى الإبرة لتستغني عن غيرها، وإلا احتاجت إلى غيرها بقدر ما قصرت في الإنتاج، وهذا هو واقع العالم اليوم، إذ القدرة الإنتاجية هي المتحكمة وذات السيادة الدولية، وقد أعطى الله العالم الإسلامي الأولية في هذا كله، فعليهم أن يحتلوا مكانهم ويحافظوا على مكانتهم ويشيدوا كيانهم بالدين والدنيا معًا. وبالله التوفيق" أ.ه (٢).

د) وقال تعالى في سورة الكهف: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا)** (٣).

ه) وقال تعالى: **(وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)** (٤)

فالأسباب في التصور الإسلامي فاعلة ومؤثرة، فقد تكررت باء السببية في القرآن كثيرًا، وكذلك لام التعليل، ليجعل ربط الأسباب بمسبباتها قاعدة وقانونًا

---

(١) الملك: الآية ١٥.

(٢) أضواء البيان (٤٢٤/٥) ط. دار إحياء التراث، ولعل الشيخ – رحمه الله – نقل كلام النووي – رحمه الله – بالمعنى كما هو ظاهر.

(٣) الكهف: الآية ٣٠.

(٤) الزخرف: الآية ٧٢.

يستقر في ذهن المسلم، وهذه الأسباب ومسبباتها هي في النهاية مخلوقات لله تعالى[1] (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) [2].

٢- وأما السنة المطهرة:

فهي المفسرة للقرآن، المبينة المجملة، الموضحة لمبهمة، لا تعارضه ولا تناقضه بل تؤكد ما جاء فيه من الأخذ بالأسباب ومن ذلك:

أ) ترغيب النبي – صلى الله عليه وسلم – في العمل، وتحذيره من سؤال الناس؛ فعن الزبير بن العوام – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فكفَّ الله بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه" [3].

ب) وكذلك ما رواه أبو هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلِّ خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم فهذا الحديث كغيره من الأحاديث الكثيرة التي تدعو بكلِّ قوة إلى الربط بين الاعتقاد والأخذ بالأسباب.

٣- وأما أقوال الأئمة المقتدي بهم:

فقد جاءت مؤكدة على ما سبق ذكره من مصدري التشريع، فهي عندهم – أعني عقيدة القضاء والقدر – عقيدة توكل، لا عقيدة تواكل وكسل كما زعم زويمر، وأضرابه من المستشرقين.

١) **يقول الإمام أحمد - رحمه الله -:**

"ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله" ويقول "وأن السنة التي توفى عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أولها الرضا بقضاء الله

(١)من قضايا الفكر الإسلامي (١٤١).

(٢) الأعراف: الآية ٥٤.

(٣) رواه البخاري، باب الاستعفاف عن المسألة (١٣٧٨)

والتسليم لأمر الله والصبر تحت حكمه، والأخذ بما أمر الله به، والنهي عما نهى عنه وإخلاص العمل لله" (١).

فلم ينس الإمام أحمد أن يُذِّكر الناس بأن العمل في الإسلام مطلوب فيه الإخلاص والجدية، وهذا لا ينافي الاعتقاد في صحة ما قدر الله وقضى.

٢) ويقول ابن قتيبة – رحمه الله -:

"وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل لا يجور، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل، وأن العباد يستطيعون ويعملون ويُجزون بما يكسبون" (٢).

٣) ويقول ابن أبي العز الحنفي:

"وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد، فإنَّ الاكتساب منه فرض ومنه مستحب ومنه مباح... ومنه مكروه، وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب ويمشي في الأسواق للاكتساب" (٣).

٤) ويقول الكاتب الكبير شكيب أرسلان – رحمه الله -:

"الجامد هو الذي شهر الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعتها بحجة أنها من علوم الكفار، والجامد هو الذي مهد لأعداء المدنية الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بأن التأخر الذي عليه العالم الإسلامي اليوم هو ثمرة تعاليمه، والجامد هو سبب الفقر الذي ابتلى به المسلمون لأنه جعل الإسلام دين أخرة فقط، فحرم الإسلام ثمرات هذه العلوم، وأورث أبناءه الفقر الذي هم فيه وقص أجنحتهم، فإن العلوم الطبيعية هي العلوم الباحثة في الأرض، والأرض لا تخرج أفلاذها إلا لمن يبحث فيها" (٤).

---

(١) طبقات الحنابلة (١٣٠/١). ط. دار المعرفة.

(٢) د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، القضاء والقدر (٣٨١) ط. دار الوطن.

(٣) شرح الطحاوية (٤١١/٢) ط. الرسالة.

(٤) شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم (١٠٥) ط. مكتبة الحياة، بيروت.

إن كثيرًا من علماء الغرب خاصة المنصفين منهم لا يوافقون زويمر على هذه الفرية الصلعاء، وقد وثَّق صاحب كتاب "قالوا عن الإسلام" كثيرًا من شهاداتهم مثل:

١- "**لو ثروب ستودارد" الذي يقول:** "إن الإسلام وهو الدين البيِّن الصريح ما كان ليقيد عقل العربي... بل لمَّا نشر العرب فتوحهم، عكفوا جادين على ترقية الفنون والعلوم والآداب فأضاءوا العقول وجعلوا الحياة تزدهر مما يُعدُّ فخرًا لهم" (١).

٢- "**ليوبولد فايس**": "إن التاريخ يبرهن وراء كلِّ إمكان للريب أنه ما من دين أبدًا حث على التقدم العلمي كما حثَّ الإسلام، وأن التشجيع الذي لقيه العلم والبحث العلمي انتهى إلى ذلك الإنتاج الثقافي الباهر في أيام الأمويين والعباسيين، وأيام دولة العرب في الأندلس، وإن أوربا لتعرف ذلك حق المعرفة، لأن ثقافتها مدينة للإسلام بتلك النهضة على الأقل بعد قرون الظلام الدامس" (٢).

٣- **وها هو "إيفلين كوبولد" يبكي على سقوط الحضارة الإسلامية في الأندلس فيقول:** جاء العرب إلى أوربا ومعهم شعلة العلم في ذلك الزمان الماضي وهو ما يحملنا على أن نبكي مصرع الأندلس؛ لأن ذلك كان ضربة للحضارة الحديثة والعمران القديم.... والنبي العربي كان يدعو المؤمنين إلى طلب العلم من أقصى الأرض إلى أقصاها وعرف كلومبوس جامعات إسبانيا الإسلامية وتعلم فيها أن الأرض مدورة ... وكانت تلك الجامعات ترحب بطلابها من اليهود والنصارى ... الذين انتظموا فيها ونالوا شهاداتها وتلقوا معارفها" (٣).

إن ما سبق من شهادة هؤلاء يدل على أن المسلمين لمَّا عاشوا الإسلام علمًا وعملاً في الصدر الأول وعرفوا دينهم وما يدعو إليه من بحث وتنقيب وتوكلوا

(١) د. عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام (٣٦٧) ط. الندوة العالمية.

(٢) السابق (٣٧٥).

(٣) السابق (٣٩٠).

على الله حق توكله تقدموا ونهضوا وسادوا الدنيا، والآن ما لازمهم التخلف الذي وصمهم به المستشرقون كزويمر وغيره إلا لأنهم هجروا دينهم، ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، ولو تنبهوا لِسُموِّ ما هم عليه وشرف الدين الذي جاء به سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – لرجعوا وكانوا مرة أخرى من السابقين.

وأما ما يتعلق بتعاطي الأسباب المؤدية للوقاية من الأمراض والأوبئة وكذلك السعي في التداوي إذا ألمَّ بالعبد ما يقعده عن القيام بما خُلق من أجله فقد حفلت السنة النبوية بالأحاديث التي تحث على ذلك ومنها:

١- ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم: "لا يوردن ممرض على مصح" (١).

٢- ما رواه الشيخان من حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطاعون رجس أرُسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه" قال أبو النصر: "لا يخرجكم إلا فرارًا منه" (٢).

٣- وفي المسند من حيث أبي هريرة – رضي الله عنه –: قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "فرّ من المجزوم فرارك من الأسد" (٣).

٤- وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّا قد بايعناك فأرجع" (٤).

فهذه الأحاديث وغيرها تبين أن المسلم ينبغي أن يتخذ السبب المشروع لئلا يصاب بذاك المرض المعروف عند الناس بأنه يُعدي، وهذا ما يُسمى اليوم بالحجر الصحي، والذي وضع نواته نبينا – صلى الله عليه وسلم –.

---

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب الطب، باب لا هامة (ج ٥٤٣٧)، مسلم: كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة (٢٢٢١).

(٢) متفق عليه، البخاري (٣٢٨٦)، ومسلم (٢٢١٨).

(٣) حديث صحيح، رواه أحمد في المسند (٤١٩/١٥) ط. الرسالة، ح (٩٧٢٢)، وابن أبي شيبة، وعلَّقه البخاري (٥٧٠٧)، باب الجذام، فتح الباري (١٦٧/١٠).

(٤) مسلم، كتاب السلام، باب اجتناب المجذوم ونحوه ح (٢٢٣١).

قال الشيخ أحمد شاكر: "لأنه قد ثبت من العلوم الطبية الحديثة أن الأمراض المعدية تنتقل بواسطة المكروبات ويحملها الهواء أو البصاق أو غير ذلك على اختلاف أنواعها، وأن تأثيرها في الصحيح إنما يكون تبعًا لقوته وضعفه بالنسبة لكلِّ نوع من الأنواع، وإن كثيرًا من الناس لديهم وقاية خلقية تمنع قبولهم لبعض الأمراض المعينة. ويختلف ذلك باختلاف الأشخاص والأحوال. فاختلاط الصحيح بالمريض سبب لنقل المرض، وقد يختلف هذا السبب تبعًا لتقدير الله تعالى" (١).

٥- وعند أبي داود في سننه من حديث أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكلِّ داءٍ دواءً فتداووا ولا تتداووا بحرام" (٢).

٦- وفي جامع الترمذي من حديث أسامة بن شريك: قال: قالت الأعراب: يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء أو قال دواءً إلا داءً واحدًا، قالوا: وما هو؟ قال: الهرم" قال أبو عيسى الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.

قال ابن القيم: "فكان من هديه – صلى الله عليه وسلم – فعلُ التداوي في نفسه والأمر به لمن أصابه مرض من أهله وأصحابه" (٣).

قال أيضًا: وفي الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي، وأنه لا ينافي التوكل، كما لا ينافيه دفع داء الجوع، والعطش، والحر، والبرد بأضدادها، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا،

---

(١) نقله عنه د. عمر الدبيخي في "أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض" ط. المنهاج. الرياض، ص ١٠٥، ونسبه للباعث الحثيث ولم أجده فيه بعد طول بحث.

(٢) رواه أبو داود (٣٣٧٦)، باب ي الأدوية المكروهة، وصحح الألباني شطره الأول في مشكاة المصابيح (٥٢٨/٢) ط. المكتب الإسلامي.

(٣) ابن قيم الجوزيه، زاد المعاد (٩/٤) ط. الرسالة.

وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل" [١].

فأين هذا من قول زويمر "لقد كان للقضاء والقدر دور كبير في معدل وفيات الأطفال في بلاد المسلمين..." كما سبق؟

لا شك أنَّه الهوى، وقد قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤)﴾ [٢].

وقد قيل: "حُبُّك الشيء يُعمي ويُصِمُّ" [٣].

وقال البريق الهذلي:

أبنْ لي ما ترى، والمرء تأبى عزيمته، ويغلبه هواه
فيعْمَى ما يرى فيه عليْه ويَحْسِب ما يراه لا يراه

هل يجوز الاحتجاج بالقدر على المعصية؟

إن الإيمان بالقدر لا يستلزم الرضا بالمعاصي، ولقد ضلَّ أقوام وسلموا للمفاسد التي وقعت بحجج فاسدة، وهي قولهم: هذه إرادة الله ومشيئته، وكل ما أراده الله أحبه، فليس لنا حيلة في دفعه، فعلوا الموبقات، وارتكبوا المنكرات من الزنا والفسوق والعصيان محتجين على ذلك بتقدير الله السابق لأفعالهم، فأوقعوا أنفسهم في مأزق لا يجدون منه خلاصًا.

يقول ابن تيمية – رحمه الله –: "إن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد، فإن كان حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس، فإنهم كلهم مشتركون في القدر، فحينئذ يلزم أن لا ينكر على من يظلمه، ويشتمه، ويأخذ ماله، ويفسد حريمه ويضرب عنقه، ويهلك الحرث والنسل، وهؤلاء جميعًا كذابون متناقضون، فإن أحدهم لا يزال يذم هذا، ويبغض هذا، ويخالف هذا حتى إن الذي ينكر عليهم

---

(١) المصدر السابق (١٤/٤).
(٢) الفرقان: الآيات ٤٣ – ٤٤.
(٣) زهر الأكم في الأمثال والحكم (٩٥/٢) ط. دار الثقافة. الدار البيضاء.

يبغضونه ويعادونه، وينكرون عليه، فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم، ألا يذموا أحدًا، ولا يبغضوا أحدًا، ولا يقولوا في أحد إنه ظالم، ولو فعل ما فعل، ومعلوم أن هذا لا يمكن أحدٌ فعله، ولو فعل الناس هذا لهلك العالم، فتبين أن قولهم فاسد في العقل، كما أنه كفر في الشرع" (١).

فالاحتجاج بالقدر على فعل المعصية أمر باطل باتفاق كلّ ذي عقل ودين من جميع العالمين، ولا يفعله إلا من غلبت على نفسه شهوة أو شبهة، فهم يحتجون في ترك حق ربهم ومخالفة أمره، لا في ترك ما يرونه حقًا لهم ولا مخالفة أمرهم.

لقد ظل الاحتجاج بالقدر على هذه الأمور أمرًا مرفوضًا، بل كان مثار سخرية وحط على أصحابها، وهو الأمر الذي جعلهم في مرتبة أقل من البهائم.

صعد رجلٌ يومًا على سطح دار له، فأشرف على غلام له يفجر بجاريته، فنزل وأخذهما ليعاقبهما، فقال الغلام، إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك فقال سيده: لَعلْمُكَ بالقضاء والقدر أحبُّ إليَّ من كل شيء، أنت حر لوجه الله (٢).

ورأى أخر رجلاً يفجر بامرأته، فبادر ليأخذه فهرب، فأقبل يضرب المرأة، وهي تقول: القضاء والقدر. فقال: يا عدوة الله، أتزني وتعتذري (٣) بمثل هذا؟ فقالت: أوَّه تركت السنَّة، وأخذت بمذهب ابن عباس! فتنبه ورمي السوط من يده، واعتذر إليها، وقال: لولاك لضللت (٤).

ورأى أخر رجلاً يفجر بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا قضاء الله وقدره، فقال: الخيرة فيما قضى الله! فلُقِّب بـ "الخيرة فيما قضى الله"، وكان إذا دُعي به غضب (٥).

---

(١) القدر ص ٢٦٣، نقلاً عن القضاء والقدر للمحمود، وقد ذكره ابن تيمية بمعناه في مجموع الفتاوي (٤٥٥/٨)، ط. العبيكان.

(٢) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين (١٨٠/١) ط. عالم الفوائد.

(٣) كذلك بالأصل، والقاعدة "تزنين وتعتذرين".

(٤) المصدر السابق (١٨١/١).

(٥) المصدر السابق.

قال ابن القيم – رحمه الله -:

"وأما المقام الثاني – أي في الاحتجاج بالقدر – وهو مقام الضلال والردى والهلاك، فهو الاحتجاج به على الله، وحمل العبد ذنبه على ربه، وتنزيه نفسه الجاهلة الظالمة الأمارة بالسوء، وجعل أرحم الراحمين وأعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأغنى الأغنياء أضرَّ على العباد من إبليس كما صرَّح به بعضهم"أ.ه.(١).

فليس للعبد أن يحتج بالقدر زاعمًا أنه مجبور على فعله؛ لأن فعله باختياره وقدرته، ولذلك وُجِّه الأمر والنهي إليه، ومدح الله تعالى المحسن على إحسانه وذم المسيء على إساءته، وأثاب كلاً منهما بما يستحقه، ولولا أن الفعل وقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح المحسن عبثًا، وعقوبة المسيء ظلمًا، والله تعالى منزَّه عن العبث والظلم، بل هو حكيم عدل – سبحانه – ولذلك أرسل **(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)** (٢) فقامت حجته على خلقه بذلك، فمن احتج بقضاء الله الكوني على معصيته، احتججنا عليه بقضاء الله الشرعي، ولذلك يُذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – رُفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله، فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

فإن قيل: إذا كان الأمر كذلك، فما الجواب عن الإشكال الوارد في حديث محاجة أدم وموسى حيث ظن زويمر أن فيه احتجاجًا بالقدر على فعل المعصية؟(٣).

ينبغي أن يُعلم أولاً أن هذا الحديث صحيح متفق عليه، لم تزل أمة الإسلام تتلقاه بالقبول من عهد نبينا صلى الله عليه وسلم قرنًا بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم، ثم اختلف الناس في فهم هذا الحديث، ووجه الحجة التي توجهت لآدم على موسى، والمذهب الحق في ذلك أن موسى عليه السلام إنما لام آدم على المصيبة والمحنة التي نالت الذرية بالخروج من الجنة، ولهذا قال له: "أخرجتنا ،

(١) المصدر السابق (١٧٩/١).

(٢) النساء: ١٦٥.

(3) S. Zwemer, The Muslim Doctrine of God. P. 46.

ونفسك من الجنة" وفي لفظ "خيبتنا" فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال: إن المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة مقدرة قبل خلقي، والقدر يحتج به في المصائب دون المعاتب، أي: أتلومني على مُصيبة قُدِّرت عليَّ وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة؟!

فموسى – عليه الصلاة والسلام – أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم على ذنبٍ قد تاب منه فاعله، فاجتباه ربه بعده وهداه واصطفاه، وآدم صلوات الله وسلامه عليه أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته (١).

وقد أجاب ابن القيم – رحمه الله – بجواب أخر وهو:

"أن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع، ويضر في موضع، فينفع إذا أحتج بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته، ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع، لأنه لا يدفع بالقدر أمرًا ولا نهيًا، ولا يبطل به شريعة، بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة. يوضحه أن آدم عليه السلام قال لموسى: أتلومني على أن عملت عملاً كان مكتوبًا عليَّ قبل أن أخلق؟ فإذا أذنب الرجل ذنبًا ثم تاب منه توبة نصوحًا، وزال أثره وموجبه حتى كأن لم يكن، فأنَّبه مؤنب عليه ولامه، حَسُن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك، ويقول: هذا أمر قُدِّر قبل أن أخلق، فإنَّه لم يدفع بالقدر حقًا، ولا ذكره حجة له على باطل، فلا محذور في الاحتجاج به.

وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به، ففي الحال أو المستقبل، بأن يرتكب فعلاً محرمًا، أو يترك واجبًا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره، فيبطل بالاحتجاج به حقًا، ويرتكب باطلاً، كما احتج به المُصرُّون على شركهم وعبادتهم غير الله فقالوا: **(لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا)** (٢) **(لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ)** (٣)، فاحتجوا به مصوبين لما هم عليه، وأنهم لم يندموا على

---

(١) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل، (٢٢٥/١) ط. الصميعي.

(٢) الأنعام: من الآية ١٤٨.

(٣) الزخرف: من الآية ٢٠.

فعله، ولم يعزموا على تركه، ولم يقروا بفساده، فهذا ضد احتجاج من تبين له خطأ نفسه، وندم وعزم كلَّ العزم على أن لا يعود، فإن لامه لائم بعد ذلك قال: كان ما كان بقدر الله، ونكتة **المسألة: أن اللوم إذا ارتفع صحَّ الاحتجاج بالقدر، وإذا كان اللوم واقعًا، فالاحتجاج بالقدر باطل**" (١).

فلا وجه لزويمر وغيره من الطاعنين في الإسلام أن يظنوا ظن السوء في عقيدة القضاء القدر عند المسلمين التي هي من محاسن دينهم، وما أكثرها!، ولولا سوء الفهم وقبله سوء القصد لما كان هذا حالهم من الإعراض والاعتراض على الآيات البينات من دين الله الذي **(لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)** (٢)، ولكن:

ومن يكُ ذا فم مريضٍ يجد مُرًّا به الماء الزلالا

(١) المصدر السابق (٢٢٧/١).

(٢) فُصلت: الآية ٤٢.



الفصل الثالث

دراسة زويمر لأخلاق المسلمين

- توطئة :الأخلاق الإسلامية "طبيعتها ومصادرها"
- المبحث الأول : دراسة زويمر لحال المرأة في الإسلام.

المطلب الاول : مكانة المرأة بين الجاهلية والإسلام والكتاب المقدس

المطلب الثاني : مسألة تعدد الزوجات.

المطلب الثالث : مسألة الطلاق.

- المبحث الثاني : أطفال المسلمين عقيدتهم وأخلاقهم
- المبحث الثالث : عداء المسلمين لغيرهم



الأخلاق الإسلامية "طبيعتها ومصادرها"

توطئة:

للأخلاق الإسلامية طبيعة متميزة متفردة؛ حيث إنها لا تصدر عن مصلحة مؤقتة أو منفعة ذاتية؛ وإنما تعتمد على أصل الشعور بها عند الإنسان، بحيث يترجم عنها في صورة أفعال أو انفعال أو لفظ؛ فإن الإسلام يجعل الإنسان الأساس الذي تقوم عليه الأخلاق، وهذه الأخلاق تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان بمراعاة طبيعته، وقدراته، وما سُخر له في السماوات والأرض، وبما أُنْزل عليه من كتب وما أرسل إليه من رسل، وبذلك تتحقق كرامة الإنسان ويتهيأ بها للعمل الصالح المحكوم بسياج العقيدة الصحيحة، فالأخلاق الفاضلة من نحو أعمال القلب والعقل والجوارح واللسان كلها داخلة في مفهوم العبادة، وذلك لأن العبادة هي الغاية المحبوبة لله – تعالى – والمرضية له كما قال تعالى: (**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) [١]، وبها أرسل الله جميع الرسل، فالدين كلُّه داخل في العبادة التي تتضمن غاية الذل لله بغاية الحب له ومن هنا تكون فضائل الأخلاق ومكارمها داخلة في إطار الدين وركنًا أساسيًا من أركانه، وذلك أنَّه كما قال ابن تيمية – رحمه الله – ما خلاصته [٢].

"إذا كان الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، وأنه لابد فيه من شيئين: الأول: تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته وهذا هو التوحيد، والأخر: عمل القلب، وهو التوكل على الله وحده، ونحو ذلك من حبِّ رسول الله، وحب ما يحبه الله ورسوله، وإخلاص العمل لله وحده، كانت أعمال القلب من الحبِّ والإخلاص والخشية والتوكل ونحوها داخلة في الإيمان بهذا المعنى، وكانت الأخلاق الكريمة داخلة فيه أيضًا، وأما البدن فلا يمكن أن يتخلى عن مراد القلب لأنه إذا كان في القلب معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد

---

(١) الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٢/١٠) نقلاً عن نضرة النعيم (١/ التمهيد س و).

كله، ألا وهي القلب" [1]، وقال – صلى الله عليه وسلم – أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا" [2].

فالإيمان بذلك هو مناط تكوين القيم الخلقية والاجتماعية ونحوها، وهو أيضًا مصدر الإلزام الخلقي، لأنه هو المسيطر عل كلِّ غرائز الإنسان وشهواته، والمتحكم في أحاسيسه ودوافعه، والغاية من كلِّ ذلك تحرير البشرية من الرق في جميع أشكاله، وتحريك الإنسان من أجل السعي والدأب على الاحتفاظ بالخصائص الإنسانية، وعدم الانحراف في توجيهها أو في ممارستها، وهذا يجعلنا نقول إن إرساء الإسلام لهذه الأخلاق إنما كان لتحقيق مصلحة الإنسان في الدنيا والآخرة، فأخلاق الإسلام كشريعة وعقيدة جاءت ليحصل بها السعادة في الدنيا والآخرة، ولذلك كان الاهتمام بها في سائر مراحل الإنسان وبيئاته، فجعل سمات معينة لأخلاق الطفل ينبغي على وليّه أن يغرسها فيه، وكذلك في شبابه، وشيخوخته، وكذلك إذا نظرنا لشريك الرجل في حياته اليومية، وعماد قيام الأسرة على الأسس الصحيحة السليمة، نجد أن الإسلام أرسى الدعائم السليمة الصحيحة، والأسس القومية التي تحفظ للمرأة حقها، وتجعل الرجل يتعامل معها على أساس مبدأ قال الله فيه **(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)** [3] على اعتبار أنَّ لكلِّ من الرجل والمرأة وظيفة وحقوقًا وواجبات، فالأسرة المسلمة ما قامت إلا على القيم، ومن أجل القيم.

لقد تواترت النصوص في الكتاب والسنة على تأكيد قيمة الأخلاق، وحقوق كل فرد من أفراد المجتمع، سواء كان طفلاً، مراهقًا، شيخًا، رجلاً، امرأة، مسلمًا، أو غير مسلم؛ فهذا الدين الحنيف إنما جاء به النبي الأمين صلى الله عليه وسلم – ليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة

---

(١) رواه البخاري: باب فضل من استبرأ لدينه (ج ٥٢)، مسلم (١٥٩٩)، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٢) رواه الترمذي، وأبو داود، وأحمد في المسند، والحاكم في المستدرك وقال "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي.

(٣) البقرة: من الآية ٢٢٨.

الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وهذا أمر يشهد به كلُّ منصف أطَّلع على ما جاء فيه من سهولة ويسر في عبادة الخالق، وعدل ورقي في معاملة المخلوق (**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**) (١).

لقد اقتضت سنة الله – تعالى – أن يتدافع الحق والباطل بالحجة والبيان قبل القوة والسنان ليظهر الحق واضحًا جليًا، ويضمحل الباطل، يقول ابن القيم رحمه الله "ولنضرب لذلك مثالاً يتبين به، وهو: ملكٌ له عبدٌ قد توحد في العالم بالشجاعة والبسالة، والناس بين مصدق ومكذب. فمن قائل: هو كذلك، ومن قائل: هو بخلاف ما يُظنُّ به، فإنَّه لم يقابل الشجعان، ولا واجه الأقران ولو نازل الأقران، وقابل الشجعان لظهر أمره، وانكشف حاله. فسمع به شجعان العالم وأبطالهم، فقصدوه من كلِّ أوب، وأمّوه من كلِّ قطر، فأراد الملك أن يُظهر لرعيته ما هو عليه من الشجاعة، فمكَّن تلك الشجعان والأبطال من منازلته ومقاومته، وقال: دونكم وإياه، وشأنكم به. فهل تسليط الملك لأولئك على عبده ومملوكه إلا لإعلان شأنه، وإظهار شجاعته في العالم، وتخويف أعدائه به؟ وكما يترتب على هذا إظهار شجاعة عبده وقوته وحصول مقصوده بذلك، فكذلك يترتب عليه ظهور كذب من ادَّعى مقاومته وظهور عجزهم، وفضيحتهم وخزيهم ..." أ.هـ (٢).

ومن هذا الباب ما يقوم به المستشرقون من تشويه صورة الإسلام بالافتراء عليه تارة، وبطمس الحقائق تارة، فإذا ظهرت حجج الإسلام القوية، بأدلته العقلية والنقلية اضمحل باطلهم، وخبا صوت قائلهم، ومن هؤلاء عميد المستشرقين والمنصرين في العصر الحديث صموئيل زويمر، فبعد ما قدمناه من بيان منهجه في دراسة عقائد المسلمين، ها هو يُطِل علينا بدراسة أخلاق المسلمين واصفًا إياها بكل نقيصة لارتباطها بتقليد المسلمين لنبيهم – صلى الله عليه وسلم –، وذلك من خلال دراسته لأخلاق المسلمين مع نسائهم وأطفالهم، وكذلك تعامل المسلمين مع غير المسلمين، فكيف وصف أخلاقهم وما مدى صحة كلامه؟

(١) آل عمران: الآية ٨٣.

(٢) طريق الهجرتين (٣٠٩/١) ط. عالم الفوائد.

المبحث الأول

دراسة زويمر لحال المرأة في الإسلام

يكاد المرء يجزم أن المستشرقين لم يهتموا بــأمر مــن أمــور المســلمين كاهتمامهم بحال المرأة، فإنه لا يخلو كتاب أو مقال من الكلام عنها، وخير شــاهد على ذلك كتابات زويمر، فمن كثرة حديثة عن المرأة بكلام شبه معاد في قضــايا معينة احترت أي هذه النصوص تكون عمدتي في هذا المبحث؟ فكان هــذا ممــا وقفت عليه:

يقول زويمر:

"Any woman would undoubtedly choose to have lived in pagan Arabia rather than under the system of Islam" (1).

"مما لا شك فيه أن أي امرأة ستختار أن تعيش في جزيرة العرب الوثنيــة بدلاً من أن تعيش تحت نظام الإسلام".

ويقول مبيناً أسباب ذلك على لسان E. Huntington.

"Mohammedanism, as everyone knows, inculcates the seclusion of woman and makes of her nothing but a stupid drudge to do man's work or alight play thing for his pleasure" (2).

"الديانة المحمدية – كما يعلم الجميع – ترسخ مبدأ عزلة المرأة، وجعلهــا لا تعدو أن تكون كادحًا غبيًّا يقوم على مهنة الرجل أو ألعوبة لإشباع شهواته".

ويقول كذلك على لسان إحدى من سماهم بــ "أخواتنا المسلمات في مصر"

"Of our Moslem Sisters in Egypt, one who lived among them for four decades wrote: "As a babe she is unwelcome, as a child untaught; as a wife unloved; as a mother honored in old age uncared for, and when her miserable dark and dreary life is ended, she is un mourned by those she has served" (3).

---

(1) Islam: A challenge to faith P. 5- 7, see also, Across The World of Islam p.96

(2) Childhood in the moslem world. P. 50

(3) S. Szwemer childhood in the Moslem World P. 135.

"كتبت إحدى أخواتنا المسلمات في مصر وقد عاشت بينهم لمدة أربعة عقود: كرضيع فهي غير مرحب بها، وكطفل غير متعلمة، وكزوجة غير محبوبة، وكأم غير مكَّرمة، وفي شيخوختها امرأة مهمَلة، وعندما تنتهي حياتها البائسة المظلمة، لا يحزن عليها أحد هؤلاء الذين كانت تخدمهم".

ويقول متحدثًا عن تعدد الزوجات والطلاق:

"Polygamy, divorce and slavery – these three evils are so closely intertwined with the Mohammedan religion – its book and its prophet … A Moslem who lives up to his privileges and who follows the example of "the saints" in his calendar can have four wives and any number of slave – concubines, can divorce at his pleasure; he can remarry his divorced wives by a special though abominable arrangement" (1).

"تعدد الزوجات والطلاق والرق، هذه الشرور الثلاثة تتشابك (تتداخل) بشكل وثيق (بشدة) مع الدين المحمدي، مع كتابه ورسوله... فالمسلم الذي يرقى إلى امتيازاته، ويحذو حذو "القديسين" "الأولياء" (٢) يستطيع في تقويمه – أي في وقت واحد – الحصول على أربع زوجات وأي عدد من محظياته من الرقيق، وكذلك يستطيع الطلاق وقتما شاء، والزواج مرة أخرى من مطلقاته بطريقة خاصة شائنة".

لقد كان ما سبق بعضًا مما سطَّره زويمر في بيان حال المرأة في الإسلام، ومثله كذلك على سبيل الإشارة أنه:

١- يزعم بأن المرأة كانت تتمتع بحقوق في الجاهلية حرمها منها الإسلام
A cross the world of Islam. P. 94 – 95.

٢- يزعم أن ما تأثرت به المرأة المسلمة بالجن والخرافات إنما هو تعاليم الإسلام.

Across the world of Islam. P. 125.

(1) S. Szwemer childhood in the Moslem World P. 126.

(٢) لعله يقصد الصحابة – رضي الله عنهم.

٣- يزعم أن نظام الإسلام في معاملة الأسرة والمرأة والطفل قائم على الخِسَّة والاحتقار.

Childhood in the Moslem world. P. 95.

٤- يحكم على الإسلام من خلال سلوك معتنقية.

A cross the world of Islam. P. 134.

٥- يكتب كتابًا كاملاً يبلغ ٣١٤ ورقة للكلام عن المرأة المسلمة ويحكم بما رآه في بلاد الإسلام ويلصق ذلك بالإسلام.

"Our Moslem Sisters"

٦- وكذلك كتاب "فَجْر الحريم، عهد جديد للمرأة المسلمة"

"Daylight in the Harem, A new Era for Moslem Women"

بلغ عدد أوراقه ٢٣٩ ورقة تحدث فيه عما وصل إليه حال المرأة في أماكن شتى كمصر والهند وما يقوم به المنصِّرون تجاه المرأة [١].

(١) هذا الكتاب عبارة عن مجموعة أبحاث مقدمة لمؤتمر لكناو ١٩١١ بالهند لبحث طرق العمل بين المسلمات.

المطلب الأول
مكانة المرأة
بين الجاهلية والإسلام والكتاب المقدس

لم يغفل أعداء الإسلام – وكثير من المستشرقين منهم – عنَّا، فحملوا بخيلهم ورجلهم وجردوا الحملات المسلحة بسهام الشهوات وسموم الشبهات لتعيث في قلوب المسلمين فسادًا، وتجوس ديارهم، لتسلخهم من دينهم الحق الذي ارتضى الله لهم؛ فتفرسوا في أسباب قوة المسلمين فحدَّدوها، ثم اجتهدوا في توهينها وتحطيمها بكل ما أوتوا من مكر ودهاء.

لقد علم هؤلاء أن المرأة من أعظم أسباب القوة في المجتمع الإسلامي، وهم يعلمون أنها سلاح ذو حدَّين، وأنها قابلة لأن تكون أخطر أسلحة الفتنة والتدمير، ومن هنا كان لها النصيب الأكبر من حجم المؤامرات، إذ إن المرأة تملك مجموعة من المواهب الجديرة بأن تبني أمة، وأن تهدم أمة كذلك كما سنرى، فكانت هذه المؤامرات ترمي إلى شلِّ المرأة المسلمة عن وظيفتها البنَّاءة سلبًا، ثم الزجِّ بها إلى مواقع الفتنة وتدمير الأخلاق تحت ستار خدَّاع من المصطلحات البراقة كالتحرير والتجديد والتقدم وأنَّ:

"The Moslem type of civilization can be recognized everywhere in the place assigned womanhood and the results of this upon childhood" (1).

وتارة أخرى بإضفاء الألقاب البرَّاقة على من شاركهم بشكل مباشر أو غير مباشر من أبناء جلدتنا ممن يتكلم بلساننا كطه حسين، وقاسم أمين ومحمد عبده وغيرهم(٢).

---

(1) Across the world of Islam P. 117.

(٢) تجد ذلك مثلاً في كتاب: "الصليب فوق الهلال" في الصفحات ٥١، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، وفي كتاب. "عبر العالم الإسلامي" ص ١١٠، ١١٣، يقول أستاذنا الدكتور عبد الراضي: "ويكفي دليلاً على ذلك الطابور الخامس من المثقفين الذين أفرزتهم هذه المرحلة من الباحثين المسلمين "الجالسين تحت أقدام المستشرقين كما وصفهم إدوارد سعيد، الذين رددوا الأطروحات التنصيرية =

فاتفقت دعاوى هؤلاء في مضمونها على أن حال المرأة في الإسلام يحتاج إلى مراجعة، بل قد يصل إلى حد الزعم بأنها كانت في الجاهلية على حال هي أفضل، والله تعالى يقول: **(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)** (١).

إنني أستطيع أن أجزم أن ما نقله زويمر عن بلجراف Mr. Belgrave في بيان حال المرأة في سيوة من قوله:

"The Status of Woman in Siwa is low. She is worth less and is less of importance than a donkey. She is worth in money a little less than a goat …." (2).

"**وضع المرأة في سيوة متدني، فهي بلا قيمة، بل أقل أهمية من الحمار، إنها لا تساوي ثمن ماعز....**".

أعتقد أن هذا يصدق على حال المرأة في الجاهلية لا في الإسلام.

فالمرأة في الجاهلية لم يكن لها حق الإرث، ولم يكن لها على زوجها أيُّ حق، وليس للطلاق عدد معين، ولا لتعدد الزوجات عدد معين، وكانوا إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، فهو يعتبرها إرثًا كبقية أموال أبيه، فإن أراد أن يعلن عن رغبته في الزواج منها طرح عليها ثوبًا، وإلا كان لها أن تتزوج بمن تشاء وهاك بعض ما كانت عليه المرأة قبل الإسلام.

يقول ابن عباس – رضي الله عنهما –

"كان الرجل إذا مات أبوه أو حميمه فهو أحق بامرأته، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها، أو تموت فيذهب بمالها".

نفسها، وكان لهم أثر بالغ في محيط ثقافي واسع، مثل، طه حسين بكتابه: "في الشعر الجاهلي"، محمد خلف الله بكتابه: "الفن القصصي في القرآن الكريم" ومحمد أركون بكتابه "الفكر العربي"، ونصر أبو زيد بكتابه: "مفهوم النص" أ.هـ الغارة التنصيرية (١٦٣) مرجع سابق.

(١) الحج: الآية ٤٦.

(2) Across the world of Islam P. 134.

وعن عطاء بن أبي رباح قال: كان أهل الجاهلية إذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبي يكون فيهم.

وقد كان نكاح زوجات الآباء معروفًا في الجاهلية، وهو الذي نهى الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (١)

وكان الرجل في الجاهلية يقامر على أهله وماله، فيقعد حزينًا سلبيًا ينظر إلى ماله في يد غيره، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضًا" (٢).

وكان عند العرب في الجاهلية أنواع من الزواج الفاسد الذي لا يقره دين ولا عقل (٣):

- فمنها اشتراك الرهط من الرجال في الدخول على امرأة واحدة، ثم يكون لها الحق في إلحاق الولد بمن تشاء منهم.

---

(١) النساء: من الآية ٢٢.

(٢) ذكره الطبري عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ..........﴾ عن قتادة.

(٣) أنظر صحيح البخاري مع الفتح (٨٨/٩) باب من قال: لا نكاح إلا بولي فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها " أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهنَّ البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم.

- ومنها نكاح الاستبضاع، وهو أن يأذن الرجل لزوجته أن تمكن من نفسها رجلاً معيناً من الرؤساء والكبراء المتصفين بالشجاعة أو الكرم ليكون لها منه ولد مثله.
- ومنها السفاح بالبغاء العلني، وكان عند العرب خاصًا بالإماء دون الحرائر.
- ومنها نكاح الشِّغار، وهو أن يزوج الرجل امرأة بنته أو أخته أو من هي تحت ولايته على أن يزوجه أخرى بغير مهر، فصداق كلٍّ واحدة بضع الأخرى.

وكان من نكاحهم ما عليه المسلمون اليوم من الخطبة والمهر والعقد وهو الذي أقره الإسلام مع إبطال بعض العادات الظالمة للنساء فيها من العضل وأكل المهر وغير ذلك.

وأما الطلاق فقد مرَّ ذِكر حالهم فيه، وكانت المرأة في الجاهلية إذا مات لها زوج تعتد حولاً كاملاً، وتحد على زوجها شر حداد وأقبحه، فتلبس شرَّ ملابسها، وتسكن شر الغرف – الحِفش –، وهو البيت الصغير المظلم، وتترك الزينة والتطيب والطهارة، فلا تمس ماءً، ولا تقلم ظفرًا، ولا تزيل شعرًا، حتى تمر عليها سنة، ثم تُؤتى بدابة حمارٍ أو طيرٍ أو شاةٍ فتفتض به، فقلما تفتضُّ بشيء إلا مات"[1].

وأما وأد البنات، فقد قال الله تعالى: **(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩))** [2].

لقد كان من العرب من يرى البنات حملاً فادحًا تتخاذل قواه لفرط ما يشفق من وصمة الذل، ووصم العار إذا وهنت نفسها، أو ذهب السباء بها، فكان بين أن

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٢٠) في الطلاق: باب تحد المتوفي عنها زوجها أربعة أشهر وعشرًا، ومسلم في الطلاق (١٤٨٦) باب: وجوب الإحداد في عدة الوفاة وغيرها، وتفتض: تدلك جسمها ، انظر شرح النووي (٥/٣٧٥).

(٢) النحل: الآيات ٥٨– ٥٩.

يستبقيها على كره لها، ومضض منها وترقب لموتها، أو يفزع إلى الحفر فيقذفها في جوفها، ويُهيل التراب عليها، وكان بعضهم كذلك يئد البنات والأولاد أيضًا خشية الفقر.

وغير ذلك كثير مما كانت المرأة تهان به حتى قال عمر – رضي الله عنه – كما عند البخاري "والله إن كنَّا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرًا، حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم" (١).

فلم يعتبر الإسلام المرأة كائنًا محتقرًا مهينًا، بل قرر حقيقة تزيل هذه الهوان عنها، وهي أن المرأة بين يدي الإسلام قسيمة الرجل كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "إنما النساء شقائق الرجال" (٢)، فلها مالها من الحقوق، وعليها أيضًا من الواجبات من يلائم فطرتها، وعلى الرجل بما اختص به من شرف الرجولة وقوة الجلد، وبسطة اليد، واتساع الحيلة، وأن يلي رياستها، فهو بذلك وليها؛ يحوطها بقوته، ويذود عنها بدمه، وينفق عليها من كسب يده، وذلك ما أجمله الله، وضمَّ أطرافه، وجمع حواشيه، بقوله تعالى: **(وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ)** (٣) وتلك الدرجة هي درجة الرعاية والحياطة لا يتجاوزها إلى قهر النفس وجحود الحق (٤).

---

(١)صحيح البخاري مع الفتح (٥٢٥/٨) حديث (٤٩١٣)، باب: "تبتغي مرضاة أزواجك قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم.

(٢)رواه أبو داود (٢٠٤) في سننه، والترمذي (١٠٥) في جامعه عن عائشة رضي الله عنها، والبزار عن أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٦٠/٦) حديث ٢٨٦٣.

(٣) البقرة: من الآية ٢٢٨.

(٤) د. محمد أحمد إسماعيل المقدم: عودة الحجاب (٧٥/٢). ط. دار طيبة. الرياض.

وكما قرن الله – سبحانه – بينهما في شئون الحياة، كذلك ساوى بينهما في الإنسانية وحسن المثوبة، والموالاة، وتكاليف الإيمان، وادِّخار الأجر، وارتقاء الدرجات العلى في الآخرة [١].

فالنساء والرجال في الإنسانية سواء، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**[٢].

وإذا كان مناط التكليف هو الأهلية، فلكل من الرجل والمرأة أهلية الوجوب وأهلية الأداء[٣]، وقد وضع القرآن الكريم الرجل والمرأة على قدم المساواة في الالتزامات الأخلاقية، والتكاليف الدينية إلا في حالات مخصوصة خفف الله فيها عن المرأة رحمة بها.

وكذلك جعل إيمان النساء كإيمان الرجال كما قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ)** [٤].

وقال تعالى: **(وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)** [٥].

وأمر الله تعالى نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات جميعًا فقال: **(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)** [٦].

---

(١) عبد الله بن عفيفي الباجوري: المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (٣٥/٢). مكتبة الثقافة. المدينة المنورة.

(٢) الحجرات: الآية ١٣.

(٣) أهلية الوجوب: صلاحية الإنسان لوجوب الحقوق المشروعة له أو عليه، وأهلية الأداء: صلاحية الإنسان لصدور الفعل عنه على وجه معتبر شرعًا. "عوارض الأهلية عند علماء الأصول "(٩٢) د. حسين الجبوري، ط، جامعة أم القرى، ط. الثانية ١٤٢٨ه.

(٤) الممتحنة: من الآية ١٠.

(٥) الأحزاب: الآية ٥٨.

(٦) محمد: الآية ١٩.

وأما عن الثواب الأخروي فليس هناك أدل على ما جعله الله – تعالى – للمرأة من مكانة من قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [١].

وكذلك ما أكده الله تعالى في قوله: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [٢].

فسوى الله تبارك وتعالى بينهم في هذه الصفات الجميلة وما يترتب عليها من فضله تبارك وتعالى [٣]:

وأما الحديث عن كرامة المرأة في الإسلام ومكانتها فذاك نار على علم يشهده القاصي والداني فلئن قرن الإسلام بين الرجل والمرأة في عامة المواطن فقد عرف نصيبها من رقة القلب، ودقة الوجدان. وأنها مناط شرف الرجل، ومواطن عرضه، فاختصها بنصيب من الحرمة والكرامة لم يظفر بمثله نظراؤها من الرجال.

إن كرامة المرأة في الإسلام تتناول شخصها وسيرتها، وتشمل مشهدها ومغيبها. فمن حقها أن تكون هي في موطن الرعاية والعناية، وأن يكون اسمها بمنجاة من لغو القول: ومنال اللسان.

لقد كانت المرأة في عهد الإسلام – كما كانت في الجاهلية – تجير الخائف وتفك العاني، وذلك كله إلى تجلةٍ واحترام، بلغت منهما غايتهما [٤].

---

(١) النحل: الآية ٩٧.

(٢) الأحزاب: الآية ٣٥.

(٣) ادعى زويمر في "Across the world of Islam" أنَّ المرأة تنتهي بموتها في الدنيا وليس لها نعيم أخروي بقوله "Women have no souls" P. 97.

(٤) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (٤٣/٢).

فقد أجارت أم هانئ بنت أبي طالب رجلين من أحمائها كتب عليهما القتــل، قالت:

لما نزل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأعلى مكة فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم. فدخل علىَّ عليٌّ بن أبي طالب أخي فقال: والله لأقتلنهما. فأغلقت عليهما باب بيتي: ثم جئت رسول الله – صلى الله عليه وســلم –، فقــال: مرحبًا وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علىٍّ. فقــال: قــد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمَّنَّا مَنْ أمَّنت فلا يقتلهما [١].

وافتكت زينب بنت رسول الله إسار زوجها في الجاهلية أبي العــاص بــن الربيع – وكان من أسرى بدر [٢] – فأطلق بغير فداء ورد عليه ماله. وكم كانــت فاطمة بنت رسول الله إذا أهلَّتْ مقْبلة على أبيها قام لها عن مجلسه وأخــذ يــدها فقبلها. أما كرامة سيرتها، وصيانة اسمها، فذلك ما لا نحسب شريعة من الشــرائع حاطتهما بمثل حياطة الإسلام لهما. وحسبك أن الله سبحانه وتعالى اشتد في كتابــه الكريم على قاذفي النساء في أعراضهن بأشد مما اشتدّ على القتلة وقطاع الطريق، فقد قال سبحانه وتعالى في سورة النور: (**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَــمْ يَــأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَــهَادَةً أَبَــدًا وَأُوْلَئِــكَ هُــمُ الْفَاسِقُونَ**)[٣].

فجعل سبحانه وتعالى للقاذف عقوبة ثمانين جلدة ثم دعم هذه العقوبة بأخرى أشد وأخزى، وهي اتهامه أبد الدهر في ذمته، واطرح شهادته، فلا تقبل له شــهادة أبدًا ثم وسمه بعد ذلك بسمَة هي شر الثلاثة جميعًا، وهي سمة الفســق، ووصــمة الفجور.

(١)رواه البخاري (٢٩٣٥) باب أمان النساء وجوارهن، والترمذي (١٥٠٥) باب: ما جاء في أمــان البعد والمرأة ثم قال: "والعمل على هذا عند أهل العلم أجازوا أمان المرأة".

(٢) السيرة لابن هشام (٦٥٣/١) نقلاً عن عودة الحجاب (٩٦/٢).

(٣) النور: الآية ٤.

لم يكن ما سبق عقابَ أولئك الأثمة الجناة فقط، فقد عاود الله أمرهم بعد ذلك بما هو أشد وأهول من تمزيق ألسنتهم فقال:

(إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ(٢٥))[1].

وإن في حديث الإفك، وما أفاض الله في شأنه لموعظة وذكرى لقوم يعقلون،فإن ناسًا لم يبرؤوا بعد من وضر الجاهلية نالوا من اسم عائشة أم المؤمنين بألسنتهم، وأعقبهم جماعة المنافقين فذهبوا بالقول كل مذهب، واحتجز بقية المؤمنين أنفسهم عن الخوض حيث يخوض الناس، فأنزل الله في سبيل ذلك تلك الآيات الكريمة، تبرئة للمرأة الطاهرة، وفيها أهال سخطة لعنته على المرجفين وأرسل لومه وتأنيبه لمن سواهم ممن سمعوا قولهم فلم يردوهم، ولا برئوا إلى الله منهم قال جلت آياته: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ

(١) النور: الآيات ٢٣ – ٢٥.

أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)) (١).

ذلك قول الله وحكمه في طغمة الأفَّاكين المرجفين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة بين الناس، فلا يزال هؤلاء يلهثون، يبتغون بألسنتهم ما أكنته البيوت من أعراض الحرائر. لقد درج المسلمون بعد أن سمعوا من آيات الله ما سمعوا على تنزيه المرأة وتكرمةِ اسمها، وصيانة سيرتها، واتهام أنفسهم دون اتهامها.

وأما ضرب النساء، فما ضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حياته امرأة ولا خادمًا، وهو الذي يقول: "اتقوا الله في النساء"(٢) و "استوصوا بالنساء خيرًا" ويقول: "إني أحرج عليكم حقَّ الضعيفين: اليتيم والمرأة"(٣)، وكان– صلى الله عليه وسلم – كأغضب ما يكون إذا سمع بامرأة يضربها زوجها ويقول "يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد، ثم يعانقها أخر النهار".

ولذلك كانت حياته مع نسائه وإحسانه إليهن مضرب المثل في المودة والموادعة وبذل المعونة واجتناب هجر الكلام.

فهو الذي يقول: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" (٤).

وعن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: "ما كان يصنع النبي – صلى الله عليه وسلم – في أهله؟"، فقالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة" (٥).

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: "خدمت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عشر سنين، فما قال لي: أف قط، وما قال لي لشيء صنعته: "لم

(١) النور: الآيات ١١ – ٢٠.

(٢) رواه أبو داود (١٦٦٣) في سننه، باب: صفة حجة النبي – صلى الله عليه وسلم – وصححه الألباني.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٦٧٨) في سننه، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٨٩٢) في المناقب، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) رواه البخاري (٦٠٣٩) كتاب الآداب، باب كيف يكون الرجل في أهله.

تصنعه؟"، ولا لشيء تركته "لم تركته؟" وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من أحسن الناس خلقًا" (١).

والله تبارك وتعالى يقول "(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (٢).

ويقول: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (٣).

فالأصل في المسلم أن يقتدي بنبيه – صلى الله عليه وسلم – الذي وصف حاله فيما سبق فإن اقتدى به في أقواله وفعاله وأخلاقه فكيف يقال بعد ذلك.

"The low ideal of character in Islam:

A stream cannot rise higher than its source; a tower cannot be broader than its foundation. The measure of the moral stature of Mohammed is the source and foundation of all moral ideals in Islam. His conduct is the standard of character. We need not be surprised, therefore, that the ethical standard is so low" (4).

"القدوة المتدنية للشخصية المسلمة:

لا يمكن للنهر أن يرتفع على منبعه، كما أنه لا يمكن للبرج أن يكون أعرض من قاعدة أساسه. إن معيار المكانة الأخلاقية لمحمد هو مصدر وأساس كل المُثل الأخلاقية في الإسلام. فسلوكه معيار الشخصية. ولذلك ما ينبغي لنا أن نتعجب إذا رأينا المستوى الأخلاقي متدنيًا جدًا عند المسلمين.

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨) كتاب الأدب، حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، وانظر فتح الباري (٤٧٤/١٠).
(٢) الأحزاب: الآية ٢١.
(٣) آل عمران: الآية ٣١.
(4) S. Zwemer, Islam: A challenge to Faith P. 123.

أليس هذا من الإجحاف بعد معرفة ما جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قوله وفعله؟! لقد اعترف زويمر بنبل ما جاء في القــرآن الكــريم عــن أم المسيح – عليه السلام–، وكذلك عن سائر النساء المؤمنات فقال:

"The Koran addresses itself to women as well as men and contains much on the subject of women as believers in God and in Mohammed's message. It mentions with high honour not only on Mary. The mother of Jesus Christ but other women who are saints in the Moslem calendar" (1).

وكذلك الحال بالنسبة لما جاء في سنَّة النبي – صلى الله عليه وســلم – (٢)، فإن كان تقليد المسلمين لما جاء به نبيهم في كتاب الله أو سنته مما يقــدح فــيهم، وينزل بهم عن رتبة المثل الأخلاقية – كمال قال زويمر – فتلك شكاة ظاهر عنك عارها (٣).

ويجمل بنا في هذا الموضع أن نشير لبعض ما جاء في الكتاب المقدس عن المرأة لنرى أي **(الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)** (٤).

يعتبر النصارى المرأة أصل الشر في العالم:

وذلك لأنها في زعمهم هي السبب في خروج آدم (عليه السلام) من الجنة، ففي الإصحاح الثالث من سفر التكوين:

"وكانت الحية أَحْيَلَ جميع حيوانات البرية، فقالت للمرأة: "أحقًا قــال الله :لا تأكلا من كلِّ شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: "من ثمر شجر الجنة نأكــل، وأمــا ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا" فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنَّه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل، فأخذت من ثمرها وأكلت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل

(1) S. Zwemer, Across the World of Islam, P. 97, 98.
(2) Ibid, P. 101 – 102.
(٣) عجز بيت صدره: وعيَّرها الواشون أني أحبها"، وظاهر عنك: أي: زائل عنك.
(٤) الأنعام: الآية ٨١.

فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان، ... فنادى الربُّ أدم "هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: "المرأة التي جعلتها معي هـي أعطتنـي من الشجرة فأكلت" (١).

فالمرأة عندهم هي المسئولة الأول والأخير عن الخطيئة الأولى التي جـاء المسيح ليخلص البشرية منها بعد ذلك، ولذلك يقول بولس في رسالة لـه موجهـة لتلميذه تيموناوس" "أدم لم يُغو لكنَّ المرأة أُغويت فحصلت في التعدي" (٢).

أما قرأت ما جاء عن المرأة في سفر الجامعة: "دُرت أنـا وقلبـي لأعلـم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الشرَّ أنَّه جهالةٌ، والحماية أنهـا جنـون فوجدتُ أمرَّ من الموت: المرأة التي هي شِباك، وقلبها أشـراك، ويـداها قيـود، الصالح قدَّام الله ينجو منها. أمَّا الخاطئ فيؤخذ بها" (٣).

وهاك بعض الأحكام المتعلقة بالمرأة في الكتاب المقدس (٤).

لقد جاء في سفر اللاويين:

"وإذا كانت امرأة لها سيْلٌ – أي حاضت – وكان سيلها دمًا فـي لحمهـا، فسبعة أيام تكون في طمثها. وكلُّ من مَسَّها يكون نجسًا إلى المسـاء. وكـلُّ مـا تضجع عليه في طمثها يكون نجسًا، وكلُّ من مسَّ متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابـه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء. وإن اضطجع معها رجلٌ فكان طمثها عليه يكون نجسًا سبعة أيام. وكلُّ فراش يضطجع عليه يكون نجسًا" (٥).

لقد كان ما سبق حالَ المرأة عندهم في أمر قدَّره الله على بنات بني أدم، لا حيلة لها فيه. إنها أشبه ما تكون بحيوان تنَّجس من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه، فإذا أرادت أن تتخلص من نجاستها وتتطهر فماذا عليها أن تضع:

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ٣ (١-١٢).

(٢) الرسالة الأولى: الإصحاح ٢ (١٤).

(٣) سفر الجامعة، الإصحاح ٧ (٢٥- ٢٦).

(٤) تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين (٢٦١) مرجع سابق.

(٥) سفر اللاويين، الإصحاح ١٥: ١٩ – ٢٤.

"وفي اليوم الثامن تأخذ لنفسها يمامتين أو فرخي حمام وتأتي بهما الكاهن إلى باب خيمة الاجتماع فيعمل الكاهن الواحد ذبيحة خطية والآخر محرقة ويكفر عنها الكاهن أمام الرب من سيل نجاستها" (١).

لك أن تتصور هذا المشهد مع ما فيه من إهانة وإحراج للمرأة وهي ذاهبة إلى الكاهن وبيدها فرخ حمام، فكل من يراها سيعلم أنها في أيام طمثها، وأظن أن أيَّ امرأة عندها ذرة من حياء تتمنى أن تبلعها الأرض من هذا الموقف المحرج، **إلا إذا أراد الكتاب المقدس قتل حيائها!!**

إذا كان زويمر يؤكد بين الحين والآخر على إهانة الإسلام للمرأة، وما ذلك إلا لأنَّه حكم على دين الإسلام بسلوك الخارجين في سلوكهم عنه؛ وهذا ظلم بيِّن للحق ولمنهج البحث، إذا كان الأمر كذلك فإننا لن نحكم على مكانة المرأة عندهم بنفس المنهج، بل كما سبق ويَرِد من كتبهم وكلام علمائهم.

إن نظرة تاريخية تبين لنا حال المرأة وما عانته من تجاهل وإهمال في سائر أمور حياتها، وما ذلك إلا لاعتقاد رجال المسيحية أنها السبب الرئيس في الخطيئة الكبرى، وما ترتب على ذلك مما جعلهم يفكرون في طبيعتها وكيفية التعامل مع شرورها التي لا تنفك عنها فلقد اعتبر رجال المسيحية الأوائل المرأة هي السبب الرئيس في انحلال المجتمع في العصر الروماني، وأنها وراء انتشار الفواحش، وذلك بسبب ما رأوه من حرية تتمتع بها المرأة وتمتعها باللهو وتختلط بمن تشاء من الرجال، فاعتبروا أن الزواج دنس من عمل الشيطان يجب الابتعاد عنه وأن الأعزب أكرم عند الله من المتزوج. وقالوا بأن المرأة باب الشيطان وأنها يجب أن تستحي من جمالها لأنه سلاح إبليس للفتنة والإغواء، فقال القديس "ترتوليان": إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان، ناقضة لنواميس الله، مشوهة لصورة الله – أي الرجل. وقال القديس "سوستام": إنها شر لابد منه وآفة مرغوب فيها وخطر على الأسرة والبيت ومحبوبة فتاكة ومصيبة مطلية مموهة (٢).. وقال

(١) سفر اللاويين، الإصحاح ١٥: ٢٩: ٣٠.

(٢) مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون (١٨) ط. دار الوراق. بيروت.

الكتاب المقدس "لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذونًا لهن إن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضًا" (١). وجاء أيضًا "ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئًا فليسألن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة". ومما جاء بالكتاب المقدس قول الله "لتتعلم المرأة بسكوت في كل خضوع" (٢). وأكد الكتاب المقدس أن الرجل أفضل من المرأة وذلك من خلال عدد من الفقرات منها "ولكن أريد أن تعلموا أن راس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل وراس المسيح هو الله" وأيضًا قوله: "فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده، وأما المرأة فهي مجد الرجل (٣) لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل" (٤) ونظر الدين المسيحي إلى المرأة نظرة منحطة فقد جاء بالكتاب المقدس قوله "وإذا باع رجل ابنته أمة لا تخرج كما يخرج العبيد. وأيضًا قوله: "ولكن لست آذن للمرأة أن تعلَّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون في سكوت" ثم قوله "لأن آدم جبل أولاً ثم حواء. وآدم لم يغو لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي".

ويدعو الإنجيل المرأة إلى الخضوع للرجل بقوله "أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب". ولماذا على المرأة أن تخضع للرجل فذلك لأن "لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضًا رأس الكنيسة وهو مخلّص الجسد."

والفقرة التي تليها فسرت الفقرة التي سبقتها وجاء فيها "ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء، وفي فقرة أخرى "وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المرأة فلتهب رجلها."

وفي موقع أخر جاء بالإنجيل "فإنه هكذا كانت قديمًا النساء القديسات أيضًا المتوكلات على الله يزينَّ أنفسهن خاضعات لرجالهن" (٥).

---

(١) رسالة بولس الأولى ١٤ – ٣٤.

(٢) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢–١١.

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١ – ٧.

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١١ – ٨.

(٥) رسالة بطرس الأولى (٣ : ٥).

كما فرض الحجاب والنقاب على المرأة المسيحية فقد جاء في الفقرة "وأما كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه، وجاء أيضًا: "إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها، وإن كان قبيحًا بالمرأة أن تقص أو تحلق فلتتغط."

أما بشأن النقاب فقد ذكر الكتاب المقدس "ها أنت جميلة يا حبيبتي ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد"(١). ويتابع الكتاب المقدس غزله بالمرأة وبيان أن محبة الله تفرض عليها أن تلبس النقاب فتقول الفقرة "شفتاك كسلكة من القرمز. وفمك حلو خدك كفلقة رمانة تحت نقابك" (٢).

وفي القرن الخامس الميلادي اجتمع مؤتمر (ماكون) للبحث في مسألة هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟ أم لها روح؟ ... وخرج بنتيجة أن جميع النساء المسيحيات سوف يدخلن جهنم، بقوله "أنها خالية من الروح الناجية من عذاب جهنم، ما عدا أم المسيح (٣).

وفي عام ٥٦٨ عقد الفرنسيون مجمعًا لدراسة ما إذا كانت المرأة إنسانًا أو غير إنسان، وخرجوا بنتيجة مفادها "أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل". وظلت المرأة ينظر لها باعتبارها قاصرًا لا يحق لها أن تتصرف بأموالها دون إذن ولى أمرها الرجل زوجًا كان أو أبًا أو أخًا وفي حال عدم وجود أي منهم يكون كاهن الكنيسة وليها.

وحتى بداية القرن الثامن عشر كانت المرأة وفق الديانة المسيحية لا مكان لها بلا أدنى قيمة، بل تباع وتُشترى، وقد جاء في القانون الإنجليزي عام ١٨٠٥

---

(١) سفر نشيد الأنشاء (٤ : ١)

(٢) السابق (٤ : ٣).

(٣) وهذا ما أراد زويمر أن يلصقه بالإسلام كما سبق، وأنظر لمزيد بيان صحة ذلك بالنسبة للمرأة المسيحية أو المسلمة.

www.landoverbaptist.org "women probably don't have souls".
www.islam.stackexchange.com "Do women have souls according to Islam?".
انظر: تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام، أحمد عبد الوهاب، ص (٣٣٠ – ٣٣٩).

أنه كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات، - بشرط موافقة الزوجة -.

وتذكر كتب التاريخ أن الكنيسة نفسها كانت تبيع النساء، وفي حادثة تقول: إن إحدى الكنائس البريطانية باعت امرأة ب (شلنين) لأنها كانت تعيش عالة في بيت الرب.

حتى الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر لم تتخلص من إرث الديانة المسيحية، فمع أنها أعلنت تحرير الإنسان من العبودية، إلا أنها لم تشمل المرأة، حيث نص القانون الفرنسي على أن المرأة ليست أهلاً للتعاقد، دون رضا وليها إنْ لم تكن متزوجة.

وقد جاء بنص القانون الذي جاءت به الثورة التحريرية أن القاصرين هم "الصبي والمجنون والمرأة". واستمر ذلك حتى عام ١٩٨٣ حيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة" (١).

فهذه حالة المرأة في الإسلام، وحالها في الكتاب المقدس، فشتَّان ما بينهما وهيهات القرب بين عدل وإلهية الأول وظلم وتزييف الثاني، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

---

(١) عودة الحجاب (٥١/٢)، مرجع سابق.

المطلب الثاني

تعدد الزوجات Polygamy

وأما ما يتعلق بتعدد الزوجات في كتابات زويمر، فكثير هو كلامه وتشنيعه على الإسلام بذلك، خاصة فيما يتعلق بزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –، وتلك بعض الإحصائيات لما كتبه زويمر عن هذا الأمر:

لقد ذكر زويمر هذه اللفظة Polygamy كثيرًا في كتاباته عن الإسلام، وتكاد لا تفارقها كلمة الطلاق Divorce.

فذكرها أكثر من مائة وعشرين مرة على النحو التالي [(١)]:

1-	Across the world of Islam	٢٨ مرة
2-	Islam: A challenge to Faith	١٩ مرة
3-	Our Moslem sisters	٣٨ مرة

يقول صموئيل زويمر في صفحة ٢٣٨ من هذا الكتاب:

"Certainly Mohammedanism, with its twins evils of polygamy and divorce, has not only failed to elevate woman, but has everywhere resulted in degradation".

"**إن الديانة المحمدية – بلا شك – بشرَّيْها التوأمين تعدد الزوجات والطلاق لم تفشل فقط في رفع مكانة المرأة، بل أدت إلى إهانتها في كل مكان**".

4-	Mohammed or Christ	٩ مرات
5-	The cross above the crescent	٩ مرات
6-	Childhood in the Moslem world	٨ مرات
7-	The Disintegration of Islam	٦ مرات
8-	The Moslem world	٥ مرات

(١) استخدمت في الإحصاء إحدى برامج الحاسب، فلله الحمد والمنة.

يقول زويمر في صفحة (٦٤):

"The Koran has many historical errors; it contains monstrous fables; it teaches a false cosmogony, it perpetuates slavery polygamy, divorce religious intolerance, the section and degradation of women.

"في القرآن كثير من الأخطاء التاريخية، والأساطير، فهو يُعلِّم نشأة الكون بشكل خاطئ، ويديم الكلام عن الرق وتعدد الزوجات والطلاق والعداء الديني وعزل النساء وإهانتهن".

يستطيع الباحث – إن شاء الله – بيان أن تعدد الزوجات في الإسلام تشريع لا شائبة فيه، وذلك من خلال ثلاثة أمور:

أ) بيان أنه سنة الأنبياء والمرسلين.

ب) بيان مدى سمو التشريع الإسلامي بخصوص هذه المسألة.

ج) بيان منافع التعدد.

- أما الأمر الأول فيقول الله – تعالى – (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً**) (١) أي لست ببدع من الرسل كما قال الله تعالى له – صلى الله عليه وسلم–: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**) (٢) فالرسول – صلى الله عليه وسلم – كغيره من الرسل لا يخالفهم، فتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وصدق الله إذ يقول: (**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا**) (٣) فلم يكن النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلاً شهوانيًا يسير وراء شهواته وملذاته، وإنما كان نبيًا إنسانًا يتزوج كما يتزوج البشر ليكون قدوة لهم في سلوك الطريق السوي، وليس هو إلهًا، ولا

---

(١) الرعد: من الآية ٣٨.

(٢) غافر: من الآية ٧٨.

(٣) الفرقان: الآية ٣١.

ابن إله – كما يعتقد النصارى في نبيهم – وإنما هو بشر مثلهم فضَّلَه الله عليهم بالوحي والرسالة، وقد كان لإبراهيم – عليه الصلاة والسلام – أكثر من زوجة، وكذلك يعقوب، وموسى، وسليمان، وأبيه داود عليهم جميعًا الصلاة والسلام، بل لم يختص الأنبياء بذلك فقد جاء في سفر التثنية.

"وإذا سكن إخوة معًا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصير امرأة الميت إلى خارج لرجل أجنبي، أخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب أخي الزوج" (١).

وعيسى عليه السلام يقول: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل" (٢)، ولم يأت عنه صراحة الأمر بألا يتزوج الرجل أكثر من واحدة، بل جاء في رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس "فيجب أن يكون الأسقف – بلا لوم – بعل امرأة واحدة"، وهذا يعني أن غير الأسقف له أن يتزوج بأكثر من امرأة(٣).

وأما نبينا – صلى الله عليه وسلم – فهناك نقطتان جوهريتان تدفعان الشبهة عنه، وتلقمان الحجر لكلِّ مفتر أثيم وهما (٤).

- لم يُعدد الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – زوجاته إلا بعد بلوغه سنَّ الشيخوخة أي بعد أن جاوز الخمسين من عمره.
- جميع زوجاته الطاهرات ثيبات (أرامل) ما عدا عائشة – رضي الله عنها ، فهي الوحيدة من بين نسائه التي تزوجها وهي بكر.

فلو كان المراد من زواجه مجرد الاستمتاع والشهوة لتزوج في سن الشباب من الأبكار الشابات، وهو من هو في المكانة بين قومه قبل النبوة، ولو طلب

(١) سفر التثنية (٢٥:٤).

(٢) متى: (٥:١٧).

(٣) تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين (٢٧٥)، مرجع سابق.

(٤) محمد علي الصابوني، روائع البيان تفسير آيات الأحكام (٢٤٧/٢) ط. دار إحياء التراث.

- نخبة من العلماء، حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين (٣٥٣) ط. السادسة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

الزواج من بنات أصحابه أو أقربائه لما تأخر أحدٌ عن تزويجه بمن شاء، فلماذا لم يعدد الزوجات في مقتبل العمر وريعان الشباب، ولماذا ترك الأبكار وأقبل على الثيبات؟ إني أدع الجواب لزويمر ومن سار على دربه ليبحث عنه في كتب الإسلام فيخرج بحكم جليلة وغايات نبيلة تقرُّ بها عين كلِّ منصف وطالب للحق إذا ما ترك التعصب وحكم عقله(١).

وأما الأمر الثاني فيوضحه آيتان في كتاب الله – تبارك وتعالى-:

قال تعالى: **(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا)**(٢).

والثانية: **(وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)** (٣).

إن الإسلام وجد نظام تعدد الزوجات مطلقًا من كلِّ قيد وشرط فهذبه وقيده كمًّا وكيفًا، وهذه حقيقة لا ريب فيها، فقد جاء الإسلام ونظام التعدد شائع في كلِّ شرائع العالم وشعوبه تقريبًا، وكان العرب في الجاهلية يمارسونه على إطلاقه حتى إنَّ بعضهم أسلم وتحته عشر زوجات.

فما كان للإسلام – وهو الشريعة الإلهية الحكيمة – أن يدع نظام تعدد الزوجات هكذا فوضى بدون إصلاح وتهذيب، بل أحاطه بقيود وشروط تجعل نفعه أقرب من ضره، وسلك به طريقًا وسطًا كشأنه في جميع تعاليمه وأحكامه:

فقيَّده كمًّا:

فجعل أقصاه أربع زوجات لا يجوز أن يجاوزهن، فأعظمْ به من قيد هدى إلى الطريق السوى في الزواج! فلا إفراط ولا تفريط، وسدَّ في وجوه الشرور والفتن كلَّ باب.

---

(١) ذكر بعضها الحافظ في فتح الباري (١٤٣/٩).

(٢) النساء: الآية ٣.

(٣) النساء: الآية ١٢٩.

وقيَّده كيفًا:

فشدد فيه على العدل بين الزوجات عدلاً ماديًا (١) إلى أقصى حدود المستطاع حتى قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "من كانت له امرأتان فمال إلى أحدهما جاء يوم القيامة وشقه مائل" (٢) وكذلك بنى فقهاء المسلمين على هذا القيد أحكامًا في قمة السمو الأخلاقي، بالإضافة إلى ما جاء في الشرع الحنيف مما يربي ضمير الزوج المسلم على خوف الله ومراقبته ورغبته في ثوابه بامتثال أمره، وخشيته من عذابه باجتناب نهيه، وبذلك يكون المسلم الحق مع زوجاته لينًا متواضعًا لا مستعليًا مستبدًا مصلحًا ما أفسده.

وأما الأمر الثالث فبيانه أن في تحريم تعدد الزوجات أضرارًا بالغة لا علاج لها قد تتعرض لها المرأة والأسرة والمجتمع.

فأما ما يتعلق بالمرأة، فقد يصيبها مرض عضال يقعدها عن واجبات الزوج، أو عاهة مستديمة تشوه جمالها، أو عقم يفقدها وظيفة الأمومة، أو طول فترة حيض أو غير ذلك مما يقلل استمتاع الرجل بها، أو يعكر صفو الحياة الزوجية، فإذا كان الرجل مخلصًا لها وفيًا لعشرتها، فَكِره أن يطلقها صونًا لها من المهانة والابتذال وحماية لها من الضياع، فتزوج عليها امرأة أخرى فهل يكون قد جاء شيئًا نكرًا؟!

وكذلك الأمر بالنسبة للرجل فقد لا يكفيه زوجة ولا زوجتان، أو عنده رغبة ملحة في كثرة النسل وهو مليء قادر على تلبية حاجاتهم وإحسان تربيتهم، وقد تميل نفسه إلى امرأة أخرى – والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء. فهل إذا أرضى

---

(١) وكذلك وجوب القسمة بين زوجاته – على ما جاء في الشرع –، وأما ما يتعلق بالميل القلبي فهذا لا يتحكم فيه إلا الرب – تبارك وتعالى – ولكن يسعى المرء المسلم لئلا يكون ذلك سببًا في جوره في معاملته لنسائه، وهذا معنى الآية الثانية سالفة الذكر (راجع تفسير القرطبي).

(٢) رواه أبو داود (١٨٢١) باب في القسم بين النساء من حيث أبي هريرة – رضي الله عنه – وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

غريزته النهمة بطريق حلال ليكفَّها عن مستنقع الرذيلة ويصون نفسه ومجتمعه وذريته من شرورها وآثامها، فهل من الحكمة في هذه الحالة أن يسدَّ في وجهه الطريق ليسلك الطريق المحفوفة بالمخاطر والمهالك؟!

وكذلك بالنسبة للمجتمع، فقد تمر الأمة بأزمات تجتاح رجالها وتتسبب في زيادة عدد النساء عن الرجال يختل التوازن العددي، فإذا حدث مثل هذا الاختلال، فليس أمامنا إلا أحد أمرين لا ثالث لهما:

أما أن نسد باب التعدد في وجه العباد فنُعرِّض المرأة للتسكع في الطرقات والغواية والفساد ونحرمها من وظيفة الأمومة التي هي من أخص خصائصها، ونعرض المجتمع للانحلال والهلاك وساء ذلك سبيلاً [١].

وإما أن نُحكِّم شريعة الإسلام الربانية في حلِّ مثل هذه المشكلات فنحفظ للمرأة كرامتها وأمومتها، وللأسرة حرمتها وقوتها واستقرارها، وللذرية نسبها وحقوقها، وللمجتمع سلامته وتماسكه وحسن ذلك سبيلاً.

ولذلك تنبَّه بعض مفكري الغرب إلى ما أدى إليه تحريم التعدد في بلادهم من أخطار جسيمة لا تخفي على أحد فأخذ ينادي بالتعدد لتدارك الأمر ومن هؤلاء "جوستاف لوبون وتومس"، وفي رأيهما أن إباحة التعدد تجعل كلَّ امرأة ربَّة بيت، وأُمَّاً لأولاد شرعيين، وذلك مما يقضي على كثير من الانحرافات في المجتمع الأوروبي[٢].

ويقول المستشرق الشهير "هاك فارلين":

"إذا نظرنا إلى تعدد الزوجات في الإسلام من الناحية الاجتماعية أو الأخلاقية أو المذهبية، فهو لا يُعد مخالفاً بحال من الأحوال لأرقى أسلوب من أساليب الحضارة والمدينة، بل هو علاج عملي لمشاكل النساء البائسات والبغاء،

(١) عبد الودود شلبي، حوار صريح بين عبد الله وعبد المسيح (٢٤٠)، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط. الثانية، ١٤١٨ – ١٩٩٧.

(٢) عبد التواب هيكل: تعدد الزوجات في الإسلام (٦٦). ط. دار القلم. بيروت.

واتخاذ المحظيات، ونمو عدد العوانس المطرد في المدنية الغربية بأوروبا وأمريكا"[1] أ.هـ.

لقد قال الإسلام كلمته في التعدد من خمسة عشر قرنًا، وثبت عليها، وتلك وايم الله معجزة أخرى تُضم إلى معجزات الإسلام التي لا تحصى، ثم لا يكون من خصومة إلا المجادلة في أحكامه، فإذا جنوا ثمار تجاربهم الفاشلة وذاقوا ويلاتها عادوا إلى حكم الإسلام بعد معاندته مكرهين **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)** [2].

---

(١) الإسلام وحقوق المرأة ص (١٤٩) ط. رابطة الجامعات الإسلامية، جامعة الأزهر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، بإشراف د. عبد السلام جعفر.

(٢) فُصلت: الآية ٥٣.

المطلب الثالث

الطلاق في الإسلام

أما الطلاق فقد عدَّه زويمر – كما مضى – شرًا من شرور الإسلام التي كانت سببًا رئيسًا في إهانة المرأة.

فإباحة الطلاق تهدد الأسرة، كما أنه استخفاف بالحياة الزوجية يؤدي إلى آثار سلبية على الفرد والمجتمع، وبالتالي فهو من مساوئ التشريع الإسلامي.

- فهل الطلاق بدعة إسلامية؟
- وهل حرَّمت المسيحية الطلاق صراحة؟
- وكيف يكون الطلاق تشريعًا إلهيًا حكيمًا؟

مما ينبغي أن يُعلم أن الطلاق ليس بدعة إسلامية تفردت به تعاليم الإسلام الحنيف، ولكنَّ الإسلام هو أول من وضع له شروطًا وأحكامًا تنظمه وتقيده فلقد سميَّ الإسلام الحنيف الزواج **(مِيثَاقًا غَلِيظًا)** (١)، وصور القرآن الكريم مبلغ قوة الرباط بين الزوجين فقال – عز وجل – **(هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ)** (٢) وهو تعبير يوحي بمعاني الاندماج والستر والحماية والزينة التي يحققها كلٌّ منهما لصاحبه، فإذا استحكم الشقاق ، واستحال الوفاق بين الزوجين فهو الحل الأمثل الذي لا مناص منه بعد أن تقطعت كلُّ أسباب المودة والرحمة بينهما، ولم يعد أحدهما يسكن إلى الآخر، أو يطمئن له، فكان ذلك التشريع الحكيم موافقًا لواقع الناس في الحياة، على أن الطلاق قد سبقت إليه أمم أخرى (٣).

- **فالطلاق عند قدماء المصريين:** كان بلا قيود، وكان للرجل أن يطلق زوجته متى شاء.

---

(١) الأحزاب: من الآية ٧.

(٢) البقرة: من الآية ١٨٧.

(٣) مجموعة علماء – موسوعة بيان الإسلام (١٤٩/١٩) ط. نهضة مصر، وهذا الموسوعة من أنفس ما وقعت عليه في بيان عظمة الإسلام ورد شبهات الطاعنين فيه بشكل موثق فريد.

- **وفي بابل القديمة:** نجد في قوانين حمورابي – بعد أن قامت الروابط الزوجية على أسس غير مؤقتة – أن القانون يجعل للزوج الحق المطلق في الطلاق، أما بالنسبة للزوجة فإنه قد جعل لها الحق في طلب الطلاق فقط.
- **وفي اليونان القديمة:** كان للرجل أن يطلق زوجته متى شاء، ولأي سبب، وبدون أية إجراءات، ولم يكن يصرح للمرأة أن تطلب الطلاق إلا في عصر متأخر، وهو العصر الكلاسيكي.
- **وأما الطلاق قبل الإسلام عند العرب في جاهليتهم:** فقد كان شائعًا، وكان من حق الرجل تطليق امرأته متى أراد، وبأية صيغة تفيد الطلاق، ولم يكن هناك تحديد لعدد الطلقات، فوضع الإسلام حدًا لذلك حين قرر أن الطلاق مرتان **(الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)** (١) أما إذا طلقها بعد ذلك، فلا تحل له حتى تتزوج زوجًا غيره.
- **أما الطلاق في اليهودية:** فقد شرعه الله تعالى من قبل، كما في كتابهم المقدس "إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة في عينيه؛ لأنه وجد فيها عيب شيء، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته، أما إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجه، لا يقدر زوجها الأول الذي طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تتجسَّت، لأن ذلك رجس لدى الرب"(٢).

وكما هو واضح في هذا النص أن الله شرَّع لهم الطلاق، وجعله في يد الرجل، فله مطلق الحق في تطليق زوجته إذا لم تحسن في عينيه وكان بها عيب وقد ظلَّ الطلاق معمولاً به في الشريعة اليهودية إلى أن قرر المجمع اليهودي في عهد الرومان تقييد حرية الرجل في الطلاق، كما حصر حالات طلب المرأة للطلاق في سبعة أسباب لا يزال معمولاً بها ليومنا هذا، ولم توضع هذه القيود في كتابهم المقدس، بل وضعت في المجامع البشرية وهي:

---

(١) البقرة: من الآية ٢٢٩.

(٢) سفر التثنية (٢٤ : ٤١).

- عدم القدرة على مضاجعة الزوجة.
- تغيير الدين.
- إسراف الزوج.
- الامتناع عن الإنفاق.
- هروب الزوج من البلاد لجريمة ارتكبها.
- إصابة الزوج بمرض خبيث أو ممارسته عملاً أو تجارة محرمة [١].

وأما الطلاق في المسيحية التي يدين بها زويمر:

فيجب أن نعرف أن عيسى – عليه السلام – لم يأت بتشريع جديد، بل اتبع هو وتلاميذه وأتباعه دين موسى – عليه السلام – وشريعته، بدليل وجوده الدائم في المعبد، وتعليمه الناس دين موسى الحق، واستزاده اليهود من ثقتهم فيه عن طريق أسئلتهم له، واختبارهم إياه في شريعة موسى كما هو واضح جدًا وبكثرة في الأناجيل التي بين أيدينا.

بل إن عيسى نفسه قرر ذلك بقوله: "لا تظنُّوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض" [٢] بل لأكمل وأمر الجموع من أتباعه أن يلتزموا به "حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً: على كرسي موسى جلس الكتَبة والفرِّيسيُّون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فأحفظوه وافعلوا، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون" [٣].

وعلى الرغم من التزامه بالناموس، والدعوة للعمل به والتمسك به، فقد نُسب إليه نقض الناموس بتحريمه للطلاق إلا لعلة الزنا وحدها": وقيل: من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق، وأما أنا فأقول لكم: إنَّ من طلَّق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزني ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني" [٤].

---

(١) علاء أبو بكر، إنسانية المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى، (٣٦٠). ط. مكتبة وهبة.
(٢) متى: (٥ : ١٧).
(٣) متى: (٢٣ : ١ – ٣)
(٤) متى: (٥ : ٣١ : ٣٢).

وفي نفس الإنجيل: "وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين لــه: هــل يحــل للرجل أن يطلق امرأته لكلِّ سبب؟ فأجاب وقال لهم: "أما قراءتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرجل أبــاه وأمَّــه ويلتصــق بامرأته، ويكون الأثنان جسدًا واحدًا؟ إذ ليسا بعدُ اثنين بل جسدٌ واحد، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان" (١).

يشير يسوع الأناجيل إلى ما ورد في سفر التكوين (٢ : ٢٤): "لهذا، فــإن الرجل يترك أباه وأمَّه ويلتصق بامرأته، ويصيران جسدًا واحدًا"، ولكن هذا النص لم يفسره أحدٌ من الأنبياء الذين سبقوا المسيح هذا التفسير الغريب، ومن المعروف أنه قد ظهر في بني إسرائيل عدد ضخم من الأنبياء، وفسِّرت التوراة من الأنبيــاء والحكماء، لكن لم يفهم أحد منهم النص بهذا الفهم الشاذ الذي يزعم أن أصل معنى "يصيران جسدًا واحدًا" هو التصاقهما الأبدي، حتى قال الحبر اليهودي "صــموئيل لاكس" Samuel Lachs (٢).

"لا يوجد أدنى معنى (في هذا النص) على أن الزواج هــو ســر مقــدس، بمعنى أنه لا يمكن إنهاؤه؛ فقد كان يُنظر إليه دائمًا على أنَّه عقد من الممكن حله"

إنَّ حظر الطلاق إلا لعله الزنى ليس بمفخرة للكنيسة، إذ إنَّه قد جعل المرأة أسيرة بيت يحكمه رجل قد يكون ألعن خلق الله، قد قــارف كــلَّ المحرمــات إلا الزني، فهو سكِّير عربيد، فاحش في القول، كثير الاعتداء الجسدي على زوجتــه، ساقط العدالة، لكنَّه مع ذلك لا يزني، وهو ما يكفــي ليمنــع المــرأة مــن طلــب الانفصال، فأيُّ دين فضلاً عن عقلٍ يقضي بهذا؟! لقد ذبح هذا الحكم مشاعر المرأة وأعدم حقها في الاختيار فلم يبق أمام المرأة إلا أن تلجأ لبعض الحيــل للحصــول على الطلاق.

- كتغيير المذهب أو الملة للحصول على الطلاق كما يفعله بعــض نصــارى مصر للخلاص من سجونهم.

(١) متى (١٩ : ٣ : ٦).

(2) Samuel Lachs. Arabbinic Commentary on the new Testament P. 326
نقلاً عن المرأة بين إشراقات الإسلام وافتراءات المنصرين، تأليف: سامي العامري.

- ومن الحيل التي تُتخذ في بعض البلاد الأوربية أن تذهب المرأة مع عشيق لها إلى الفنادق، وتثبت اسمها واسم عشيقها في سجلات الفندق، وتمكث مع عشيقها المدة التي تريدها، ثم تذهب هي بعد ذلك إلى المحكمة لتبلغ عن جريمتها حتى توافق المحكمة على طلاقها، **وبهذا قتلوا حياء المرأة،** الذي هو شعبة من الإيمان، بسبب وقف الطلاق على الزنا فقط.
- القتل للتخلص من الزوج حتى يصبح القاتل أرملاً فيجوز له الزواج مرة أخرى بعد ذلك (١).

وبذلك يلاحظ أن الزواج عند النصارى هو سجن إجباري لا فكاك منه إلا بارتكاب جرائم كالقتل والزنا، والقذف، ولهذا ظهرت عندهم فكرة الـ boy friend خاصة في الغرب ليختبر الأحبة حياتهم قبل الدخول في سجن لا مخرج منه!

فالنصرانية لم ترع يومًا واقع البشر، ويتغنى النصارى بتعاليم المسيح التي لا يمكن أن تكون من عند الله، ولا نطق بها المسيح، فهي تبدو مثالية في الظاهر، ولكن في حقيقة الأمر هي تعاليم خربة لا تزيد أتباعها إلا شقاءً.

الطلاق في الإسلام تشريع إلهي حكيم:

لقد نظر العائبون للإسلام في مسألة الطلاق من زاوية واحدة، هي تضرر المرأة به والأولاد، ولم ينظروا للموضوع من جميع جوانبه، وحكَّموا في رأيهم العاطفة غير المدركة للحكمة منه ولأسبابه ودواعيه، وذلك إما عملاً منهم لتشويه صورة الإسلام وتنفير العقل الأوربي عنه كما هي طبيعة عمل المستشرقين ومنهم زويمر وقد مرَّ بيان ذلك، وإما جهلاً منهم بهذا الدين العظيم؛ فما هو زويمر نفسه يعترف بذلك قائلاً:

"The fact is that often the more some think they know about Islam, the less they really know" (2).

فكيف لرجل يريد أن يحكم على الإسلام أن يكون هذا حاله؟

(١) موسوعة بيان الإسلام (١٥٣/١٩).مرجع سابق

(2) S. Zwemer, Cross above the crescent P. 29 – 30.

مما ينبغي أن يُعلم أن الإسلام يبغض الطلاق وينفِّر منه، ويحث على علاقة زوجية دائمة؛ فقد قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١) كما استهجن الإسلام الطلاق، ورسم السبل لحل الخلافات الزوجية دون اللجوء إليه ما أمكن ذلك، فقال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (٢) وقال صلى الله عليه وسلم "لا يفرك – أي لا يبغض – مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضى منها أخر" (٣).

غير أن الربَّ تبارك وتعالى، وهم يحتِّم أن يكون عقد الزواج غير مؤقت، يعلم أن تشريعه لأناس يعيشون على الأرض لهم خصائصهم وطباعهم البشرية، قد يتعثر عيشهم، ويحدث من الأسباب والدواعي ما يجعل الطلاق ضرورة لازمة، ووسيلة متعينة لتحقيق الخير، والاستقرار العائلي والاجتماعي لكلٍّ منهما، وإلا كان عدمه منفذًا لكثير من الشرور والآثام، وليستبدل كلٌّ منهما بزوجه زوجًا أخر، قد يجد معه ما افتقد مع الأول، فيتحقق قول الله تعالى: (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا)(٤)، وعلى هذا فالطلاق في الإسلام أشبه بالبتر الذي يلجأ إليه الجرَّاح مضطرًا ومكرهًا للاحتفاظ بسلامة الجسد كله.

ومما يبين حرص الإسلام على استمرار الحياة الزوجية أنَّه شرع أن تبقى المطلقة في بيت الزوجة مدة العدة (٥)، وذلك أن موجب النفرة قد يكون سببًا عارضًا، من ذنب وقع منها، أو إساءة، وإذا طال العهد غفر الذنب، ونُسيت

(١) الروم: من الآية ٢١.

(٢) النساء: من الآية ١٩.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٦٩) كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) النساء: الآية ١٣٠.

(٥) من أنفس الكتب التي وُضعت لبيان الحكم الإلهية الباهرة في تشريع الطلاق بأحكامه المختلفة في الإسلام كتاب "الحكم المشروع في الطلاق المجموع" للشيخ عبد الرحمن المعلمي – رحمه الله – وهو مطبوع ضمن مجموع مؤلفاته (٥٨٥/١٧) ط. عالم الفوائد.

الإساءة، فلربما راجعها وردَّها إلى حظيرة الزوجية مرة أخرى إذا كـان الطـلاق الأول أو الثاني، وضيَّق الشرع ذلك جدًا فحدَّ للطلاق حدودًا تمنعه أو تقلله، فلم يجعل للرجل أن يطلق وهي حائض، ولا في طهر قد قاربها فيه، والسر في ذلك – والله أعلم – أن الرجل إذا بعُد عهده بالمرأة قوى ميله إليها بخلاف لو طلقها حائضًا فقد يكون قاربها قبل الحيض فعهده بها قريب، وقرب العهد يضعف الميل، وكذلك إذا كان ذلك في طهر جامعها فيه، فإذا طلَّق بعد ذلك كان عليه أن لا يقطع النفقة والسكنى حتى يبقى باب الصلح مفتوحًا مُيسرًا، وجوَّز الشرع بقاء المطلقة رجعيًا مع الزوج في دار واحدة تذكيرًا له ليفكر في الأمر مرات عديدة قبل أن يبلغ الكتاب أجله، وتنتهي أشهر العدة التي أُمرت أن تتربصها استبراءً للرحم، ورعاية لحق الزوج وحرمة الزوجية، والقلوب تتغير، والغاضب قد يرضي، والكاره قد يحب، وفي ذلك يقول تعالى: (**يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا**) (١).

فإذا تأزمت العلاقة الزوجية، نصح الزوجان بالصبر والمعاشرة بالمعروف كما قال تعالى: (**فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)**) (٢).

فإن لم تفلح كلُّ هذه التدابير فلا مفرَّ من الطلاق بشروط ترجع إلى المطلق نفسه وكذلك المطلقة، وكلُّ هذا من أجل تقييد هذا الباب والحرص على استقرار الحياة الزوجية وعدم انتقاض ميثاقها لأدنى سبب.

---

(١) الطلاق: الآية ١.

(٢) النساء: الآيتان ٣٤ – ٣٥، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوي المبطلين (٢٨٨)، مرجع سابق.

فقد اشترط الشرع الحنيف في المطلِّق أن يكون عاقلاً، فلا يصح طلاق المجنون أو المعتوه أو القائم أو السكران على الصحيح من أقوال أهل العلم، وكذلك اشترط فيه أن يكون مختارًا قاصدًا للفظ الطلاق، فلا يقع طلاق المخطئ أو المكره، قال النبي – صلى الله عليه وسلم: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم عن يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل" (١).

وقال – صلى الله عليه وسلم –: "لا طلاق ولا عتاق في إغلاق" (٢) والإغلاق هو أن يُغلق على الرجل قلبه فلا يقصد الكلام أولا يعلم به كأنه أنغلق عليه قصده وإرادته ويدخل في ذلك طلاق المكره والمجنون ومن زال عقله بسكر أو غضب، وكل من لا قصد له ولا معرفة بما قال كما قال ابن القيم – رحمه الله – في زاد المعاد (٥/٢١٥)

ويقول الأستاذ الدكتور. محمد بلتاجي – رحمه الله: "وأيضًا فإننا نختار من مجموع ما قيل في الغضبان، أنه لا يقع طلاقه إذا وصل به الغضب إلى حالٍ من الهذيان لا يدري فيها ما يقول أو يفعل، ونرى أن هذا يكون في حالٍ تقاس على الجنون أو فقدان العقل بنحو ما، ونري أن هذا تأويل ما روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "... ثم ذكر الحديث" أ.ه (٣).

وإذا أراد الرجل إيقاع الطلاق بالشروط السابقة فقد بين له الشرع أنَّه لا يجوز له أن يوقعه ثلاثًا دفعة واحدة فقال تعالى: **(الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ)** (٤)

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الحدود، باب المجنون يسرق أو يصيب حدًا (٤٤٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤٤٠٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٣٤٨٢).

(٣) د. محمد بلتاجي، في أحكام الأسرة، ص ٥١١. ط. دار التقوى.

(٤) البقرة: من الآية ٢٢٩. وانظر "الحكم المشروع في الطلاق المجموع" (٥٩٢).

قال قتادة: "جعل الله الطلاق ثلاثًا، فإذا طلقها واحدة فهو أحق بها ما لم تنقض عدتها، وعدتها ثلاث حيض، فإذا انقضت العدة قبل أن يكون راجعها فقد بانت منه بواحدة، وصارت أحق بنفسها، وصار خاطبًا من الخطاب، فكان الرجل إذا أراد طلاق أهله نظر حيضتها، حتى إذا طهرت طلقها تطليقة في قُبل عدتها عند شاهدي عدل، فإن بدا له مراجعتها راجعها ما كانت في عدتها، وإن تركها حتى تنقضي عدتها فقد بانت منه بواحدة..." الأثر (١)، ولذلك لمَّا طلَّق رجلٌ امرأته ثلاثًا بكلمة واحدة غضب النبي – صلى الله عليه وسلم – جدًا وقال: "أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم" (٢).

أما ما يتعلق بالمطلقة فإنه ثمة أحوالٌ كثيرة يكون فيها الطلاق بدعّيًا، وهو حرام يأثم صاحبه مع اتفاق جمهور الفقهاء على وقوعه، وقد تم بيان هذه الأحوال كما سبق، وحاصل ذلك أن الشريعة تريد بهذا التحريم تنحية العوامل الطارئة العرضية التي قد تدعو إلى إيقاع الطلاق فيها بحيث تبقى الظروف الأصلية الداعية على وجه العموم إلى استبقاء علاقة الزوجية مما يقلل ظروف إيقاع الطلاق فتلك شريعة الرب – تبارك وتعالى – في كلِّ ما أمرت به أو نهت عنه، أو أذنت به، أو دعت إليه اعتقادًا وعملاً، جاءت لتضبط سيرة الحياة بالهدى ودين الحق، فهي شريعة جامعة لا تعارض بينها وبين العقل ومصالح الإنسان لأن خالق هؤلاء هو هو من أنزل ما يصلح شئونهم" (**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**)(٣)، ولكنَّ الأمر كما قال أبو الطيب (٤):

وكم من عائب قولاً صحيحًا وآفته من الفهم السقيم
ولكنْ تأخذ الآذانُ منه على قدر القرائح والعلومِ

---

(١) أخرجه الطبري في تفسير (٥٨٥/٤) ط. ابن الجوزي المصرية.

(٢) رواه النسائي من حديث محمود بن لبيد، وضعفه الألباني في تعليقه على السنن، وصححه الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (١١٧/١) وردَّ على الإرسال والانقطاع بكلام متين فلترجع إليه.

(٣) الملك: الآية ١٤.

(٤) أبو العلاء المعري، شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد) (٤٥٧/٢) ط. الهيئة المصرية للكتاب.

المبحث الثاني

أطفال المسلمين: عقيدتهم وأخلاقهم

لم يكن غريبًا في حق زويمر أن يكتب كذلك عن أطفال المسلمين؛ وذلك لأنه أخذ على نفسه ألا يترك شيئًا مما له صلة بالإسلام والمسلمين إلا ويكتب فيه، وكذلك لطول ملابسته لأحوال من عاش بينهم من المسلمين فترة ليست بالقصيرة من الزمن فكتب "Childhood in the Moslem World" فيما يزيد على ثلاثمائة صفحة، وكتب "Our Moslem sisters" في عدد مماثل من الصفحات كذلك تناول في جزء منه طفولة البنت في بلاد الإسلام، ومما هو جدير بالذكر أن طريقة زويمر في نقاش مثل هذه الأمور تكاد تكون واحدة؟ ففي كتابه سابق الذكر "Childhood….." ناقش ما يتعلق بالطفل المسلم من جهة:

- ما يتعلق ببيئته التي يولد فيها (١).
- عقليته وكيف يتم تكوينها (٢).
- التنشئة الأخلاقية فيه له (٣).
- ما يغرس فيه مما يتعلق بالدين الإسلامي (٤).

وهي نفس الطريقة التي درج عليها في كتابه "Our Moslem Sisters"، خاصة فيما يتعلق بالبيئات المختلفة في شتى بلاد الإسلام فتراه تكثر نقولاته عما شاهده أو نُقل عن غيره من المستشرقين.

يقول زويمر في بيان ما يتعلق ببيئة الطفل المسلم:

"With illiteracy and ignorance goes their twin sister. The Moslem child everywhere and in all circumstances is born into a world of superstition. A world of spiritual beings, angels, jinn, demons, and evils" (5).

"مع الأمية والجهل، تصاحبهم كذلك أختهم التوأم، يُولد الطفل المسلم في كل مكان، وفي كل الأحوال في عالم الخرافة، عالم الكائنات الروحانية، والملائكة، والجن، والشياطين، والشرور".

---

(1) S. Zwemer, Childhood in the Moslem World. P. 41.
(2) S. Zwemer, Childhood in the Moslem World. P. 115.
(3) S. Zwemer, Childhood in the Moslem World. P. 159
(4) S. Zwemer, Childhood in the Moslem World. P. 199.
(5) S. Zwemer, Childhood in the Moslem World. P. 120.

ثم يضرب لنا مثالاً ليدلل على ذلك فيقول:

"Most of the diseases of childhood, however are supposed to be caused by demons or the evil eye. Mothers live in perpetual terror on account of this superstition.

From Algiers we learn that when a child is born the people believe a little demon is brought into the world at the same time, whose birth takes place in the cupboard or the wall. If the child is prettier than the demon, the latter gets jealous. The women then goes round the court, and standing still in one corner, converses with the demon, beseeching it to leave her little in peace" (1).

"من المفترض أن معظم أمراض الطفولة سببها الشياطين أو العين الشريرة (الحسد)، وبالتالي تعيش الأمهات في رعب دائم بسبب هذه الخرافة، ونحن نعلم أنه عند ولادة طفل في الجزائر، يعتقد الناس خروج شيطان صغير لهذا العالم في نفس الوقت تتم ولادته في دولاب المنزل أو حائطه، وإذا كان الطفل أجمل من الشيطان، أصابت الغيرة الأخير، وبالتالي تدور أم الطفل في الشقة وتقف في ركن (زاوية) مخاطبةً الشيطان، تتوسل إليه أن يترك صغيرها في سلام (أمان)".

وأما ما ذكره عن عقلية الطفل المسلم وكيف يتم تكوينها فقد قال:

"The Moslem idea of the innocence of childhood is expressed by them when they say that the mind of children is like a clean tablet" (2).

"يعبر المسلمون عن فكرة البراءة في مرحلة الطفولة بقولهم: إن عقل الطفل مثل اللوح (الصحيفة) النظيفة".

(1) S. Zwemer, Childhood in the Moslem World. P. 105 – 106.
(2) S. Zwemer, Childhood in the Moslem world, P. 115.

وبناء على هذا الكلام يتم تشكيل هذه العقلية المسلمة بطريقة ذكر نموذجًا منها عن الإمام الغزالي – رحمه الله – من كتابه "إحياء علوم الدين"، وهي جديرة بالقراءة للوقوف على الطريقة السامية التي ينبغي أن يُربي بها الطفل، إلا أنَّ زويمر استغل ذكر الغزالي للصبيان دون الإناث فقال:

"Nothing is said in regard to girls. It is generally considered inadvisable by all old Moslem authors to teach girls how to read and write" (1).

"فلم يذكر شيئًا بالنسبة للبنات، ومن المسلَّم به عمومًا عند متقدمي المؤلفين المسلمين أنهم لا يحبذون تعليم البنات القراءة والكتابة".

بل إن زويمر ينسب ذلك للإسلام فيقول:

"The prophet's saying is frequently quoted in regard to girls, "Don't let them frequent the roofs, don't teach them the art of writing, teach them spinning and the chapter of the Koran called En Nur".

"إنهم يذكرون حديث الرسول المتعلق بالبنات كثيرًا، والذي يقول: "لا تعلمونهن الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف علموهن المغزل، وعلموهن سورة النور"(٢).

(1) Ibid, P. 115.

(٢) حديث موضوع لا يصح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – في إسناده محمد بن إبراهيم، قال الدارقطني: كذاب، وقال الألباني رحمه الله –بعد ذكر حديث آخر في الحث على تعليم البنات: "وفي الحديث فوائد كثيرة أهمها أثنان: ثم قال: والأخرى مشروعية تعليم المرأة الكتابة، ومن أبواب البخاري في "الأدب المفرد" (رقم ١١١٨): "باب الكتابة إلى النساء وجوابهن". ثم روى بسنده الصحيح عن موسى بن عبد الله قال: "حدثنا عائشة بنت طلحة قالت: قلت لعائشة – وأنا في حجرها، وكان الناس يأتونها من كل مصر، فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها، وكان الشباب يتأخوني فيهدون إلى، ويكتبون إلى من الأمصار، فأقول لعائشة – يا خالة هذا كتاب فلان وهديته. فتقول لي عائشة أي بنية! فأجيبيه وأثيبيه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك، قالت: فتعطيني".
قلت: وموسى هذا هو ابن عبدالله بن إسحاق بن طلحة القرشي، روى عن جماعة من التابعين، وعنه ثقتان، ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (١٥٠/١/٤) ومن قبله البخاري في "التاريخ الكبير" (٢٨٧/٤) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً، وقد ذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال =

والحديث مكذوب على النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولكنَّ زويمر بنى عليه نتيجة مفادها:

"The illiteracy of childhood is undoubtedly due in a large measure to the utter illiteracy of Mohammedan womanhood in

---

الحافظ في التقريب: "مقبول"، يعني عند المتابعة، وإلا فهو لين الحديث. وقال المجد ابن تيمية في "منتقى الأخبار" عقب الحديث: "وهو دليل على جواز تعلم النساء الكتابة" وتبعه على ذلك الشيخ عبد الرحمن بن محمود البعلبكي الحنبلي في "المطلع" (ق ١٠٧/١)، ثم الشوكاني في "شرحه" (١٧٧/٧)، وقال: "وأما حديث" لا تعلموهن الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف، وعلموهن سورة النور، "فالنهي عن تعليم الكتابة في هذا الحديث محمول على من يخشى من تعليمها الفساد".

قلت: وهذا الكلام مردود من وجهين:

الأول: أن الجمع الذي ذكره يشعر أن حديث النهي صحيح، وإلا لما تكلف التوفيق بينه وبين هذا الحديث الصحيح، وليس كذلك، فإن حديث النهي موضوع كما قال الذهبي. وطرقه كلها واهية جدًا، وبيان ذلك في "سلسلة الأحاديث الضعيفة" رقم (٢٠١٧) فإذا كان كذلك فلا حاجة للجمع المذكور، ونحو صنيع الشوكاني فليس ذلك بالذي يخرجها عن كونها نعمة من نعمه، كنعمة البصر والسمع والكلام وغيرها، فكذلك الكتابة والقراءة، فلا ينبغي للآباء أن يحرموا بناتهم من تعلمها شريطة العناية بتربيتهن على الأخلاق الإسلامية، كما هو الواجب عليهم بالنسبة لأولادهم الذكور أيضًا، فلا فرق في هذا بين الذكور والإناث. والأصل في ذلك أن كل ما يجب للذكور وجب للإناث، وما يجوز لهم جاز لهن ولا فرق، كما يشير إلى ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم –: "إنما النساء شقائق الرجال"، رواه الدرامي وغيره، فلا يجوز التفريق إلا بنص يدل عليه، وهو مفقود فيما نحن فيه، بل النص على خلافه، وعلى وفق الأصل، وهو هذا الحديث الصحيح، فتشبث به ولا ترض به بديلاً، ولا تصغ إلى من قال:

ما للنساء وللكتا....بة والعمالة والخطابة

هذا لنا ولهن منـ....ا أن يبتن على جنابة!

فإن فيه هضمًا لحق النساء وتحقيرًا لهن، وهن كما عرفت شقائق الرجال. نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإنصاف والاعتدال في الأمور كلها أ.ه.

قلت: وقد ألف كثير من أهل العلم رسائل في تعليم النساء ما بين مُجيز ومستجب، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ – عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان "للعظيم آبادي، طبع المكتب الإسلامي".

٢ – "الإصابة في استحباب تعليم النساء الكتابة" لمحمد بن حمد العساف طبعة: دار كنوز إشبيليا، الرياض.

Egypt, According to the last census, only three women out of athousand can read" (1).

"مما لا شك فيه أن أمية الأطفال ترجع – بشكل كبر – إلى الأمية الكاملة للمرأة المحمدية؛ ففي مصر – طبقًا لآخر إحصاء – تستطيع ثلاث نساء في الألف القراءة".

وإذا كان الأمر كذلك سَهُل أن تُملأ عقول الأطفال بالكثير من الخرافات التي جاء بها محمد، ولن يستطيع الوالدان دفع شرور الجن والشياطين التي امتلأ القرآن بالحديث عنها إلا بتعليق التعاويذ "amulets" من عملات قديمة أو أسنان الحيوانات المفترسة، أو بعض الآيات القرآنية لدفع ذلك الشر، بل يقول زويمر نقلاً عن

Mr. P. Party

"The Islamization of animistic amulets is one of the main processes by which the Moslem religion penetrates and spreads among tribes in that part of Africa" (2).

"تعتبر أسلمة التعاويذ الروحانية واحدة من الأمور الرئيسة التي يتسلل بها الدين الإسلامي وينتشر بين القبائل في هذا الجزء من أفريقيا".

لقد أراد زويمر أن يدلل على ذلك ليقنع قارئه بصحة ما يقول فأكثرَ نقلَ المشاهدِ التي رآها أو حكيت له مما تبين حالة الطفل المتدنية في شتى البقاع التي اتخذت الإسلام دينًا تنتظم به شئون حياتها.

وأما المصدر الذي يستقي منه الأطفال تلك الأخلاق والعقائد فيقول زويمر عن المصدر الأول:

"The Koran gives very little on the teaching and training of childhood. Its references surprise on by their meagre content and low estimate of the child" (3).

(1) S. Zwemer, Childhood in the Moslem World, P. 119.
(2) Ibid. 126.
(3) Ibid, P. 166.

"يعطينا القرآن قليلاً جدًا عن تعليم وتدريب الطفل، وبالتالي يندهش المرء من إشارته ذات المحتوى الضئيل، وتقديره المتدني للطفل".

أضف إلى ذلك أن هذه الإشارات لا تساعد على تربية الطفل أخلاقيًا بشكل صحيح لعدم تغطيتها كافة جوانب الحياة، مع ما يتخللها من كـــلام مســـتمر عـــن الجنس!!

"The incessant sounding of the sexual note in the Koran"(1).

"The Moslem child from its earliest years is brought up in an environment where lips and hearts and imaginations are impure; where the conversation and the literature are besmirched with that which a young boy or a young girl ought never to know. Sex education in Islam has gone mad" (2).

"يُربَّى الطفل المسلم منذ سنواته الأولى في بيئـــة تُـــدنَّس فيهـــا الشـــفاه والقلوب والخيال حيث تختلط الحوارات، والآداب بما لا ينبغي للطفل الصـــغير أو الفتاة الصغيرة أن يعرفاه، لقد أصاب الجنون تعليم الجنس في الإسلام".

وأما مصدر التلقي الثاني لتنشئة الطفل فهو سُنَّة النبي – صـــلى الله عليـــه وسلم، وأما نظرة المسلمين لهذا المصدر، ومكانته عندهم فيبينه زويمر بقوله:

"The stage of progress, or the degree of civilization, all Mohammedans everywhere believe that ideal virtue is to be found through imitation of Mohammed" (3).

"يعتقد كل المحمدين أينما كانوا أن حد التقدم ودرجة التحضـــر ومثاليـــة الفضائل تكمن في محاكاة محمد".

ولكن، هل ذكر زويمر ذلك على سبيل المدح والإقرار بالحق، أم غير ذلك؟

---

(1) S. Zwemer, Childhood in the Moslem world. P. 188.
(2) Ibid, P. 188.
(3) Ibid, P. 159.

يقول صموئيل زويمر – مبينًا رأيه بجلاء:

"The measure of the moral stature of Mohammed is the source and foundation of all moral ideals in Islam. His conduct is the standard of character. We need not be surprised, therefore, that the ethical standard is so low".

"**يعتبر معيار المكانة الأخلاقية لمحمد هو مصدر وأساس كل المُثُل الأخلاقية في الإسلام، فسلوكه هو معيار الشخصية؛ ولذلك فإننا لا نعجب من التدني الشديد في المستوى الأخلاقي**".

وقبل أن يبادره القارئ بالسؤال عن الأخلاقيات التي اتصف بها محمد – صلى الله عليه وسلم – ليكون على بينة من أمره في هذا الحكم الذي ارتضاه زويمر له ولقرائه قبل أن يبادره بذلك، قطع عليه زويمر ذلك بقوله:

'It is not necessary to enter into the details of Mohammed's life and character. These are sufficiently revealed not only in the standard biographies by western scholars, but in the earliest sources of Islam itself, the Koran and tradition" (1).

"**ليس من الضروري الدخول في تفاصيل حياة محمد وشخصيته، فهذه الأمور تم الكشف عنها بشكل كافٍ في التراجم القيمة التي أعدها الباحثون الغربيون، وكذلك في المصادر الأولى للإسلام نفسه، أعني: القرآن والحديث**".

ومما لا شك فيه أن كثيرًا من قراء صموئيل زويمر لن يطالعوا ما جاء في القرآن والسنة بخصوص ذلك، فنقل إليهم زويمر ما وصلت إليه دراسات الغرب من أمثال سبرنجر Sprenger، وويل Weil، وموير Muir، وكويل Koelle وآخرين، فهؤلاء – **كما يقول زويمر**.

"have given us a more correct idea of Mohammed's life and character" (2).

"**أعطونا فكرة أكثر صحة – أي ممن اعترف بنبوته – عن حياة محمد وشخصيته**".

(1) S. Zwemer, Ibid, P. 162.
(2) S. Zwemer, Islam: A challenge to faith P. 41.

وهذه الفكرة لخصها زويمر في نقاط خلاصتها أن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – كان مؤمنًا بوحيه المدعي so-called revelations عاملاً بـــه، ولكنـــه أستغل نجاحه وشرف النبوة لأغراض شخصية فخدع الناس خاصـــة بعـــد مـــوت خديجة وظهرت شخصيته الكامنة من الاستجابة لغرائزه وتبريـــره زواجـــه مـــن صفية، وكذلك زينب بنت جحش زوجة زيد بن حارثة وغير ذلك كثير مما ذكـــره زويمر ويعف القلم عن ترجمته (١) ولم يكن محمد يحسن شيئًا غير معاشرة النساء وسفك الدماء، وكل هذا باسم الوحي المنزل عليه، إذا كان هذا حال من يقتدي بـــه المسلمون في حياتهم وتنشئة أولادهم، فلا غرابة إن وجدنا بعد ذلك هذا المســـتوى المتدني من الأخلاق بين المسلمين بشكل عام، مما سيؤثر – قطعًـــا علـــى تنشـــئة الأولاد، ولذلك **قال زويمر**

"A stream cannot rise higher than its source" (2).

وأما ما يتعلق بتعليم الطفل، فلا يعدو ترديد عقيدة التوحيد وحفظها ممـــا لا يساعد على التنشئة الأخلاقية له، فالتعليم الإسلامي الديني – كما ينقل زويمر عـــن "Professor Mc Naughton of Smyna" لا يخرج لنا شخصـــية أخلاقيـــة، وليس هذا في نيتهم – هكذا زعم –، فلا يتجاوز التعليم الديني حـــد العـــادة التـــي ينبغي ألا تهمل.

بينما يقول مستر بردن "Mr. Purdon of Tunis"

"The Moslem system stupefies rather than activates the brain" (3).

"**يعمل النظام الإسلامي على إغباء العقل لا إذكائه**".

إن المدرسة الوحيدة التي عرفها الإسلام، هي المدرسة التي تـــدرس كتابًـــا واحدًا هو القرآن، فالطالب الذكي في جميع أنحاء العالم الإسلامي هو من يستطيع الإجابة إذا سُئل عن إسلامه بقوله "إنه يؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله والبعـــث

(1) Ibid. 42 – 44.
(2) Ibid P. 52.
(3) S. Zwemer. Ibid P. 200.

بعد الموت بالقدر خيره وشره وأنه يجب عليه إذا بلغ أن يصلي ويزكي ويصوم رمضان ويحج إن استطاع" إن الربَّ الذي يتعلم الطفل الإيمان به ربٌّ قوي متسلط منتقم خلق النار ليملأها بكل كافر به، إن الرب الذي صور القرآن ليس ربًا للأطفال، فليس الإسلام دينًا للمرأة أو الطفل [(١)].

نستطيع مما سبق أن نخرج بصورة واضحة المعالم لأخلاق المسلمين بشكل عام، وأطفالهم بشكل خاص في كتابات زويمر.

- فبيئتهم التي ينشئون فيها مليئة بالأمية والجهل والخرافة.
- وهمهم الأكبر موجه للذكور دون الإناث، وإذا كان الأمر كذلك فعلى أي أساس تستطيع الأم تربية ولدها؟!
- اعتمادهم في النهوض بالجانب الأخلاقي على القرآن وسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يكفي، بل إن تمسكهم بتقليد نبيهم عامل أساس في تدهور هذا الجانب.
- نظام التعليم الإسلامي يعمل على إصابة العقول بالجمود، وعدم استقلال الشخصية لما يُغرس في النشء من مراقبة رب متسلط قاهر.

وإذا سلمنا أنَّ بعضَ ما قاله زويمر صحيح وواقع فمما ينبغي أن يعلم أنه:

إذا نظرنا في تاريخ الإسلام منذ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن وجدنا صورًا متفاوتة لا يمكن أن تكون هي الأساس لتحديد حقوق الطفل في الإسلام فأين يكمن هذا الأساس؟

ينبغي أن نعلم أن الإسلام نظرية وتطبيق؛ علم وعمل، وإذا كان التطبيق لا يعطي الصورة الواضحة عن حق الطفل في الإسلام، وجب علينا أن نعود إلى النظرية، والتي هي مصادر التشريع الإسلامي، مع عدم إغفال التطبيقات في فترات شهد لها القاصي والداني كزمن النبوة والخلاقة الراشدة.

لقد حفل القرآن والسنة اللذان هما قوام الإسلام بالنصوص المبينة لحقوق الطفل لا كما يزعم زويمر فيما سبق ذكره، فليس حقًا واحدًا بل حقوق كثيرة.

(1) Ibid, P. 202.

فدين الإسلام يحترم حق الحياة بشكل عام على أساس أنَّ ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (١)، ومن هنا كان التشديد على عدم قتل الأولاد بسبب الفقر، كما كان يحصل في الجاهلية حيث كان الرجل يدفن ابنته وأحيانًا ابنه خشية العار لاحتمال سبيها، أو خشية الفقر، فقال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (٢)، وقال: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)﴾ (٣).

بل قد بلغ حفاظ الإسلام على حق الطفل في الحياة أن يمتنع الحاكم عن إعدام الأم الحامل في أي ظرف من الظروف، بل امتناعه كذلك عن إعدامها بعد الوضع خوفًا على ولدها من الموت بسبب عدم الرعاية، فقد جاءت امرأة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – تعترف على نفسها بالزنا وأنها حبُلى، فأمرها النبي – صلى الله عليه وسلم – أن ترجع حتى تضع حملها، فجاءت بعد الوضع ومعها طفلها في خرقة، فأمرها مرة ثانية بالرجوع حتى ترضعه (٤)، وبين القرآن ما يتم به تأمين حق الطفل في الرضاعة "حولين كاملين".

وكذلك نجد فقهاء المسلمين جعلوا فيما ألَّفوه من كتب الفقه بابًا أسموه بـ "باب الحضانة" يعنون به: تربية الطفل ورعايته والقيام بجميع أموره في سنٍّ معين، ممن له الحق في الحضانة، ولا شك أن هذا من محاسن هذه الشريعة وكمالها وعنايتها برعاية الضعفاء والمحتاجين، فعند أحمد في مسنده وأبي داود في سننه أن امرأة قالت: "يا رسول الله، إن ابني كان بطني له وعاءً، وثديي له سقاءً، وحجري له حواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينزعه مني، فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "أنت أحق به، ما لم تنكحي"(٥).

---

(١) المائدة: من الآية ٣٢.

(٢) الأنعام: من الآية ١٥١.

(٣) التكوير: الآيات ٨ – ٩.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٣٢٠٨) من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه، باب "من اعترف على نفسه بالزنى".

(٥) صححه الحاكم في المستدرك، وابن القيم في زاد المعاد (٤٣٤/٥).

ففي هذا الحديث دليل على ثبوت الحضانة ومشروعيتها لحاجة المحضون إلى من يقوم بتربيته، فإذا بلغ الطفل سنَّ التمييز واستقلَّ ببعض شئونه فإنَّه يخير بين أبويه بشروط ذكرها الفقهاء مستنبطة من الكتاب والسنة، فإن فقد الطفل والديه، فالخالة بمنزلة الأم (١)، تقوم على رعايته، وإن حدث شقاق وفرقة بين الوالدين فقد ألزم الله في كتابه الزوج بالنفقة والرعاية **﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾** (٢).

فإذا عدم الطفل كلَّ قريب يقوم على رعايته، فقد حث النبي – صلى الله عليه وسلم – على كفالة اليتيم وجعل له منزلة عظيمة في الآخرة بقوله "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين"، فإذا عُدم الكَافل كانت نفقة الطفل على بيت المال، فقد كان عمر يفرض لكل مولود عطاءً يُزاد إلى عطاء أبيه، وكلما كبر الولد زاد العطاء، وقد جرى على ذلك الخلفاء.

لم يكن ما مضى مختصًا بالذكور دون الإناث كما سعى زويمر جاهدًا في إثباته، وأجلب على ذلك بخيله وركبه.

فقد جعل الإسلام للبنت حق التعليم والتربية الصالحة من قبل من يقوم على رعايتها، فقال – صلى الله عليه وسلم – "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (٣) والنساء في ذلك شقائق الرجال كما هو معلوم في خطاب الشرع، بل جعل الإسلام تعليم البنت – ولو كانت أمة – وتأديبها مما يؤجر عليه الرجل كثيرًا، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا "ثلاثة لهم أجران؛ رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد – صلى الله عليه وسلم – والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٩٩)، كتاب الصلح.

(٢) الطلاق: الآية ٦.

(٣) رواه ابن ماجه والبيهقي في الشعب وغيرهما وهو حديث حسن.

وعلمها فأحسن تعليمها فتزوجها فله أجران" [١]، وإنما ندب النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى زواجها لتكون عوناً لزوجها على إقامة أمور دينه ودنياه وحسن تربية الأولاد تربية صالحة.

وكان النساء في صدر الإسلام يذهبن إلى المساجد، ويحضرن العلم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والنبي حريص أشد الحرص على إسماعهم العلم والموعظة، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس حديث وعظ النبي للنساء يوم العيد [٢]، بل لمَّا كان بعض النساء يمنعهن الحياء من السؤال في حضرة الرجال رغبن في أن يجعل لهن يومًا على حدة لتعليمهن فأجابهن إلى ذلك كما عند البخاري أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري [٣]، وكان بعض أمهات المؤمنين على درجة عالية من العلم والفقه كعائشة وحفصة وأم سلمة – رضي الله عنهن – وكذلك نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" [٤].

لقد حفل تاريخ الإسلام بكثير من النساء العالمات اللاتي حذقن – إلى جانب ما يتصل بشئون بيوتهن – علم القرآن والسنة واللغة العربية، ويكفي أن نعلم أن كبار أئمة الحديث أخذوا بعض المرويات عن بعض المحدثات من النساء مثل السيدة كريمة بنت أحمد المروزية راوية صحيح البخاري، وكذلك ست الوزارات وزيرة بنت محمد بن أسعد التنوخية وغيرهما [٥].

في هذا الوقت الذي بلغت فيه المرأة المسلمة هذا المبلغ من العلم، ولا نشك أن بداية تعليمها كان منذ صغرها، كانت المرأة في أوروبا ترسف في قيود الجهل والخرافات والأوهام [٦]، فهل يقال: إن حال المرأة في عصور أوربا المظلمة، بل حال أوربا كلها يرجع إلى تعاليم المسيح الصحيحة، وهل لنا أن نحتج على زويمر

---

(١) باب تعليم الرجل أمته وأهله، حديث (٩٥) كتاب العلم.

(٢) باب عظة الإمام النساء وتعليمهن، حديث (٩٦) كتاب العلم.

(٣) باب "هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم (٩٩) كتاب العلم.

(٤) ذكره البخاري تعليقًا، وتحته حديث (١٢٧)، كتاب العلم.

(٥) د. محمد أبو شهبة، الإسلام وقضايا العصر (٢١٠)، ط، مكتبة السنة.

(٦) راجع ما نقلناه عن أستاذنا الدكتور الجليند ص١٨٣

بذلك على فساد المسيحية وبُعدها عن كل سبل الرقي والتقدم، أو أن نحكم على دين من خلال سلوك معتنقيه؟! لو أردنا ذلك لفعلنا ولكانت معنا البراهين الواضحة ولكن ديننا يأبى علينا ذلك إذ يقول الله تعالى **(كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)** (١).

وأما ما ذكره زويمر ونسبه للإسلام مما يتعلق بالخرافات وتعليق التمائم بل وأسلمتها؛ فهذا من الكذب المبين على خير دين عرفته البشرية جمعاء، فما أرسل الله محمدًا – صلى الله عليه وسلم – إلا لمحاربة مثل هذه الأمور، يقول الله – تبارك وتعالى – **(قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ)** (٢) ففي هذه الآية تشنيع على المشركين الذين يعبدون آلهة من دون الله وتسخيف لعقولهم المريضة لأنهم يعتقدون في أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ولا تملك نفعًا ولا ضرًا (٣).

وأما السنة النبوية فقد زخرت بالأحاديث التي تحارب هذه الخرافات ويكفي أن تراجع أبواب التوحيد من دواوين السنة لتقف على حرص الإسلام على تحرير العقول من مثل هذه الخرافات، وهاك بعضها على سبيل المثال لا الحصر:

- سنن أبي داود (باب ما جاء في تعليق التمائم).
- سنن ابن ماجه (باب في تعليق التمائم).
- صحيح ابن حبان (باب – ذكر الزجر عن تعليق التمائم التي فيها الشرك بالله جل وعلا".
- سنن الترمذي (باب ما جاء في كراهية التعليق).
- سنن النسائي (باب: الحكم في السحرة).

(١) المائدة: من الآية ٨.

(٢) الزمر: الآية ٣٨.

(٣) تفسير السعدي (٣٣٨/٢) ط. دار الاستقامة.

- شرح السنة للبغوي (باب الرقية وما يكره منها وتعليق التمائم).

فكيف يقال بأن نشر الدين الإسلامي قام على الخرافات من الاعتقاد في الجن والشياطين، والله تعالى أنكر على من فعل ذلك وأنزل سورة كاملة في بيان من ينفع ويضر، ومما جاء فيها **(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)**(١) فقد كانوا في الجاهلية إذا نزلوا بالوادي قالوا: نعوذ بسيّد هذا الوادي من شر ما فيه فتزداد الجن عليهم جرأة ويزادون هم إثمًا (٢).

وقال تعالى عن الملائكة في سورة أخرى **(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١))** (٣)، فهذه مكانة هذه المخلوقات بيَّنها الله في كتابه تتبرأ من عابديها، وتبين أن من صرف شيئًا من خالص حق الله لهم فلن ينال إلا الرهق من الدنيا والآخرة.

وأما مجرد ذكر الشياطين والجن والملائكة في القرآن والسنة، فهذا لا يعني قيام الدين الإسلامي على ما حاول زويمر تصويره، ولو كان الأمر كذلك فالإنجيل أولى من القرآن بذلك لسبقه الزماني.

"ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من إبليس، فبعد ما صام ...." ثم ذكر إبليس كثيرًا، وفي أخر القصة التي عُنْوِن لها في الكتاب المقدسة "يسوع يواجه التجربة" قال "وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه" (٤).

"ولمَّا صار المساء قدَّموا إليه مجانين كثيرين، فأخرج الأرواح بكلمة وجميع المرضى شفاهم" (٥).

وأما قول زويمر:

---

(١) الجن: الآية ٦.

(٢) تفسير الطبري (٣٧٨/٢٦) ط. ابن الجوزي المصرية.

(٣) سبأ: الآيات ٤٠ – ٤١.

(٤) متى (٣/٤)، وراجع كذلك متى (/١٠، (٣١/٨، ٣٣)، (٨/١٠)، (٣٩/١٣).

(٥) مرقص (٣٤/١)، وكذلك (٢٤/١ – ٢٨)، لوقا (٣٤/١ – ٤٥)، لوقا (١٩/١٦).

"It isn't necessary to enter into the details of Mohamed's life and character".

فإننا نقول عكس ذلك: إنه لمن المهم لمن أراد الوقوف على حقيقة الأمر – خاصة بعد افتراءات زويمر – أن يطالع سيرة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – ليقف على جميل خصاله التي شهد بها أعداؤه قبل أوليائه ، حتى في تعامله مع الأطفال.

لقد أعطانا القرآن خطوطًا عريضة وكليات عامة في هذا المبحث محل الدراسة وقول زويمر "إن القرآن لم يهتم بهذا الجانب" من ضيق عطنه وقلة فهمه؛ فآية واحدة كقول الله تعالى **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)** (١) بينها النبي – صلى الله عليه وسلم – خير بيان، فحضنا على استشعار المسئولية تجاه أهلينا فقال – صلى الله عليه وسلم – "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راعٍ في بيته، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها" (٢)، وكان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالأولاد، وهديه خير الهدى وأكمله فعن أبي قتادة رضى الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يصلي وهو حامل إمامة بنت زينب بنت رسول الله، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها (٣)، بل إنه – صلى الله عليه وسلم – كان يقول "إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فاسمع بكاء الصبي فأتجوَّز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه" (٤)

---

(١) التحريم: الآية ٦.

(٢) رواه البخاري (٨٤٤) من حديث ابن عرم رضي الله عنهما، باب (قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا).

(٣) رواه البخاري ومسلم (٤٨٦) من حديث أبي قتادة – رضي الله عنه –، ومسلم "٨٤٤"، باب "جواز حمل الصبيان في الصلاة".

(٤) رواه البخاري (٦٦٨) من حديث أنس – رضي الله عنه – باب "من أخفَّ الصلاة عند بكاء الصبي".

بل كان صلى الله عليه وسلم – كما تحكي عائشة – رضي الله عنها– إذا دخلت عليه فاطمة ابنته قام إليها، فأخذ بيدها وقبلَّها وأجلسها في مجلسه" (١).

وأما تربيته العملية للأطفال فما أعظمها من تربية، يوجههم إلى ما فيه صلاحهم ويراقب تصرفاتهم وسلوكهم ليصلحها لهم، فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: كنت خلف النبي – صلى الله عليه وسلم – يومًا فقال: "يا غلام: إني أعلمك كلمات! أحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. (٢) " الحديث ، وعن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلامًا في في حجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "يا غلام سَمِّ الله وكُلْ بيمينك وكل مما يليك"(٣)، وكان يحث على تعليمهم الصلاة، وتأديبهما وبذل الجهد في صلاحهما، وينهى عن الدعاء عليهما، وعدم العدل بينهما وذلك لأنه طريق العداوة والخصومة، ولذلك قال "اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم..." (٤)، وكان يحضُّ على حسن تربية البنات خاصة ويقول "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو" (٥) وضمَّ أصابعه، وفي حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال: "من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة البتة" فقال رجل من القوم "واثنتين يا رسول الله؟ "قال" واثنتين" (٦).

فهذه حال النبي – صلى الله عليه وسلم – فكيف يقال إن سبب تدني الأخلاق عند المسلمين بما فيهم أطفالهم ترجع لتقليدهم قدوتهم محمدًا – صلى الله عليه وسلم – فإن كان ذلك عيبًا يذمون به فأكرم به من عيب!

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤٣٤٧). من حديث عائشة – رضي الله عنها –.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٤٠) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه البخاري (٤٩٥٧)، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين.

(٤) رواه أبو داود (٣٠٧٧) من حديث النعمان بن بشير، باب "في رجل يَفضل بعض ولده في النِحل".

(٥) رواه مسلم (٤٧٦٥) من حديث أنس بن مالك، باب "فضل الإحسان إلى البنات".

(٦) رواه أحمد في المسند (١٣٧٢٩)، والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني في الصحيحة الصحيحة (٢٤/٣) حديث ١٠٢٧.

وعيرَّهــا الواشــون أنــي أحبهــا وتلك شكاة ظاهر عنــك عارهــا [(١)]

وأخيرًا بلغ السيلُ الزُّبي بقول زويمر: إن القرآن حـديث متواصـل عـن الجنس وكذلك قوله: إن النظام الإسلامي يصيب العقول بـالجمود، فأمـا الفريـة الأولى فحكايتها تكفي لردها أو يقال: لعل زويمر أراد سفر نشيد الأنشـاد ولكنـه نسي فذكر ذلك عن القرآن!، وأما الأخيرة، فلعلَّ زويمر جهل ما كانت عليه أوربا في العصور الوسطى – ولا أحسبه كذلك – حيث كانت تتخبط في ظلمات الجهـل والتخلف وتغط في سبات عميق في ظل الإقطاع والطبقية والسـيطرة الكهنوتيـة وكانت محاكم التفتيش في إسبانيا وإيطاليا لا تتردد في إسكات صـوت العلمـاء، وتكميم أصحاب الآراء. في هذا المناخ المضطرب ظهر الإسلام ببعثـة محمـد – صلى الله عليه وسلم – (٥٧٠ – ٦٣٣م) وصار للمسلمين دولـة بالمدنيـة بعـد الهجرة تقوم على أسس لم تعرفها أوربا من التوحيد والعدل والمساواة، ولم تعرف أوربا عن الإسلام إلا القشور، ولم يشأ زويمر ومن على شاكلته أن يعرف الغرب عن الإسلام إلا أنه الدين الذي يسمح بالزواج من أربع، وينكر ألوهيـة المسـيح، ويدعو إلى نشر عقيدته بالسيف، بما في ذلك من بهتان وزيف.

لقد كان للإسلام والمسلمين فضل على سائر الشعوب والأمم عربًا وفرسًـا وأتراكًا وغيرهم في شتى المجالات النظرية والعملية وسائر علوم الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والجغرافيا، وذلك مما لا ينكره منصف، ومن أراد معرفة ذلك فليرجع إلى ما صُنف بعبارات دقيقة وأرقام صادقة في فضل علماء المسلمين على غيرهم ومن ذلك.

- د. أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية.
- د. زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية.
- ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
- عبدالله بن محمد بن الفرضي: تاريخ العلماء والرواة بالأندلس.
- ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء.
- د. طه عبد المقصود: الحضارة الإسلامية.
- زيغريد هونكا: شمس العرب تسطع على الغرب – ترجمة فاروق بيضـون وكمال دسوقي [(٢)].

(١) بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وظاهر عنك أي: زائل عنك لا يعلق بك.

(٢) د. محمد عبد الحميد الرفاعي، عطاء الحضارة الإسلامية، (٢٢٧)، ط. دار الهاني.

إنها حضارتنا، الحضارة الإسلامية التي تميزت بسمات تجعلها فريدة بين الحضارات واضحة الملامح، بارزة المعالم، فهي حضارة ربانية ارتبطت بالإسلام منذ ظهوره، وتقدمت مع انتشاره لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهي حضارة عامة وشاملة تتسم بالاتساع لكافة جوانب الحياة، والبحث في سائر الموضوعات التي تهم الإنسان، ومن ميزاتها التي فارقت بها الحضارة الغربية أنها حضارة القيم الأخلاقية، لا المادة والمنفعة والمصلحة، فحضارة الغرب تقيس النجاح بمقياس الثراء والمال، وترى أن الغاية تبرر الوسيلة، وأن المتع الجسدية والملاذ الدنيوية المادية هي الغاية التي يجب أن يسعى إليها كل إنسان، فضاعت الفضيلة وسادت الرذيلة، وأما الحضارة الإسلامية القائمة على الوحيين فقد أعلنت هدفها الأخلاقي في قوله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: **(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** [(١)]، وقول النبي – صلى الله عليه وسلم – "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[(٢)]، فالخلق الحسن القويم هو طابع الحضارة الإسلامية في كل مجالاتها، فالحكام يتواضعون، والعلماء لا يتكبرون والمنتصرون لا يتباهون، والأغنياء لا يزهون، والمقهورون يصبرون وإلى ربهم يلجئون، والمسلم لا يكذب ولا يحقر غيره، ولا يغتاب، ولا ينافق ولا تمنعه هيبة الناس أن يقول الحق لا يخشى في الله لومة لائم، ويدفع السيئة بالحسنة، ويمشي في حوائج الناس، ويصل الرحم، ويعظم شعائر الله، ويرحم الصغير ويجل الكبير، ويراقب ربَّه فيما يفعله، بينما يقول ميكافيلي معبرًا عن ميزان حضارة الغرب "على المرء أن يتعلم طريقة عمل الحيوان وأن يقلد الثعلب والأسد معًا، وأن يجد من المبررات ما يمكنه من التنكر لوعوده وعهوده، ومن الخير لك أن تكون مرهوبًا مهابًا من أن تكون محبوباً" [(٣)].

إن أمة هذا هو دينها، وتلك هي حضارتها، لها تراث تليد حافل بالمفاخر وتاريخ ثري مملوء بالمآثر لحريٌّ بها أن تنهض من غفوتها، وتفيق من عثرتها وتلحق بركب المدنية الذي فاتها، وهذه مسئولية كل مسلم غيور على دينه، محب لله ورسوله، فالحب وحده لا يكفي، ولكنه يتأكد بالاقتداء والتأسي.

---

(١) القلم: الآية ٤.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد، ومالك في الموطأ بلاغًا وقال ابن عبد البر في التمهيد: "هو حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره" أ.ه. الصحيحة (١١٢/١) ط. المعارف.

(٣) السابق ص ٤٥.

المبحث الثالث

عداء المسلمين لغيرهم

أراد زويمر إحياء ما أندرس من اتهام الإسلام بأنه دين عدواني لا يعـــرف إلا الدماء، دين انتشر بحد السيف، وهذه الفرية قديمة جدًا ترجـــع للقـــرن الرابـــع الهجري وربما قبل ذلك، فقد ذكرها الشيخ أبو الحسن العامري (ت ٣٨١ ه) كأول شبهة يثيرها أعداء الإسلام ضده (١)، وكذلك ذكرها وفندَّها القاضي عبـــد الجبـــار الهمذاني (ت: ٤١٥ه) في كتابه تثبيت دلائل النبوة (٢)، ثم تتابع أعداء الإسلام على نشرها، وإزكائها كلما خبت وكان زويمر ممن سعي لذلك جاهدًا، فلا يكـــاد يخلـــو كتاب من كتبه من ذكر هذا الأمر حتـــى قـــال Prof yohannes Bekele فـــي أطروحته التي قدمها لنيل درجة الأستاذية من جامعة Birmingham.

"This is apparent in his assertion that the apostle of Islam spread his teaching by forcing it down by means of the word" (3).

"**هذا واضح من تأكيده على أن رسول الإسلام نشر تعاليمه بـــالقوة عـــن طريق السيف**".

فلم يكن محمد – صلى الله عليه وسلم – مسالمًا apacifist رافضًا للحرب والعنف، بل كان العنف اتجاهًا ثابتًا عنده خاصة بعـــد هجرتـــه مـــن مكـــة إلـــى المدينة(٤).

يقول زويمر نقلاً عن *C. R. Haines*:

"The spread of Islam in three continents for well – nigh twelve centuries was due to the power of the sword and the low moral standards of the new Faith" (5).

(١) الإعلام بمناقب الإسلام (١٨٨) ط. دار الأصالة، وسيأتي مزيد بيان لكلام العامري –رحمه الله–.

(٢) تثبيت دلائل النبوة (١٨٢).

(3) Yohannes Bekele, Sammel Zwemer's missionary strategy towards Islam, P. 68.

(4) Ibid, P. 70.

(5) Zwemer, Islam: A challenge to Faith, P. 78.

"إن انتشار الإسلام في القارات الثلاثة لقرابة اثنى عشر قرنًا يرجع إلى قوة السيف وتدني المستوى الأخلاقي للدين الجديد".

ويقول كذلك نقلاً عن William Muire:

"The sword of Islam and the Koran are the most obstinate foes to civilization, liberty and truth the world has yet known"(1).

"يعتبر سيف الإسلام والقرآن من أقوى الخصوم العنيدة التي عرفها العالم للحضارة والحرية والحق".

ثم يكرر نفس الكلام السابق في مقدمة كتابه "The Mohammedan world of today".

ثم يُرجع سبب لجوء المسلمين للسيف إلى ما جاء على لسان النبي – صلى الله عليه وسلم – من الحث على الجهاد وبيان علو شأن هذه الحرب المقدسة كقوله "من أغبَّرت قدماه في سبيل الله حرَّمه الله على النار" رواه البخاري فكان هذا سبب إقناعهم، وتعطشهم لغزو العالم، ليس خالدٌ وحده، بل كان مجاهد مسلم يحسب نفسه أنه سيف الله المسلول (٢).

والرد على هذه الفرية يتضح إذا علمنا أمورًا منها (٣):

- أن الله تعالى بعث الرسل السابقين إلى أقوامهم خاصة، بينما أرسل محمدًا – صلى الله عليه وسلم – للناس كافة، ورسالته خاتمة الرسالات فهي مهيمنة عليها وجابرة لفواتها وشاملة لما تفرق بينها ومتممة لها كما قال الله تعالى **(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)** (٤) وقال تعالى: **(مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**

---

(1) Zwemer, Our Moslem sister, P. 152.
(2) Zwemer, Cross above the crescent P. 46.

(٣) شوقي خليل، الإسلام في قفص الاتهام ص ٩٤، ط. دار الفكر بيروت.
– توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص ٦٩، ط

(٤) الفرقان: الآية ١.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (١) وبناءً على ذلك وجب القيام بإبلاغ هذا الدين إلى العالمين فكيف كان هذا البلاغ؟

إنَّ مما ينبغي معرفته أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم ومن ثمَّ في نشر دعوتهم هو السلم ما لم يطرأ ما يُقيد هذا الأصل، وقد أُمر النبي – صلى الله عليه وسلم – والمسلمون بذلك كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٢)، فإذا لجَّ أهل الكفر والطغيان في طغيانهم، وأرادوا بلاد المسلمين لنهب ثرواتها واستئصال شأفة الإسلام فواجب على المسلمين أن يجاهدوا دفاعًا عن أنفسهم ووطنهم كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٣) وهذا ما فعله النبي في أحد والخندق.

فإذا أراد المسلمون نشر دعوتهم كما هو منوط بهم، فوقف العتاة والطواغيت في وجه ذلك، فهنا لابد أن يتقيد الأصل الذي قدمناه وهو السلم، ويرتفع السيف، لا لإجبار الناس على قبول الدعوة، ولكن لإزاحة العوائق من مجرى النهر لينساب انسيابًا طبيعيًا، فهذا دستور الجهاد الذي وضعه النبي – صلى الله عليه وسلم – كما في صحيح مسلم من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه قال سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول – صلى الله عليه وسلم – إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: "اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فأدعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فأقبل منهم وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على

(١) الأحزاب: الآية ٤٠.
(٢) النحل: من الآية ١٢٥.
(٣) البقرة: الآية ١٩٠.

المهاجرين فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكُف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تحفزوا ذمة الله وذمة رسوله وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا" (١).

فهذا هو المعروف من أخلاق الحرب في الإسلام التي طبقها الفاتحون في الغالب "ألا يقتلوا شيخاً فانيًا ولا طفلاً رضيعًا ولا امرأة، ألا يمثلوا أو يحرقوا، ألا يتعرضوا لمهادن وأن يَدْعوا خصومهم قبل مصارعتهم لإحدى ثلاث" وبناء على هذا لم يثبت في حق الفاتحين المسلمين تاريخيًا أنهم ارتكبوا جرائم إبادة جماعية أو تطهير عرقي على عكس ما نضح به سلوك الآخرين تجاه المسلمين بدءًا – بمذابح بيت المقدس ومعرة النعمان زمن الصليبيين وانتهاءً بالبوسنة وكوسوفا وفلسطين ومرورًا بالأندلس، وما محاكم التفتيش عنا ببعيدة، بل لم يثبت في حقهم إحراق مكتبة أو إهدار تراث ما، في حين أشرف الكاردينال كسيمنس على إحراق كلِّ ما دون بالعربية من التراث الأندلسي في ساحات غرناطة، وأمر صنجيل الصليبي بإحراق كتب دار العلم بطرابلس وكانت أكثر من مائة ألف مجلد ومما سطر التاريخ وخلدَّ ذكره ما جاء في فتوح البلدان من ردَّ أبي عبيدة بن الجراح – رضي الله عنه – ما كان أخذه من أهل حمص وكتب إليهم "إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وإنا لا نقدر على ذلك، فردنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كتبنا بيننا وبينكم"

(١) صحيح مسلم (١٧٣١) كتاب بالجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، وانظر (٢٨١/٦) من شرح الإمام النووي على الصحيح.

فقال أهـل حمـص: "لـولايتكم وعـدلكم أحـب إلينـا ممـا كنـا فيـه مـن الظلم" أ.ه. (١).

ولله در القائل:

ملكنـا فكـان العفـو منَّـا سـجيةً ... فلمَّـا ملكـتم سـال بالـدَّم أبطـحُ

فحسـبكم هـذا التفـاوت بيننـا ... وكـلٌّ إنـاءٍ بالـذي فيـه ينضـحُ

وأما إن كان زويمر يرى أن مجرد حمل السيف مما يُعاب به نبينا صـلى الله عليه وسلم، وذلك لأن المسيح لم يحمل سيفًا، فلم أر ردًّا يشفى الغليـل كـردِّ القاضي عبد الجبار حين قال:

"ثم نقول للنصارى: أعندكم أنَّ من حمل السيف كان مبطلاً؟ فإن قالوا: نعم، قلنا: فالمسيح أول المبطلين، لأنَّه عندكم أرسل موسى عليه السـلام وغيـره مـن الأنبياء بالسيف وقتل الرجال والنساء المخالفين له، وأحلّ في بعض الحروب قتـل الرجال وكل امرأة ضاجعت رجلاً واستبقاء الأبكار، وأحل له الغنائم وأخذ الأموال ودفعها إلى بني إسرائيل، وكذا سائر الأنبياء الذين تتولونهم وتقولون إنهـم علـى الحق، إلى أن جاء المسيح وظهر للناس. وقال: "ما جئـت مخالفًـا لموسـى ولا للتوراة وإنما جئت متممًا، ولأن تسقط السماء على الأرض أيسر عند الله مـن أن يحل شيء مما عقده موسى، ومن حل ولوالدي هو، وأخذ من ناموس موسى يدعى ناقصًا في ملكوت السماء".

ثم ليس عند هؤلاء أخذ الجزية ممَّن ملكوه وقدروا عليه ولا إقـراره علـى دينه، وليس إلا الإجابة إلى الدين أو القتل. وهذا أعظم وأشد وأغلـظ مـن ديـن الإسلام وشريعته.

ونراكم تدَّعون للمسيح الرأفة والرحمة، وتنزيهه عن فعل الألـم والشـدائد والمضار والهموم، وهو عندكم قد شرع التوراة وأحكامها وحدودها، وغرَّق أهـل

---

(١) د. جمال فوزي: العدوان الصليبي على الشرق الإسلامي في العصور الوسطى، (٢٤٣) ط. دار الهاني ٢٠١٠م، وفي فتوح البلدان للبلا ذري (ت ٢٧٩٠) (١٣٩/١) ط، دار الهلال ذكر الخبـر دون ذكر أبي عبيدة – رضي الله عنه –.

الأرض في طوفان نوح، وعندكم أنَّ هذا الموت والجذام والبرص والعمى والصمم وإنزال الجرب والأسقام وأنواع الألم بالبهائم التي ما عصت من فعله، ثم أباح ذبحها وأكل لحومها وإيلامها بالكد والركوب والحمل عليها إلى غير ذلك مما قد فعلوه، فأين الرأفة والرحمة، وأين هذا مما أباحه نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – من قتل من كفر بالله وأفسد في الأرض؟! هذا ولو كنتم ترون المسيح نبيًا مرسلاً لما وجب أن تعيبوا حمله السيف لأنه قد جاء وصوب حمل الأنبياء قبله للسيف، وإباحة الحيوان، وأنَّ الأمراض والاسقام من الله ومن قبل الله، فكيف وأنتم تدعون أن الفاعل لذلك جميعه هو المسيح؟! فما سُمع بقوم هم أجهل وأوقح وأبهت من النصارى، إذ هذا قولهم وهم يعيبون حمل محمد – صلى الله عليه وسلم – السيف على من كفر بالله وعبد الأوثان والكواكب والنيران من دون الله وكذبهم، وبهتهم أكثر من هذا. فإن قالوا: إن هؤلاء الأنبياء حملوا السيف بأمر الله، قيل لهم: فقد بطل أن يكون حملُ السيف باطلاً من كل وجه على ما ذهبتم إليه، ووجب أن يراعى حامله، فإن كان قد حمله بحجة كان محقًا. فينبغي أن ينظروا في أعلام محمد – صلى الله عليه وسلم – ومعجزاته وآياته،... **ولكنهم لم يجدوا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مغمزًا فعابوه بحلم السيف واتخاذ الأزواج**، وهم يعيبون هذا منه – صلى الله عليه وسلم – ويدَّعون أن الله قد اتخذ مريم أمًّا لولده واتخذ الولد لنفسه وإنْ لم يسموا مريم زوجة" (١).

لقد بين كذلك أبو الحسن العامري السبب الذي من أجله حمل النبي – صلى الله عليه وسلم – بل سائر الأنبياء السيف عندما قال:

"إن استعمال السيف والسوط قد يقع على صورة الجهاد، فيصير محمدة لصاحبه، ورحمة للعالمين، وقد يقع على صورة الفتنة أو التصعلك، فيصير مَذمَّة لصاحبه، ومحنة على العالمين، وإذا كان هذا غير مشكوك فيه فنحن إذن جدراء بأن نتعرف حال الداعي إلى الإسلام – عليه الصلاة والسلام –:

(١) القاضي عبد الجبار، تثبيت دلائل النبوة (١/١٨٨) ط. دار المصطفى شبرا.

أكان استعماله للسيف على الخليقة متعلقًا بمصلحة عامة، أو مرتبطًا بمفسدة شاملة؟، وأن نتعرف أحواله فيه:

هل كانت مقترنة بالهداية والإرشاد، أو كانت دالةً على التخبط والاستفساد؟

فاستقصينا تتبع ذلك، فوجدناه مفتتحًا – أمام مناوشاته – إظهار دعوة مخالفة لأهل الأرض، وهو عارف بضعف حاله، ونزارة قدره، وموقن أنه لا عداوة في الخلق أشدُّ من عداوة الدين، وأنه قد انتصب به لمناوأة العالم ملوكه وسوقته، من غير أن يوجد معه مال ممدود، وأعوان شهود، وأنه ليس يصانع أحدًا يتمكن مما يوافق هواه، بل يدعوهم كلهم إلى ارتفاض الشهوات، والإمساك عن الملذات، وهجر الأملاك والأوطان، وتوديع الأهل والولدان وهو صار على ما يناله في حالةِ ضنكه، وفاقته، ملازمًا لقوله: **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)** (١) ثلاث عشرة سنة، فيدوم على تلك الوتيرة الصادقة من غير أن يُزنَّ بتهمة، أو يُعثر منه على موقع غميزة.

إن غرضه في استلال السيف على من نأواه لم يكن إزالة نعيمهم، ولا انتهاب قُنيتهم، بل لو قدر على استصلاح عباد الله – تعالى جده – من غير حاجة إلى سفك دماء بعضهم لكان ذلك هو الآثر عنده والأحبَّ لديه، لكنه لفرط إصرارهم على عناد من ترددت نعمه عليهم، وتظاهرت مننه لديهم لصرفهم إياها إلى عبادة الشيطان أُحوج إلى أن يذهب معهم في إعمال السيف عليهم مذهب سائس أشفق على رعيته من عادية الخباث، وحاول ردعهم عما انهمكوا فيه من أبواب العبث، فلم يجد إليه سبيلاً إلا بإهلاك بعض الأفراد، ومعلوم أن ذلك لن يكون منه قساوة، بل يكون مأثرة ورحمة" (٢).

يتبين مما سبق أن حمل السيف لم يكن بدعًا من الفعل في حق النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأنه كان لغاية محددة من غير إسراف في ذلك، بل إن

---

(١) يوسف: من الآية ١٠٨.

(٢) أبو الحسن العامري (ت ٣٨١ ه)، الإعلام بمناقب الإسلام، ص ١٨٩.

زويمر نفسه يؤكد أن انتشار الإسلام وقع – بشكل كبير – بفضل الدعاة المخلصين إليه لا بالسيف وحده، وذلك حين قال:

"The story of the past is one of the splendid heroism and although coquest by the sword is no longer possible, the spread of Islam continues in other ways and the Moslem propagandist may teach us the lesson of devotion and daring" (1).

"تعتبر قصة الماضي واحدة من البطولات المشرقة، وعلى الرغم من أن استعمال السيف في الغزو لم يعد ممكنًا، إلا أن انتشار الإسلام مستمر بطرق أخرى علّمنا دعاة الإسلام من خلالها معنى التضحية والإقدام".

ثم أخذ يقارن بين ما يفعله المسلمون من أجل نشر إسلامهم في سائر البلاد التي دخلها الإسلام كمصر والهند وبورما والسودان وغير ذلك مما وطئت أقدام التجار المسلمين أراضيها فكانوا هم دعاة الإسلام بأخلاقهم ومعاملاتهم أقول: أخذ زويمر يقارن بين حال هؤلاء بوسائلهم المتاحة وبين ما يقوم به العالَم المسيحي في العصر الحديث:

"To the modern Christian world, missions imply organization, societies, paid agents, subscription, reports, etc. All this is practically absent from the present Mostem idea of propagation, and yet the spread of Islam goes on" (2).

"بالنسبة للعالم المسيحي الحديث، فقد اقتضت البعثات تنظيمًا وجمعيات وموظفين (عملاء) بأجر، واشتراكات، وإعداد التقارير، إلى غير ذلك من أمور غابت عمليًا عن فكرة الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر، ومع ذلك يستمر انتشار الإسلام!".

لقد أشار أخر تقرير عن مستقبل الأديان في العالم والذي صدر في الثاني من أبريل ٢٠١٥م، إلى توقع نسب نمو أتباع كل ديانة في الفترة من ٢٠١٠ حتى ٢٠٥٠ مشيرًا إلى أن الإسلام هو أكثر الأديان نمواً في عالم اليوم، بل بحلول عام ٢٠٥٠ يتساوى عدد المسلمين بعدد مسيحي العالم، فأين السلاح الذي يحمله

(1) S. Zwemer, Islam: A challenge to Faith, P. 78.
(2) Ibid, P. 79.

المسلمون اليوم لقهر الناس على الدخول في دينهم؟! [١] إنه سلاح الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بإزالة كل شبهة أثيرت حول هذا الدين الحنيف الذي يريد هؤلاء إطفاء نوره (وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [٢]، فليس عندنا نصوص ينبغي أن نحذفها أو نستحي منها، بل كل ما جاء به النبي الأمين – صلى الله عليه وسلم – يدل على خلاف ما يروجه زويمر وأمثاله من أكاذيب باطلة يتوارثها هؤلاء ويُسلِّم بعضهم لبعض متوهمين أنهم أفلحوا في بناء حاجز بين الإسلام والباحثين عن الحق، فمثلهم كمثل القائل:

كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل [٣]

وأما ما يتمسك به زويمر من بعض الأحاديث التي يدَّعون أنها تدعو لاستباحة الدماء كقوله – صلى الله عليه وسلم – "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا! لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" [٤].

فالمراد بالحديث فئة خاصة هم وثنيو العرب، وأما غيرهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم على التخيير بين الأمور الثلاثة التي نصَّ عليها حديث مسلم السابق، على أن بعض كبار الأئمة كمالك والأوزاعي ومن رأى رأيهما يرون أن حكم مشركي العرب كحكم غيرهم في التخيير بين الأمور الثلاثة الإسلام، أو الجزية أو القتال، وإذا نظرنا بعين الإنصاف إلى الذين حملوا الحديث على وثني العرب، لا نجده يجافي الحق والعدل، فهؤلاء الوثنيون الذين بقوا على شركهم لم يدعوا وسيلة من وسائل الصد عن الإسلام إلا فعلوها، ثم هم أعرف الناس بصدق الرسول، فهو عربيٌ من أنفسهم والقرآن عربي بلغتهم، فالحق

(1) انظر www.pewforum.org. The future of world religions population growth growth projections, 2010 – 2050.

(٢) الصف: من الآية ٨.

(٣) البيت للأعشى في معلقته، انظر الأغاني للأصفهاني (٤٩٨/٢) وفيه "ليفلقها".

(٤) رواه الشيخان من حديث ابن عمر، ويدل على هذا التأويل رواية النسائي "أمرت أن أقاتل المشركين"، انظر: فتح الباري للحافظ ابن حجر (٩٤/١) باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم".

بالنسبة إليهم واضح ظاهر، فلم يبق إلا أنهم متعنتون معوقون لركب الإيمان والعدل عن التقدم ونشر الحق.

هذا إلى أن الشرك مذهب فاسد، والمذاهب الفاسدة تُحارَب ويحارب دعاتها بكل الوسائل، وهذا أمر مقرر في القديم والحديث.

يقول توماس كارليل:

"أنا لا أحفل أكان انتشار الحق بالسيف أم باللسان أم بأية طريقة أخرى، فلندع الحقائق تنشر سلطانها بالخطابة أو بالصحافة أو بالنار... لندعها تكافح بأيديها وأرجلها وأظافرها" (١).

لقد حمل زويمر على نشر هذه الخرافة سببان أحدهما يذكره عالم عربي مسلم، والثاني يذكره واحد من أبناء جلدته.

أما السبب الأول فهو ما قاله الأستاذ محمود شاكر في رسالته القيمة "في الطريق إلى ثقافتنا" (٢).

"كان جوهر هذه الصورة، المثبوت تحت المباحث كلها – مباحث الاستشراق – هو أن هؤلاء العرب المسلمين في الأصل قوم بداة جُهَّال لا علم لهم كان جياع في صحراء مجدبة، جاءهم رجل من أنفسهم فادعى أنه نبي مرسل لفَّق لهم ديناً من اليهودية والنصرانية، فصدقوه بجهلهم واتبعوه، ولم يلبث هؤلاء الجياع أن عاثوا بدينهم هذا في الأرض يفتحونها بسيوفهم، حتى كان ما كان، ودان لهم من غوغاء الأمم من دان، وقامت لهم في الأرض بعد قليل ثقافة وحضارة جُلَّها من ثقافات الأمم السالفة... هذا هو جوهر الصورة التي بثها المستشرقون في كلِّ كتبهم عن دين الإسلام...... ليتبين لك الآن بلا خفاء أنَّ كتب الاستشراق ومقالاته ودراساته كلها مكتوبة أصلاً للمثقف الأوربي وحده لا لغيره، وأنها كتبت له لهدف معين، وبأسلوب معين لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجردة، بل الوصول الموفق إلى حماية عقل هذا الأوربي المثقف من أن يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحية الشمالية على دار الإسلام في الجنوب، وأن تكون له نظرة ثابتة هو مقتنع كلَّ الاقتناع بصحتها" أ.ه بتصرف.

---

(١) توماس كارليل ، الأبطال، ص"٨٠" ترجمة محمد السباعي ،ط. المكتبة التجارية .مصر.، وانظر كذلك د. عبد الودود شلبي، الإسلام وخرافة السيف (٨) ط. دار الفتح للإعلام العربي.

(٢) ص ٥٩.

لقد أبان لنا الأستاذ شاكر أن زويمر وغيره من المستشرقين ما أراد بـــذلك إلا أن يخلق حائلاً منيعًا بين المثقف الأوربي والإسلام بدينـــه وعلومـــه وفنونـــه وحضارته فكانت مثل هذه الفِرى.

وأما السبب الثاني فقد بينه لنا Bekele في ختام حديثة عن سيف الإسلام في كتابات زويمر بقوله:

"This leads us to conclude that the underlying tone of Zwemer's assessment of the violent nature of Mohammed could have derived from the presupposition that Christianity is a peaceful religion" (1).

"فهذا يجعلنا نستنتج أن اللهجة الكامنة في تقويم زويمر لطبيعـــة محمـــد العنيفة مستمدة من الافتراض المسبق بأن المسيحية دين مسالم".

ولمَّا كانت الصورة كذلك، أراد زويمر تشويه ما عدا المسيحية ليظهرها في هذا الثوب القشيب(٢)، فأخذ في الحط على الدين الإسلامي.

خاصة ونحن نعلم مدى تحقق قول Christy Wilson في ترجمته الممتعة لزويمر وصديقه كانتين Cantine:

'The Muslim religion was the only one that had met and conquered Christianity on a large scale and thus was the great rival of the Christian faith" (3)

"قد كان الدين الإسلامي الوحيد الذي قابل وغزا المســيحية علـــى نطـــاق واسع، وبالتالي كان المنافس الأكبر للدين المسيحي".

(1) Bekele, P. 69.

(٢) القشيب: الجديد، وقيل: هو من الأضداد (اللسان ٣٦٩/٧) ط. دار الحديث.

(3) J. Christy Wilson, The A postle of Islam. P. 163.



الفصل الرابع

القواعد والسمات المنهجية في كتابات زويمر

- المبحث الأول : القواعد المنهجية في كتابات زويمر
  - المطلب الأول : غلبة الإسقاط
  - المطلب الثاني : الحكم على الإسلام من خلال سلوك معتنقيه
  - المطلب الثالث : المقارنة للوصول لنتائج مسبقة
  - المطلب الرابع : الاعتماد على الأخبار الضعيفة والموضوعة
- المبحث الثاني : السمات المنهجية في كتابات زويمر
  - المطلب الأول : عدم الموضوعية
  - المطلب الثاني : كثرة الدعاوى وتناقضها
  - المطلب الثالث : تزييف حقائق التاريخ الإسلامي

توطئة: بيان الفرق بين القواعد والسمات:

القواعد مفردها قاعدة، وهي في اللغة "الأساس، وكل ما يرتكز عليه الشيء فهو قاعدة، فالقواعد: أسس الشيء وأصوله حسيًا كان ذلك الشيء كقواعد البيت، أو معنويًا كقواعد الدين ودعائمه" (١).

وفي الاصطلاح: قضية كلية منطبقة على أحكام جزئيات موضوعها، وهي تطلق على معان ترادف معانٍ كثيرة منها الأصل والقانون (٢).

ويتضح مما سبق أن مرادنا بالقواعد الاسس التي بنى عليها زويمر منهجه، فهي كالأصل العام الذي اتخذه زويمر ليبني منهجه عليه في دراسة الإسلام، وهذه القواعد الأربع ظهرت بجلاء في الدراسة السابقة لإخراج هذه القواعد، والتي كانت بمثابة تصور تام لطريقته في دراسته للإسلام، ومن ثمَّ أمكن بعد ذلك تحديد هذه القواعد. وهذه القواعد هي:

- غلبة الإسقاط.
- الحكم على الإسلام من خلال سلوك معتنقيه.
- المقارنة للوصول لنتائج مسبقة.
- الاعتماد على الأخبار الضعيفة والموضوعة.

وأما السمات فمفرد سمة ومعناها العلامة، مأخوذة من الوسم أو السمو، والمقصود الخصائص والسمات التي تميز بها ذلك المنهج الذي تبناه، وقد نسميها بالخصائص، ومدارها كذلك على ما انفرد به الشخص وتميز به فصار علامة بارزة عليه، ومنه الخصيصة وهي الصفة التي تميز الشيء وتحدده (٣).

---

(١) المعجم الوسيط (٧٤٨/٢) ط. دار الدعوة.

(٢) الكليات للجرجاني (١٧١) ط. دار الكتب العلمية، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية للدكتور محمد عبد الرحمن عبد المنعم (٦١/٣) ط. دار الفضيلة. مصر.

(٣) المعجم الوسيط (٢٣٨/١)، مرجع سابق.

ومن السمات التي تميز بها منهج زويمر:

- عدم الموضوعية.
- كثرة الدعاوي وتناقضها.
- تزييف حقائق التاريخ الإسلامي.

غير أن الذي أراه هو التداخل بين ما جعلته قاعدة، وما جعلته سمة أو خصيصة للمنهج، فما أراه قاعدة قد يراه غيري من السمات، و الذي يهون من هذا الأمر دلالة كلٍّ من القاعدة والسمة على منهج زويمر.

وهذا المنهج الذي اتبعته من ذكر المقدمات ثم استنباط النتائج منهج علمي صحيح مبناه على قاعدة متفق عليها هي أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فما سبق من عرض ودراسة لكتابات زويمر دراسة نقدية ييُسر لنا الوقوف على هذه القواعد والسمات دون تجن منا عليه خاصة إذا كان الكلام في أمر ديني. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً خطورة هذا المقام:

"ولمَّا كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل كان كلام أهل الإسلام والسنة مع الكفار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن وما تهوى الأنفس، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – "القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنة. رجلٌ علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ورجلٌ علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ورجلٌ قضى للناس على جهل فهو في النار" رواه أبو داود في سننه.

فإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض – إذا لم يكن عادلاً كان في النار، فكيف بمن حكم في الملل والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية والمعالم الكلية بلا علم، ولا عدل؟" (١).

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٧/١) ط. دار العاصمة. الرياض.

المبحث الأول

القواعد المنهجية في كتابات زويمر

المطلب الأول

غلبة الإسقاط

يُعد الإسقاط منهجًا معتمدًا في الدراسات الاستشراقية عند بعض الدراسين الغربيين للعلوم الإسلامية، وهو منهج نفسي في المقام الأول لا صلة له بالمنهج العلمي السليم، ولعلَّ المثل العربي القديم القائل "رمتني بدائها وانسلَّت" أقدم تعبير عن هذا المنهج في التراث العربي، كما أن الأدب الإنجليزي يحتوي على مَثَل يشير إلى هذا الأسلوب، وهو قولهم:

'Those who live in glass houses shouldn't throw stones".

"ساكنو البيوت الزجاجية يجب ألا يرشقوا أحدًا بالحجارة".

فهذه الأمثال وغيرها مما هو في معناها تتضمن مؤشرات الاستنكار وعدم الإعجاب بهذا الأسلوب الذي يهدف لغاية واحدة هي:

"صرف نظر الأخرين عن ذلك العيب الذي يعاني منه في نفسه، ويكره أن يعلم به الأخرون، أو يذكرونه أمامه، فيسعى جاهدًا بالمبادرة بالهجوم بقصد الدفاع"(١).

وهذا ما قام به زويمر متأثرًا بخلفيته العقدية وموروثه الفكري، ومن يدرس كتابه المقدس، وما نشر وروَّج له عن الدين الإسلامي، يعلم علم اليقين أن ما حاول وصم الإسلام به كذبًا وإفكًا، هو من قبيل الإسقاط المدروس، الذي يكذب صاحبه وهو يعلم أنَّه يكذب، إسقاط تطمئن إليه نفس صاحبه لأن أغلبه ليس من بنات أفكاره، بل هو وليد لجان ومؤتمرات، وأقلام موظفه، وإليك بعض ما حاول

---

(١) د. محمد عامر عبد الحميد، منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين (٧).

زويمر إلصاقه بالإسلام، دفعًا للتهمة عن دينه، متمثلاً المثل السائر "خير وسيلة للدفاع الهجوم".

١- زعمه في كلامه عن مصادر الدين الإسلامي أنه دين مقتبس من اليهودية والمسيحية:

1) Islam A challenge to Faith, Form page 16 to page 24.
2) The Moslem Doctrine of God. P. 28.
3) Across the world of Islam from P. 56 to 58.
   Across the world of Islam page 75.
4) The Moslem Christ P. 135.

ولست هنا في موقف الدفاع فقد سبق الرد بما يكفي إن شاء الله، ولكنَّه بيان وجه الإسقاط فيما سبق فيكفينا ما قاله القاضي عبد الجبار في واحد من أقدم الكتب في الرد على النصارى حين قال:

"لتعلم أن الروم ما تنصرت ولا أجابت المسيح، بل النصارى ترومت وارتدت عن دين المسيح وعطلت أصوله وفروعه وصارت إلى ديانات أعدائه وهو ما عليه الطوائف الثلاث من النصارى، وهذا التثليث الذي للنصارى قد كانت فلاسفة الروم تنحو نحوه...." (١) ثم ذكر تفصيل ذلك في كلام بديع بيَّن فيه أيضًا مدى تأثر المسيحية بالديانات الوثنية على اختلاف أسمائها مما يصلح للرد على.

٢- زعمه أن الدين الإسلامي تأثر بالوثنية التي كانت منتشرة وقت ظهوره:

1) The Moslem Doctrine of God P. 19 – 27 – 28.
2) Islam: A challenge to Faith. P. 11.

وقد سبق البيان التفصيلي لمدى تأثر المسيحية بالعقائد الوثنية نقلاً عن كتاب "العقائد الوثنية في الديانة المسيحية" وغيره مما ظهر فيه العجب العجاب،

(١) تثبت دلائل النبوة (١٦٨/١) ط. دار المصطفى، شبرا.

وأزيد هنا هذه الرحلة المصورة التي قام بها دكتور اللاهوت الإنجليزي روبـــرت بيكفورد ليبين "الأصول الوثنية في الديانة المسيحية"، وهذا رابطها:
http://www.yputube.com/wathc?v=CP2xfdgkedq

٣- زعمه أن الإسلام دين يحض على سفك الدماء، وأن الفتوح الإسلامية ما كانت إلا من أجل الغنيمة والنساء، بعكس المسيحية فهي دين انتشر بالمحبة وكسب القلوب:

1) The cross above the crescent P. 46.
2) Our Moslem sisters P. 152.
3) Islam: A challenge to Faith P. 78.
4) The Moslem world P. 45.
5) The is integration of Islam P. 78.

وقد سبق الرد على هذه الفرية بما أفاض الله تعالى، وأزيد هنا أن التـــوراة نفسها نصَّت على حمل السيف لا للهدف السامي الذي من أجله حُمل السيف فـــي الإسلام، بل كان القتل للقتل، وللعلو في الأرض بغير الحق جاء في سفر التثنية.

"حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح * فان إجابتك إلى الصلح و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير و يستعبد لـــك * وأن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها * وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف * وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فـــي المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك * هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنـــا * وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منهـــا نســـمة ما"[١]، بل الإنجيل نصَّ على حمل السيف.

"لا تظنوا إني جئتُ لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي ســـلامًا بـــل سيفًا"[٢].

---

(١) سفر التثنية (١٠/٢٠ – ١٦).
(٢) متى (٣٤/١٠).

"ومن ليس له سيف فليبع ثوبه ويشتر سيفًا" [1].

وهذا ما تُرجم بألوان من التعذيب والتحريق لم تعرف البشرية مثـيلاً لهـا ولنعد إلى ما سجَّله التاريخ عن أعمال محاكم التفتيش وغيرها مما كـان وراءهـا الكنيسة والبابوية، ولكنَّ الصليبية فقدت حياءها، فعمـدت إلـى اتهـام الإسـلام والمسلمين بما كان فيها في وقت كان السيف هو الرفيق الأوحد للصليب أينما حلَّ وارتحل" [2].

٤- زعمه أن الإسلام ظلم المرأة ولم يضعها في المكانة اللائقة بها:

وقد سبقت الإشارة إلى كثير من المواضع التي سطَّر فيهـا زويمـر هـذه الفرية وقد كان الرد مشتملاً على بيان المكانة المتدنية للمرأة في الكتاب المقـدس؛ فهي أمرٌ من الموت، وهي باب الشيطان ومطيته، والعقرب الذي لا يتردد قط عن لدغ أيِّ إنسان، فهذه بعض البركات التي فاضت على المرأة بالإضافة لما هو واقع من سقوط كرامة المرأة في المجتمع الغربي من اتخاذها خدينة بينما المـرأة فـي الإسلام مودة ورحمة وسكن، وهي حصن الفضيلة ومنار العفاف، وليست مصدرًا للشرور، فمن ظلمها إذن؟!

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [3].

---

(١) لوقا (٣٧/٢٢).

(٢) انظر جرائم الصليبية موثقة في: الإسقاط (١٥٣ – ١٥٨) د. شوقي أبو خليـل. ط. دار الفكـر، العدوان الصليبي على الشرق الإسلامي في العصور الوسطى للدكتور جمال فوزي (١٧٦).

(٣) الأحزاب: من الآية ٣٥.

المطلب الثاني

الحكم على الإسلام من خلال سلوك معتنقيه

إن الصور المتباينة للمجتمعات الإسلامية لا يمكن أن تكون هـي الأسـاس الذي يتكون من خلاله الحكم على الدين الإسلامي، وذلك لأن الإسلام علم وعمل، وإذا كان العمل التطبيقي لا يعطي الصورة الصحيحة، وجب علينا أن نعـود إلـى العلم والنظرية والتي هي مصادر التشريع الإسلامي، ولكنَّ زويمر لم يراع هـذا الجانب، بل اتخذ حالة العالم الإسلامي وقت أن وطئ أرضه ذريعة للحكـم علـى الإسلام من خلال سلوك معتنقيه فراح كلما رأى خللاً في أي جانب من جوانب من يتعامل معهم يقول: "هذا هو الإسلام، أو هذا ما علمهم إياه إسلامهم" وهو نفسه من يُقرُّ أن معظم البلاد الإسلامية يديرها المستعمر الساعي في خرابها حتى قال:

"لقد فقد الإسلام سيطرته على أفريقيا كلها، وكذلك أوروبا، وكـذلك ترفـع قبضته الآن عن أسيا" [(1)]، ومما لا شك فيه أن هذا صاحبه فقر شديد وحاجة إلـى رعاية وتعليم، وانتشار للجهل في سائر المجالات، وهو الأمر الذي اتخذه زويمر، بل وكثير من المستشرقين تكئة لبناء حكمهم، وهو منهج لا يمت للعلم بصلة، ولـو عاملناه بالمثل لحكمنا على المسيحية بعصور أوروبا المظلمـة، وقـت أن كانـت ترزح في جاهلية جهلاء، تجارب العلم وتضطهد حامليه في الوقت الذي كان العالم الإسلامي يحمل مشاعل الحضارة والتقدم في شتى المجالات.

تقول د. زينب عبد العزيز في كتابها "تنصير العالم":

ثانيًا: نقطة ضرورة توضيح اختلاف موقف أتبـاع كـل مـن المسـيحية والإسلام عن بعضها بعضًا: فالتيار المتعصب في الكنيسة لم يكف عـن محاربـة الإسلام بشتى الوسائل منذ ظهوره، ولا نشير هنا إلا إلى عملية التشويه والتحريف

---

(1) Childhood, P. 267.

التي قام بها الغرب ضد الإسلام ونبيه خاتم المرسلين، في كافة المجالات العلمية والدينية والثقافية حتى شبت أجياله على كراهية الإسلام والمسلمين أما المسلمون، فلم يقوموا بتشويه المسيحية وتجريمها، وإنما قاموا بكشف ما تم فيها من تحريف للعقيدة على مر العصور والمجامع"(١).

استخدم زويمر طريقته هذه في دراسته وتحليله لبعض المسائل انتهى فيها إلى الحكم على الإسلام من خلال سلوك معتنقية ومنها على سبيل المثال:

١- كلامه على الخرافات والتمائم وفعال الدجل والشعوذة التي شهدها أو حكيت له ناسبًا ذلك للدين الإسلامي:

Childhood in the Moslem world Form P. 120 to 135.

٢- ينقل كلامًا مشابهًا في قصة أخرى على لسان Miss J. A. Lord **في نفس الكتاب السابق:**

Childhood P. 77 - 78.

وكذلك تأثر النساء بالجن والشعوذة طبقًا لتعاليم إسلامهم.

Across the world of Islam from P. 25 to 129.

٣- يحكم على الإسلام من خلال تعامل بعض المسلمين مع المرأة بصورة سيئة:

A cross the world islam P. 120 P. 135.

بل يذكر قصة نُشرت في جريدة على لسان فتاة مصرية صغيرة تزوجت من رجل مطلاق في أحداث مسبوكة بشكل دراماتيكي عجيب.

Child hood in the Moslem world. P. 64 – 65.

(١) د. زينب عبد العزيز: تنصر العالم، مناقشة لخطاب البابا يوحنا بولس الثاني (١٠٠) ط – دار الوفاء – المنصورة – مصر.

٤- يحكم على الإسلام من خلال ما شاهده من حال الأطفال في مصر حيث يقول:

"The condition of Moslem childhood is a sad commentary on the inefficiency of such moral training. The first sentence a child learns to speak in Egypt is often a phrase of impoliteness and insult …. Moslem children come into the world handicapped. The cruse of Islam through its polygamy, Concubine, and Freedom of divorce already rests upon them" (1).

"إن حالة الطفولة الإسلامية ما هي إلا تفسير سيء (نتاج سيء) لقصور التدريب الأخلاقي، فأول جملة يتعلم الطفل المصري النطق بها غالبًا ما تكون عبارة من سوء الأدب والإهانة...، إن أطفال المسلمين يخرجون للعالم مكبلين؛ وذلك لأن لعنة الإسلام خلال تعدد الزوجات والتسري وحرية الطلاق تقع عليهم بالفعل".

فانظر كيف فسر ما سبق بما أسماه لعنة الإسلام بسبب أمور أجبنا عنها من قبل وبينًّا ضوابطها، بل ومحاسنها حينًا.

٥- يبرر زويمر الحالة التي وصل إليها العالم الإسلامي بسبب إيمانه بالقضاء والقدر، فكل شيء مكتوب، فلم العلم والسعي في الأخذ بسبل التقدم؟! بل وتعجبه كثيرًا أبيات لعمر الخيام في القدر محتجًا بها على زعمه:

"Tis all a checker of nights and days
where destiny with men for pieces plays.
Hither and Hither moves and mates and slays
and one by one back in the closet lays". (2)

"إن هي إلا رقعة شطرنج في الليالي والأيام
حيث يلعب القدر بالبشر كما لو كانوا قطعًا
يحركهم هنا وهناك بل يزاوجهم ثم يذبحهم
ثم يودعهم في خزانته واحدًا واحدًا"

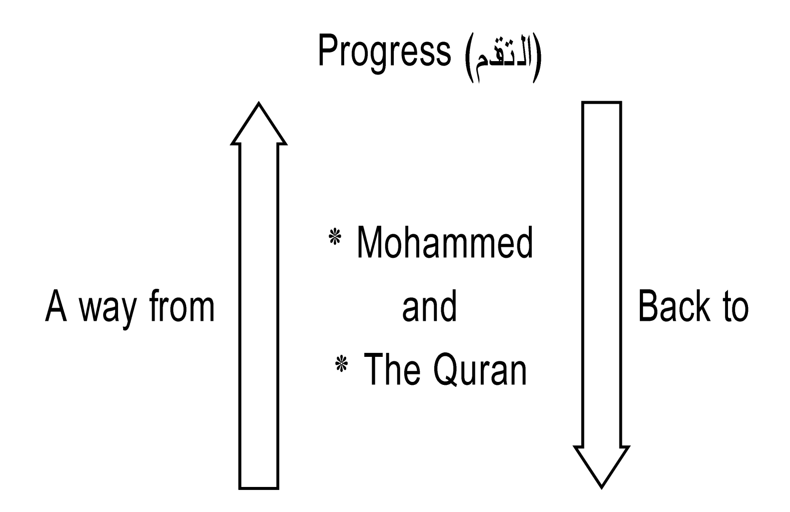
(1) Child hood P. 170.
(2) The Moslem world, P. 67, See also: The Muslim doctrine of God. P. 93.

ولا تعني هذه الأبيات إلا معنى واحدًا عند زويمر هو:

"Life is nothing more than a period of nights and days and the destiny controls humans like pieces of checker board".

وبالطبع ليس هذا هو الإيمان بالقضاء والقدر عند المسلمين كما سبق بيانه.

لقد كان ما سبق بعض ما بني عليه حكمه على الإسلام من أنه دين ظلم للمرأة، دين تخلف ورجعية، دين يعطي مبررًا لأعمال الشر، دين لا يوفر للطفل حياة مستقيمة إلى غير ذلك من التهم التي كررها لغرض ما، وبالتالي استطاع Bekele أن يرسم لنا خلاصة ما وصل إليه من تحليله لكتابات زويمر عن الإسلام كالتالي (١):



وهذا يعني أن سبب تخلف المسلمين الحالي الديني والدنيوي يرجع إلى ما هو موضح بالشكل، ولن يتقدموا إلا بالابتعاد عنهما، فهل يوم أن كانت الحضارة الإسلامية في أوج قوتها وازدهارها كانت مُنْبتَّة الصلة بهذين الأصلين العظيمين، أم أنهم عرفوا الغاية التي ابتعثهم الله من أجلها وغابت عن أحفادهم؟!

---

(1) Bekele, P. 115.

المطلب الثالث

المقارنة للوصول لنتائج مسبقة

والمقارنة منهج يسلك سبيل الربط بين الموضوعات المتعددة، لاستخلاص أوجه الشبه، والخروج من ذلك بحكم عام تدعمه نتائج عملية (١).

ويعتبر المنهج المقارن من أبرز سمات منهج زويمر في دراسة الإسلام، وذلك لأنه يسعى من خلاله لإبراز ما تميزت به المسيحية من محاسن وفضائل عن الإسلام ومن ثَمَّ الإعلام بما في المسيحية من مناقب وميزات فاقت به الإسلام، وقد قام منهج المقارنة عند زويمر على ثلاثة أمور.

- مقارنة ومقابلة الإسلام بغيره من الملل كالمسيحية واليهودية والوثنية.
- مقارنة الإسلام باعتبار وجوده في مناطق شتى في العالم.
- مقارنة الإسلام باعتبار معتنقيه فيجري مقارنة بين السني والشيعي والصوفي والمعتزلي وغير ذلك.
- فأما الأمر الأول فنراه جليًا في دراسة زويمر للعقيدة الإسلامية ومصادرها فتراه يقارن بين الإسلام والمسيحية واليهودية للوقوف على صفات الرب – تعالى – وكذلك مباحث القضاء والقدر والجنة والنار كما في:

1- The Moslem Doctrine of God.

فقد أقام الكتاب كاملاً على هذه المقارنات ليخلص إلى مفارقة الإسلام للمسيحية، وقربه من اليهودية في باب صفات الرب، فهما أقرب للتجسيم والتمثيل، وكذلك مفارقته لهما في باقي الأبواب.

2- Islam: A Challenge to Faith (2).

3- Across the World of Islam (3).

4- The Muslim Christ. وكذلك في بعص صفحات

---

(١) المعجم الفلسفي (٨٩) نقلاً عن منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن (١٤٠) ط. الفاروق الحديثة. ط. الثانية.

(٢) في صفحات (١٦، ٢١، ٢٤، ٣٢).

(٣) في صفحات (من ٥١ حتى ٧٥).

- وأما الأمر الثاني فكثير جدًا في كتابات زويمر، بل ربما استغرق كتابًا كما في The Mohammedan World of Today، فالكتاب يقارب ثلاثمائة صفحة بدأه بعد مقدمة وجيزة بـ Islam in Egypt وأنهاه بقوله Islam In China ثم أردفه بإحصائيات مقارنة بين أفريقيا وأسيا، ونجد ذلك أيضًا في Across the World of Islam بدأ المقارنة بقوله Islam and Christianity in Africa today (١)، وأنهاه بقوله Islam in Southeastern Europe (٢)، وكذلك في The unoccupied Mission Fields of Africa and Asia فالكتاب كاملاً مقارنات بين مناطق كثيرة في أفريقيا وأسيا، وغير ذلك كثير، والهدف من ذلك الوقوف على مدى انتشار الإسلام في هذه المناطق، ومعرفة سبب الانتشار وعوامل القوة والضعف، وكذلك لا تخلو هذه المقارنة من:
- إعطاء إحصائيات لعدد السكان باعتبار ديانتهم (٣).
- إبداء الرأي في سبب الانتشار ومدى قوته.

وهذه الثانية تجده كثيرًا ما يرجع سبب الانتشار إلى استخدام السيف، وفرض الإسلام بالقوة، وإن لم يكن كذلك فبسبب ما عند المعتنقين لهذا الدين الجديد من الجهل والخرافة، فلم تستطع عقولهم تمييز ما في الإسلام من خلل يمنعهم من اعتقاده، أو بسبب ما جاء به الإسلام من خرافة – زعم – توافق ما هم عليه.

وأما الأمر الثالث، وهو مقارنة الإسلام باعتبار معتنقيه فتراه يجري مقارنة بين الطوائف المختلفة من المنتسبين للإسلام من شيعة وصوفية ومعتزلة وسُنَّةَ وغير ذلك، فتراه يذكر كلَّ طائفة وأماكن انتشارها ومعتقدها، فمثلاً يذكر أن نقطة

---

(١) ص ١٨٥.

(٢) ص ٣٦٣.

(٣) على سبيل المثال نجد إحصائيات عدة في Across the world of Islam مثل صفحات (٢٢٧ – ٢٤٧ – ٢٦٨ – ٢٧٤ – ٣٥٨).

الخلاف بين الشيعة والسنة هي الإمامة [١]، ثم يشرح معنى الإمامة، وكذلك الصوفية أو الدراويش Dervish كما يُسميهم، ويذكر طريقتهم، وربما ذكر هذه الطوائف بشكل مختصر كما فعل في حاشيه ص ١٣٩ في الكتاب المشار إليه في الحاشية، والغرض من هذه المقارنة:

- معرفة الطوائف المنتمية إلى الإسلام باتجاهاتها للوقوف على طريق تبشيرها ونشر المسيحية بينها.
- قد يستخدم زويمر مثل هذه المقارنات لإعلاء شأن طائفة على غيرها، فمثلاً تراه يرى في المعتزلة حرية العقل والفكر فيمدحهم بشكل عام أو بعض رموزهم في العصر الحديث كسيد أمير على في الهند [٢]، أو الصوفية فيمدح بعض رموزها كعبد الوهاب الشعراني صاحب الصفاء الروحي والنقاء الأخلاقي على حد قول زويمر [٣].

ومما سبق يتبين لنا أن غرض استخدام زويمر لهذا المنهج يكمن في بيان ما امتازت به المسيحية على ما سواها من الملل بما فيهم اليهودية نفسها، وأن يُعلي من شأن أفراد – سبقت الإشارة إلى بعضهم – جاءوا بما أسماه زويمر بالدين الجديد.

---

(١) Islam: A challenge to Faith, P. 139 ومما ينبغي التنبيه عليه أن الخلاف بين السنة والشيعة لا يقتصر على مسألة الإمامة فقط، بل في القرآن ذاته، والصحابة – رضي الله عنهم – وغير ذلك.

(2) Across The World of Islam. P. 110
(3) Ibid., P. 113.

المطلب الرابع
الاعتماد على الأخبار الضعيفة والموضوعة

لقد كان من أسباب انحراف زويمر في دراسته للإسلام اعتماده على مصادر وأخبار غير موثوق بها وتركه لما هو معتمد سواء في السيرة أو الحديث النبوي أو التاريخ، فكان أحيانًا يبني قصورًا وعوالي على حديث لا يثبت كما فعل في حديث "لا تعلموهن الكتابة، ولا يسكنوهن الغرف، وعلموهن سورة النور، وعلموهن المغزل" فهو حديث موضوع لا يثبت وآفته محمد بن إبراهيم أبو عبد الله الشامي.

- قال الدارقطني: كذاب.
- وقال ابن عدي: عامة أحاديثه غير محفوظة.
- وقال ابن حبان: كان يضع الحديث.

ثم إن الحديث ليس مدونًا في كتب السنة المعتمدة، وإنما ذكره ابن حبان في الضعفاء، والبيهقي في شعب الإيمان، وللحديث متابعة عند الحاكم في المستدرك لا تزيده إلا ضعفًا لأنها من طريق عبد الوهاب بن الضحاك وهو كذاب أيضًا كما قال أبو حاتم" (١).

لقد ظن زويمر أن كلَّ حديث في كتب أهل الإسلام هو مما يصح الاعتماد عليه وبناء الأحكام عليه ونسى أو تجاهل أن من هذه الأحاديث ما هو مكتوب من أجل بيان حالة فقط ليحذر منه في نسبته إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وكذلك في العمل به.

قال الحافظ العراقي في ألفيته:

شرٌّ الحديث الخبر الموضوع ... الكذب المختلق المصنوع
وكيف كان لم يجيزوا ذكره ... لعالم ما لم يبين أمره (٢)

---

(١) راجع الكلام على الحديث كاملاً في السلسلة الضعيفة للألباني (٣٠/٥) حديث: ٢٠١٧ ط. دار المعارف وكلام زويمر في .Childhood in the Moslem World P. 140

(٢) (١١٤) ط. دار المنهاج. الرياض، تحقيق، ماهر الفحل.

وذلك لأن الحديث الموضوع كذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو القائل "من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار" ولا فرق في تحريم ذلك بين ما كان في الأحكام، وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يُعتد بهم في الإجماع، وإذا كانت الدلائل القطعية قد دلت على تحريم الكذب على آحاد الناس فكيف بمن قوله وشرعه وكلامه وحي كما يقول النووي رحمه الله (١).

فإذا نظرنا في أي كتاب ذُكر الحديث الذي احتج به زويمر، وجدناه في كتاب الضعفاء لابن حبان – رحمه الله – وهو كتاب وضعه لذكر ضعفاء المحدثين وأضداد العدول من الماضين ممن أطلق عليهم القدح وصحَّ فيهم الجرح، فكيف يجعله زويمر عمدة في طعنه على الإسلام والمسلمين.

لم يكن هذا الحديث وحده عمدة زويمر، بل هناك أحاديث أخرى لا تصح نسبتها للنبي – صلى الله عليه سولم – منها على سبيل المثال:

١- ما جاء فلي صفحة (١٠٠) من كتابه (عبر العالم الإسلامي)

"قال رسول الله: ما تزوجت شيئًا من نسائي، ولا زوجت شيئًا من بناتي إلا بإذن جاءني به جبريل عن الله"

قلت: قال ابن عدي في الكامل في الضعفاء: وهذا الحديث أيضًا باطل بهذا الإسناد، ونقل ابن عساكر في تاريخ دمشق قول ابن عدي على الحديث (٢).

٢- ما جاء في صفحة (١٠٢) من نفس الكتاب:

قال رسول الله :مكتوب في التوراة: "من بلغت له ابنة اثنتي عشرة سنة فلم يزوجها فأصابت إثمًا فإثم ذلك عليه".

قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير:

"رواه البيهقي عن عمر بن الخطاب وعن أنس بن مالك، وحديث أنس هذا ما أورده البيهقي من طريق شيخة الحاكم وقال عقبه: هذا وجدته في أصل كتابه –

---

(١) مقدمة صحيح مسلم (١٠٥/١) ط. دار الحديث.

(٢) الكامل في الضعفاء (٤٩٥/١) ط. دار الكتب العلمية. بيروت.

يعني بكر بن محمد بن عبدان الصيرفي، وهذا الإسناد صحيح والمتن شاذ بمــرة. قال الإمام أحمد: إنما يرويه بالإسناد الأول، وهو بهذا الإسناد منكر" أ.ه (١).

فاتضح من ذلك شذوذ المتن ونكارة السند فهو حديث مركب مختلق لــيس موجودًا في شيء من كتب أحكام الإسلام.

مما يضاف إلى ما سبق تلك المصادر التي ينقل منها زويمر، بل ويُعْلي من شأنها وشأن مؤلفيها مثل كتاب "قصص الأنبياء المسمى بالعرائس" لأبي إســحاق الثعلبي (ت ٤٢١).

قال ابن الجوزي عن تفسيره:" ليس فيه ما يُعاب به إلا مــا ضــمَّنه مــن الأحاديث الواهية التي هي في الضعف متناهية خصوصًا في أوائل السور"، وقــال ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير: "والثعلبي هو في نفسه كان فيه خيــر ديــن، ولكنه كان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفســير مــن صــحيح وضــعيف وموضوع"، وقال ابن كثير في البداية والنهاية: "يوجد في كتبه من الغرائب شــيء كثير."

وكتابه في قصص الأنبياء فيه كثير من الإسرائيليات والأخبــار الواهبــات والغرائب(٢).

فجعل زويمر هذا الكتاب عمدته في الكلام على حياة النبي وزواجــه ممــا أوقعه في كثير من الغرائب التي لم تذكر في كتب التاريخ والسير المعتمدة(٣).

وكذلك تراه ينقل عن ابن الكلبي هشام بن محمد بــن الســائب الإخبــاري المتروك هو وأبوه.

قال أحمد بن حنبل: ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه.

---

(١) فيض القدير (٣/٦) ط. المكتبة التجارية.

(٢) مقدمة أصول التفسير لابن تيمية (٩) ط. دار الوطن، الرياض، والبداية والنهايــة لابــن كثيــر (١٥/٦٦٠). ط. دار هجر.

(3) The Moslem Christ, P. 9.

وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة (١).

أضف إلى ذلك ما سبق بيانه في الكلام على مصادر الدين الإسلامي واعتماده على الواقدي، وكذلك أبو الفرج الأصفهاني في كتابه "الأغاني" وقد بينت حالهما في الموضع المشار إليه.

وتراه كذلك يعتمد على الأخبار المرسلة غير المتصلة تاركًا الصحيح المسند المعتمد في كتب الحديث كما فعل فيما أورده بخصوص نزول جبريل – عليه السلام – على النبي – صلى الله عليه وسلم – في غار حراء وقد بينت ذلك أيضًا في موضعه ولله الحمد والمنة.

بناء على ما سبق يطرأ سؤال أجاب عنه Yohannes Bekele في أطروحته المشار إليها سابقًا عن صموئيل زويمر.

أما السؤال فهو: لماذا كان هذا من زويمر، ولم يعتمد كلية على ما هو موثوق فيه؟

وأما الجواب فهو:

"It was clear that Zwemer's writing was from a missionary point of view for the Purpose of Missions" (2).

"قد كان واضحًا أن كتابات زويمر كانت من وجهة نظر تبشيرية لغرض الإرساليات التبشيرية".

---

(١) انظر :الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٠١/١٠) ط. الرسالة، وكلام زويمر تجده في كتابه "Islam A challenge to Faith, P. 12.

(2) Bekele, P. 43.

المبحث الثاني

السمات المنهجية في كتابة زويمر

المطلب الأول

عدم الموضوعية

ولا نعني بالموضوعية ما يُسمى بالحيادية في إبداء الرأي دون تأثر بخلفية دينية أو ثقافية أو اجتماعية، فهذا غير مستطاع خاصة خارج المنهج التجريبي القائم على الفحص والتجريب؛ وإنما هي إبداء الرأي استنادًا إلى قرائن ودلائل تملك من الصحة والشمول بما يكفي لتكوين رأي مناسب حول موضوع ما دون تعصب أو اختزال لدليل الخصوم أو التقليل من أهميته مع رفع شأن دليل المعارض وبيان قطعيته في الدلالة أو غير ذلك، مما ينافي آداب البحث والمناظرة[١] يقول الشوكاني – رحمه الله – في بيان حال هؤلاء:

"فإن من كان كذلك يبالغ في إيراد أدلة مذهبه، ويطيل ذيل الكلام عليها ويصرح تارة بأنها أدلة وتارة بأنها حجج وتارة بأنها صحيحة ثم يُطفف لخصمة المخالف فيورد أدلته بصيغة التمريض ويعنونها بلفظ الشبه وما يؤدي هذا المعنى" أ.هـ [٢].

ويقول د. مصطفى السباعي – رحمه الله – وهو يبين لنا موازين البحث عند كثير من المستشرقين:

"يعتمد جمهرة المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن الشريعة الإسلامية على ميزان غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي، فمن المعروف أن العالم

---

(١) المناظرة في الاصطلاح: المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فالمتناظران كل منهما يفحص ويفتش عما يصحح به حجته ويبطل به حجة خصمه، أنظر: آداب البحث والمناظرة (١٣٩) للأمين الشنقيطي. ط. عالم الفوائد.

(٢) أدب الطلب (١١٤) ط. ابن حزم.

المخلص يتجرد عن كل هوى وميل شخصي فيما يريد البحث عنه ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها، فما أدت إليه بعد المقارنة والتمحيص كان هو النتيجة المحتمة التي ينبغي عليه اعتقادها، ولكنَّ أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لإثباتها، فلا يهمهم صحة الدليل من عدمه بمقدار ما يهمهم من إمكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية، وكثيرًا ما يقعون في أمور عجيبة بسبب ذلك" أ.ه [١].

لقد كان الدكتور السباعي – رحمه الله – ممن خبر المستشرقين وكتاباتهم فجاء حكمه مطابقًا لحالهم ويتضح ذلك بأمور ظاهرة في كتابات زويمر منها:

١- حكمه المسبق قبل الدراسة والمقارنة بشكل يظهر منه العصبية وبالتالي إمَّا أن يزهد القارئ الباحث عن الحق في مطالعة ما هو مكتوب، أو أن يُكِّون لديه رأيًا قد يؤثر على حكمه النهائي، وتجد هذا في مواضع.

أ) تقريره على لسان Clair Tisdall أن سبب فساد وانحطاط الإسلام أنه تمثل في شخصية النبي – صلى الله عليه وسلم – [٢].

ب) تقريره وقطعة على لسان كل دارس لمقارنة الأديان أن الإسلام خليط من الوثنية واليهودية والنصرانية في مقدمة كلامه على الاعتقاد في الأرواح [٣].

ج) تقريره وقطعة أن الإسلام دين فانٍ تكمن عوامل موته في كل ما يتعلق به حتى في قرآنه ونبيه – صلى الله عليه وسلم – [٤].

وقد بيَّن أستاذنا الدكتور أن ما سبق إنما هو من صور الجدل التنصيري، وذلك بإضافتهم للمقدمات والملاحق التي لا تهدف إلى بيان مضمون النصوص

---

(١) المستشرقون مالهم وما عليهم (٥٤) المكتب الإسلامي.

(٢) مقدمة كتاب Islam: A challenge to faith.

(3) The influence of Animism on Islam" P. 1.

(4) The disintegration of Islam. P. 7.

وإنما هي جدليات ضد اصالة الإسلام وسخرية من محتـواه ومحـاولات للحـط منه(١).

٢- أن زويمر أحيانًا يردد كلامًا هو محض كذب وافتراء ينقله عمـن اشـتهر بعصبيته وبغضه الشديد للإسلام كجولدزهير وكويل، وما ذلك إلا محاولـة منه لتشويه السنة النبوية ونسبتها للاختلاق، فتراه يـزعم زورًا وكـذبًا أن علماء المسلمين ما هم إلا مجموعة من الكذبة الذين لا يتورعون عن نسبة أقوال اخترعوها إلى النبي – صلى الله عليه وسلم بعد موته فتراه يقول:

"It is easy to understand how close contact with Christians and Christian teaching gave rise to this kind of poetry, but it is not so easy to understand or to explain how after Mohammed's death distinctively Christian teaching, may, the very words of Christ, his parables and his deepest lessons, are by tradition mongers put into the mouth of Mohammed, as if he were the originator of them" (2).

"من السهل أن نفهم الصلة الوثيقة بين المسيحيين والتعـاليم المسـيحية وهذا النوع من الشعر (٣) ولكن ليس سهلاً أن نفهم أو نشرح كيف وضُعت هـذه التعاليم المسيحية، بل كل كلمة للمسيح من الأمثال والعبر الرصينة في فم (علـى لسان) محمد بواسطة ناقلي الأحاديث خاصة بعد موته كما لـو كـان هـو مـن أنشأها!".

ثم ينقل كلامًا مشابهًا له عن جولد زهير يحاول فيه إثبات أن السنة النبويـة هي من وضع المسلمين بعد موت النبي – صلى الله عليه وسـلم – خاصـة فـي فضائل النبي، فكل فضيلة لعيسى – عليه السلام – نقلها المسلمون لتكون لنبيهم – صلى الله عليه وسلم –، وهذا محض افتراء يقال في مثله **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَـانَكُمْ إِنْ**

(١) الغارة التنصيرية، ص ١٦٨، مرجع سابق.
(2) The Moslem Christ, P. 149 نقلا عن Dr. Koelle.
(٣) أبيات عن المسيح ذكرها قبل هذا المقتطف من كلامه.

كُنتُمْ صَادِقِينَ) (١) وقد سبق الجواب عن ذلك وأزيد هنا مبينًا عصبية زويمر وعدم موضوعيته في دراسته من خلال هذا الخيال الذي لا يمكن لعقل أن يقبلــه وذلــك لأسباب منها:

أ) أنه لا يمكن لمجتمع مهما بلغ انحرافه أن يتواطأ كلٌّ من فيه ولأجيــال متعاقبة، وفي بلدان مختلفة على الكذب على زعيمهم وقدوتهم، حتى قال "توماس كاريل" وهو يبين سخف هذا المدعي.

"لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدن من أبناء هــذا العصــر أن يُصغي إلى ما يُظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدًا خدَّاع مزور، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة... أفكان أحــدكم يظــن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها الملايين الفائتة الحصر أكذوبة وخدعــة؟! أمَّا أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدًا، ولو أن الكذب والغش يروجــان عنــد خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم ذلك التصديق والقبول، فما النــاسُ إلا بُلــه ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث" أ.هـ (٢).

ب) لو كان المحدثون والفقهاء، تعمدوا الكذب، فلمــاذا إذن اهتمــوا بنقــد الأحاديث؟ ولماذا لم يتركوا سنة النبي – صلى الله عليــه وســلم – إلا وقسموها لصحيح وضعيف؟ ولماذا وضعوا كتبًا في العلــل والرجــال والجرح والتعديل ورحلوا وصبروا في سبيل ذلك، والأمر كله كذب كما يدعي؟

إن تحيز زويمر، وتعصبه العنصري ضد المسلمين أوقعه في مصادمة لأهم أصل من أصول المنهج العلمي، وهو الموضوعية، مع أنَّه كثيرًا مــا يحــاول أن يُلبس دراسته ثوب الدراسة العلمية الدقيقة وهو في نفس الوقت عنده قناعة مســبقة

---

(١) البقرة: من الآية ١١١.

(٢) الأبطال لتوماس كارليل ص ٥٤ مرجع سابق ، وانظر: العيوب المنهجية في كتابات المستشــرق شاخت (٢٩).

أن الإسلام متهم، فدراسته ما هي إلا لإثبات ذلك، فهو لم ينطلق في دراسته بحثًا عن الحقيقة، وإنما ليبرهن أن الإسلام متهم في عقيدته، وفي تشريعاته، متهم في ظلمه للمرأة، متهم أنه دين قتل وسفك للدماء، فماذا كانت النتيجة؟!

للأسف الشديد أن بعض المسلمين ممن قصد الدفاع عن هذه الفرى زاد الطين بلة فراح يدفع تهمة الإرهاب وسفك الدماء بالدعوى لتعطيل شعيرة الجهاد، وحتى لا نتهم بظلم المرأة، دعا لتشريع قوانين تخالف شرع الله بالمساواة في الميراث والسماح بالتبرج وغير ذلك، والله تعالى يقول: **(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)**[1]، فليس هذا منهجًا صحيحًا للرد وذلك لأن الانحراف لا يُقابل بانحراف أخر، وإنما المنهج الصحيح في بيان الصورة الصحيحة للإسلام التي حاول هؤلاء طمسها من خلال أمور لعلها ظهرت من خلال هذه الدراسة التي أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلي أن تكون خالصة لوجهه، بعيدة عن الزيغ والانحراف، إنَّه ولى ذلك والقادر عليه.

---

(١) البقرة: من الآية ١٢٠.

المطلب الثاني
كثرة الدعاوى وتناقضها

من أبرز الأمور في كتابات زويمر عن الإسلام كثرة دعاويه، بل والقطـــع بها بلا برهان بيِّن مما يفقد تلك الكتابات مصداقيتها، ولذلك كان حكم نجيب العقيقى في كتابه "المستشرقون" مطابقاً في وصفه لكثير من آراء زويمر حيث قـــال: "لـــه مصنفات في العلاقات بين المسيحية ودين الإسلام، أفقـــدها بتعصـــبه واعتســـافه وتضليله قيمتها العلمية"(١).

هاكم شيئاً من هذه الدعاوي على سبيل المثال لا الحصر.

١- زعمه أن نبينا – صلى الله عليه وسلم – مدين بشكل كبير للديانة اليهودية، بل إن كلَّ دارسي الإسلام يعترفون بذلك – على حد قوله – (٢).

٢- زعمه نفس الأمر بالنسبة للديانة المسيحية(٣).

٣- زعمه أن مواعظ عيسى – عليه السلام – وحكمه وضعت على لسان النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد موتـــه، وأن كـــلَّ فضـــيلة لعيســـى جعلهـــا المتأخرون لنبينا – صلى الله عليه وسلم – بعد موته (٤).

٤- زعمه أن علوم الطب التي ذكرت في القرآن والسنة سببها مصاحبة النبـــي – صلى الله عليه وسلم – للحارث بن كلدة فاستفاد كلَّ ذلك منه (٥).

٥- زعمه أن الإسلام دين يفتقد إلى الروحانيات، ويدلل على ذلك بما لم يفهـــم معناه من كلام أئمة كأبي بكر وعلي ومعاوية – رضي الله عنهم – وكذلك سفيان الثوري، وبالتالي مات هؤلاء على يأسٍ وشك (٦).

(١) نجيب العقيقى (نصراني): المستشرقون (١٠٠٥/٣) ط. دار المعارف ط. الثالثة.
(2) A challenge to Faith, P. 16.
(3) Ibid, P. 21.
(4) The Moslem Christ P. 148.
(5) Child hood in the Moslem World, P. 61.
(6) The Mohammedan world of Today. P. 15.

٦- زعمه أن الإيمان بالقدر كان سببًا في أمور كثيرة كتخلف المسلمين عن ركب الحضارة، وكان حجة لهم في مساويهم من سرقة وزنًا وغير ذلك، فمجرد أن يقول المتهم أمام القاضي (الله كتب ذلك) يحكم ببراءته، كما أنه كان سببًا في إهمال صحة الأطفال وترك علاجهم (١).

٧- اتهام المسلمين بأنهم لم يسهموا في أي مجال من مجالات التقدم يومًا ما(٢).

٨- زعمه أن سبب تدني الجانب الأخلاقي عند المسلمين هو ارتباطهم دائمًا بتقليد النبي – صلى الله عليه وسلم – (٣).

٩- دندنته المستمرة على فرية انتشار الإسلام بحد السيف (٤).

١٠- زعمه بان الإسلام ظلم المرأة، بل لو خُيرت المرأة بين حياة الجاهلية وما كانت فيه من مهانة وحياة الإسلام لاختارت الأولى (٥).

تلك عشرة كاملة موثقة مما سطره زويمر بيده لمن أراد الرجوع إليها تبين لنا ذلك المنهج الذي اتبعه زويمر في دراسته أو تقديمه للإسلام لمن أراد العمل في المجال التبشيري، فهو عمل كما نرى أُسِّس على جرف هارٍ أكثره دعاوي أبناؤها أدعياء.

ولا شك أن ذلك راجع في بعض صوره إلى النظرة الاستعلائية إلى الإسلام وتراثه الثقافي، وهذه النظرة يؤثر فيها بشكل كبير الشعور بالمركزية الغربية والتفوق الحضاري، فالأصل الذي ينبغي أن يتحاكم إليه الإسلام من زاوية المطابقة وعدمها لتثمر المدح أو الذم هو الحضارة الغربية، فلم يكن زويمر أحد هؤلاء الذي يحجمون عن النقد خشية الاتهام بالعداء للإسلام، وبالتالي الاكتفاء بعرض معطيات تراث الإسلام كما هي، وإنما هي عنصرية ثقافية تجدها مخبوءة حيناً، أو واضحة وضوح الشمس في كتاباته.

---

(1) The Moslem Doctrine of God. P. 98. Childhood. P. 62, Islam: A challenge to Faith P. 96, The Mohammedan world of Today, P. 62.
(2) Childhood, P. 43.
(3) Islam a challenge to Faith, P. 123.
(4) Our Moslem sisters. P. 152.
(5) Across the world, P. 96.

بل هناك من الدعاوى ما نقضها زويمر نفسه في موضع أخر، فتراه في موطن ما يدعي أمرًا ما ويرتب عليه أمورًا، وفي موضع أخر يخالف كلامه بما ينقضه، فلا أدري... أهذا نسيان منه أم لحظة صدق مع النفس؟!

فمن ذلك ما ذكره عن حديث القرآن والسُّنة عن السيد المسيح – عليه الصلاة والسلام – فنراه يقول:

"In considering the character and content of Moslem Monotheism a Christian can never forget that Jesus Christ has no place in the Moslem idea of God, and that the portrait of our saviours as given in the Koran and in tradition is a sad caricature"(1) .

"بالنظر إلى طابع ومضمون التوحيد عند المسلمين، لا يمكن لمسيحي أن ينسى أن عيسى المسيح لا مكان له في الفكرة الإسلامية عن الرب، وأن صورة مُخَلِّصنا في القرآن والسنة لا تعدو أن تكون رسمًا ساخرًا.

فهل رسم الشرع صورة ساخرة للمسيح عليه السلام، خاصة أننا لمَّا أردنا معرفة معنى كلمة "Caricature" ومغزاها عند زويمر وجدناها كالتالي في قاموس "Cambridge" (٢).

"To represent the description of someone in a way which make them look ridiculous"

"ونحن نعلم أن كلمة ridiculous تعني: سخيف أو تافه أو مضحك في حين أننا نجد زويمر في مقدمة كتابه عن المسيح في الإسلام يقول:

"Islam is the only one of the great non-Christian religions which gives a place to a Christ in its book" (3).

"يعتبر الإسلام هو الوحيد من الديانات غير المسيحية العظمى الذي أعطى مكانًا للمسيح في كتابه".

(1) The Muslim Doctrine of God, P. 88.
(2) Cambridge International Dictionary of English. P. 197.
(3) The Moslem Christ., P. 7.

ثم أخذ يدلل على ذلك بالآيات الواردة في ذكر المسيح ومولده ومعجزاتــه وأوصافه وأسمائه في مواضع فاقت ذكر نبيِّ الإسلام نفسه – صلى الله عليه وسلم – فهل هذه صورة ساخرة رسمها الإسلام للمسيح أم أنها الدعاوى وتناقضها؟!

تجد هذا التناقض أيضًا في حديثه عن فرية انتشار الإسلام بالسيف ثم هــو بعدها أو في موطن أخر يبين الدور العظيم الذي قام به تجار المسلمين بــأخلاقهم في نشر الإسلام حتى قال: إن كلَّ واحد من هؤلاء التجار يعتبــر نفســه مســئولاً ومبشرًا للإسلام مع ما معه من وسائل قليلة أو معدومة بخلاف المبشر المسيحي.

ونجد هذا التناقض أيضًا في ادعائه ظلم الإسلام للمرأة وأنها لو خُيرت بين الجاهلية والإسلام لاختارت الجاهلية ثم هو يذكر أحاديث في سنة النبي – صــلى الله عليه وسلم – تعلى من شأن المرأة وأنها متاع الــدنيا وتحمــل الرجــل علــى الاهتمام بها مما لا نجده في التوراة ولا في الإنجيل كما سبق بيانه.

(قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) (١).

(١) سبأ: الآية ٢٦.

المطلب الثالث

تزييف حقائق التاريخ الإسلامي

لا شك أن تاريخ كلِّ أمة هو كالمرآة التي تعكس ماضيها، وتترجم حاضرها، وتستلهم من خلاله مستقبلها، ولذلك حرصت أمتنا على تدوين ذلك التاريخ بصور شتى ما بين موسوعات عظيمة دونت كلَّ حدثٍ بسند إلى ناقله لمعرفة صحيحه من سقيمه كتاريخ الإمام الطبري، بل هذا منهج المؤرخين في القرون الثلاثة الأولى (١)، ومنهم من دون التاريخ ناقدًا ومبينًا وجه الصواب فيما ينقل ومن هؤلاء الحافظ ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية، ومن قبله الإمام ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ"، ومنهم من تناول السيرة النبوية دون غيرها، ومنهم من تناول عصرًا من العصور كالعصر الأموي أو العباسي أو الفاطمي أو غير ذلك، بل منهم من تناول مسألة بعينها كالفتوحات الإسلامية أو أخبار الحرمين أو الفتنة التي وقعت بين الصحب الكرام، أو فتنة القول بخلق القرآن، ومن هنا نعلم أن تاريخنا الإسلامي لم يترك أمرًا يتعلق بالعالم الإسلامي منذ مبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى يومنا هذا إلا ودونه وحفظه لنا، وذلك لأنه تاريخ دين وعقيدة قبل أن يكون تاريخ دول ومعارك ونظم سياسية، فبالعقيدة نشأت هذه الكيانات من الدول والمجتمعات بنظمها السياسة والإدارية والتعليمية والاقتصادية وغيرها بصرف النظر عن الأخطاء والانحرافات التي تقع أثناء التطبيق (٢).

لمَّا كان تاريخ الأمم بهذه الأهمية، خصوصًا أمتنا، سعت طوائف من أعدائها في تزييف حقائق التاريخ الإسلامي، وقد رصد لنا علماؤنا شيئًا من ذلك، ومنه على سبيل المثال ما قام به الروافض وغيرهم من وضع للأحاديث وبعض

---

(١) انظر على سبيل المثال: تاريخ خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ)، تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ت ٢٨١ هـ).

(٢) محمد بن صامل السّلمي، منهج كتابه التاريخ الإسلامي (٦) ط. الرسالة. بيروت.

أحداث التاريخ نصرة لمذهبهم مما هو معلوم للقاصي والداني حتى إنك لتجد كلَّ أديب ومؤرخ منهم يرى فرضًا عليه أن يخترع ما لم يسبقه إليه سلفه من خبرٍ موضوع أو قصة مخترعة تشويهًا لسيرة السلف وهدمًا للدين الإسلامي (١).

ومنه أيضًا ما ذكره الذهبي في السير في ترجمة الخطيب البغدادي: "وأظهر بعض اليهود كتابًا ادَّعى أنه كتاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، وذكروا أن خط علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فيه، وحُمل الكتاب إلى رئيس الرؤساء، فعرضه على الخطيب، فتأمله، وقال: هذا مزَّور، قيل: من أين قلت؟ قال: فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح، وفُتحت خيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين. فاستحسن ذلك منه" (٢).

وغير ذلك كثير يجده المرء مثبوتًا في كتب تصدت لإيضاح هذه المغالطات التاريخية كما في "العواصم من القواصم" للإمام ابن العربي المالكي، ومنهاج السنة النبوية " للإمام ابن تيمية، وكذا كتب الحافظ ابن حجر العسقلاني كـ "فتح الباري"، و "لسان الميزان" و "الإصابة في معرفة الصحابة"، وغير هؤلاء.

بالرغم من كشف هذه الزيوف التاريخية على يد علماء المسلمين، إلا أن طائفة من علماء الغرب والمستشرقين والمنصرين تلقفت تلك الأكاذيب ووجدوا فيها ضالتهم، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها بغرض التشويه والصد عن الدين الإسلامي، خاصة بعد فشلهم في تحقيق أهدافهم على الارض الإسلامية عن طريق الحملات الصليبية، فراحوا ينشرون مذكرات وكتبًا تعتمد على تفسير خاطئ لأحداث التاريخ تبعًا للتصور والاعتقاد الذي يدينون به، وقد شمل مصادر

---

(١) المصدر نفسه (٥٥٤).

(٢) السير (١٨/٢٨٠) ط. الرسالة.

التشريع وجناب النبي – صلى الله عليه وسلم – والفتوحات الإسلامية، وتعامل المسلمين مع غيرهم، وكيفية انتشار الإسلام في العالم وغير ذلك [١].

لم يكن زويمر بمنأى عما كتبه من سبقه، بل سار بسيرتهم وزاد عليهم مزيفًا حقائق تاريخيه قد فُرغ من بحثها وبيان وجه الصواب فيها ومن ذلك:

١- زعمه أن نبينا – صلى الله عليه وسلم – حصل على أخبار عيسى – عليه السلام – عن طريق القصص التي كانت تُحكى له في طفولته عن المسيح، وكذلك ذهابه إلى سوريا في رحلات التجارة فيما بعد ولقاؤه بالرهبان وتعلمه على أيديهم، ثم مروره المستمر بالقبائل المسيحية في شمال الجزيرة العربية، ثم لمَّا زَعم أنه تعلَّم كذلك على يد مارية القبطية أم ولده إبراهيم[٢].

وكل هذا من الكذب الصراح الذي لا تجد أثارة من علم تدل عليه لا بسند متصل أو منقطع، بل حتى من غير سند، فمع من جلس النبي – صلى الله عليه وسلم – قبل مبعثه في طفولته أو شبابه ليقصَّ عليه قصص المسيح عليه السلام؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، واين المصادر التي تثبت اجتماعه بالرهبان وجلوسه بين يدي أم ولده ليتعلم منها؟!

٢- زعمه أن معرفة نبينا – صلى الله عليه وسلم – بعلم الأجنة وبالطب وما يتعلق به من أمور ذُكرت في القرآن والسنة ترجع بشكل كبير لأحد أصدقائه وهو الحارث بن كلدة [٣].

وهذا ما لم نجده في شيء ما بين أيدينا من كتب التاريخ أو السيرة، بل هذا شيء لم يكتشفه العلم الحديث إلا متأخرًا، ولم يكن نبينا – صلى الله عليه

(١) ينظر في ذلك كتابات فيليب حتى، وجولد زيهر، وبالجريف، ودائرة المعارف الإسلامية، وبرنارد لويس، وبروكلمان وغير هؤلاء كثير (إسماعيل الكيلاني: منهج استشراقي في تزييف حقائق التاريخ الإسلامي).

(2) The Moslem Christ, P. 11.

(3)- Child hood in the Moslem world. P. 61.

وسلم – معروفًا بالكلام في الطب ولا بعلاج المرضى قبل بعثته، فكيف يقال إنه اكتسبها من أحد المخلوقين؟!

٣- الفرية الكبرى، وهي فرية انتشار الإسلام بالسيف على مدار أثنى عشر قرنًا، وهي فرية قديمة ردَّ عليها علماء متقدمون كالقاضي عبد الجبار وأبي الحسن العامري كما سبق، وهذه الفرية أكثر زويمر من ترديدها في كتبه سواء على لسانه أو لسان غيره من الحاقدين على الإسلام (١).

وهذه خرافة لا حقيقة لها على حد قول بعض من تصدى لها، وإلا فأين في كتب التاريخ تلك المذابح التي ارتكبها المسلمون ضد غيرهم؟! لم يكن دخول الناس في الإسلام وانتشاره بينهم إلا عن قناعة وفرار من ظلم من يحكمهم إلى عدل الإسلام ورحمته، والتاريخ مليء بالحوادث التي تشهد لذلك (٢)، وأما ما استند إليه زويمر من استدلاله بما سماه بمذبحة الأرمن وما فعله الوهابيون –هكذا سماهم – في خصومهم وكذلك المهدي في السودان (٣) فهذا مما يحتاج لمزيد بحث لإثباته، وعلى فرض ثبوته، فإين هذه الفترة من اثنى عشر قرنًا يزعم زويمر انتشار الإسلام خلالها بالسيف، وبالسيف وحده، وأين التوثيق العلمي لهذا الزعم؟!.

٤- ومما له علاقة بما سبق ما نقله على لسان أندرو واطسون Andrew Watson من أن سبب ارتداد النصارى عن دينهم إلى الإسلام في مصر ما تعرضوا له من عذاب واضطهاد مستمر بالإضافة إلى قسوة وسوء معاملة جيرانهم المسلمين، وكذلك الإعاقات السياسية بكل صورها (٤).

---

(1)- Islam: A challenge to faith, P. 78, The Moslem World, P. 48.

(٢) نقل كثيرًا منها: د. شوقي أبو خليل في كتابه "الإسلام في قفص الاتهام"، ص ١١٩ – ١٣٨، ط. دار الفكر.

(3)Ibid, P. 115

(4) The Mohammedan world of Today. P. 24.

ولو كان الأمر كما ذكر لانتشر الإسلام في ربوع مصر المحروسة في وقت وجيز لا أن يستغرق قرونًا ليتحول المصريون إلى الدين الإسلامي، وكذلك لسطَّر لنا التاريخ بعضًا من هذه الحوادث خاصة وهناك من يتربص من قديم بهذا الدين، وأنَّى لهم أن يجدوا ذلك في كتب التاريخ المكتوبة بأيدي من يتكلم بلسانهم فضلاً عن المؤرخين المسلمين (١).

٥- زعم زويمر أن الدين الإسلامي به فقر شديد في الروحانيات بخلاف المسيحية ونتيجة ذلك أن مات كثير من أعلام الإسلام وعظماؤه على شك ويأس ومن هؤلاء:

- أبو بكر الصديق.
- علي بن أبي طالب.
- معاوية بن أبي سفيان.
- عمر بن الخطاب.
- سفيان الثوري.

ومرجع الحكم الذي أصدره على هؤلاء الأفاضل كتاب ترجمه وليام موير إلى الإنجليزية سماه "مصباح الهدى إلى سير الفدا" لكاتب لم يذكر اسمه وإنما ذكر أنه صاحب "الباكورات" (٢).

فأين يوجد هذا الكتاب المومى إليه؟! ومن مؤلفه؟! وهل لا يوجد في تاريخ المسلمين – طالما أنه اعتمد عليهم فترجم لهم – مَن كَتب سيرة هؤلاء؟! ألم تكتب سيرتهم في المطولات كالكتب التي أفردت لتراجم الصحابة كأسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر، والاستيعاب لابن عبد البر؟! ألم تُكتب في ثنايا كتب التاريخ كالبداية والنهاية لابن كثير ومن قبله تاريخ الطبري؟! ألم تكتب في كتب

(١) توماس كارليل، الدعوة إلى الإسلام (١٢٣) بواسطة الإسلام في قفص الاتهام لشوقي خليل، مرجع سابق.

(2) The Mohammedan World of Today. P. 15.

الزهد والرقائق ككتب ابن أبي الدنيا، وأبي نعيم؟! ألم تُفرد سيرهم بالكتابة كما فعل الإمام الآجرِّي في أخبار عمر بن عبد العزيز، وعلاء الدين الفارسي (٧٣٩) في فضائل الصديق، وغير هؤلاء كثير؟!

ينبغي لمن أراد أن تكون الموضوعية سمة له في كتاباته أن يعتمد على ما هو موثوق به من مصادر تاريخية، أما أن يزيف التاريخ بما لم يرد فيه، أو يضع بعض الكلمات والرسائل على لسان من يتكلم عنهم أو أن يحلل ويفسر التاريخ على مقتضى فكره وتصوره ثم بعد ذلك يدعي اتباع الروح العلمية المجردة والمنهج العلمي في البحث، فهذا مما لا أثر له في كثير من كتابات القوم (١).

لقد كان ما سبق بعض ما حاول به زويمر قلب الحقائق وتزييف التاريخ وغيرها مثبوت في ثنايا البحث، غير أني أتساءل: هل عمد زويمر إلى ذلك فعلاً، أم أن هذا قصارى جهده فيما عرفه عن الإسلام وأهله حيث قال:

"The fact is that often the more some think they know about Islam, the less they really know"

إذا كان حاله، فكيف يحكم على الإسلام، وتاريخ الإسلام؟!

إن الدفاع عن تاريخ المسلمين لا يقل أهمية عن الدفاع عن مصادر التشريع؛ وذلك لأن التاريخ الإسلامي فرع أساسي من فروع الدراسات الإسلامية وله صلة وثيقة بالعلوم الدينية كالحديث والفقه والسيرة وغير ذلك، بل المتتبع لكتابات المستشرقين عن التاريخ الإسلامي يلاحظ أنهم ركزوا أول ما ركزوا على هدم الاساس الذي قام عليه التاريخ الإسلامي، وهو النبي – صلى الله عليه وسلم – فوصفوه بعدة أوصاف مفتراه تدور كلها حول اتهامه بالكذب وأنه مؤلف للقرآن ويصفونه بالشهوانية والدعوة إلى سفك الدماء ونشر الإسلام بالسيف، وغير ذلك من افترائهم، وكل ذلك من أجل إيجاد سدٍّ منيع بين العقول الأوربية والدين

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي (٥٥٨) مرجع سابق.

الإسلامي، ومن أجل تشويه صورة الإسلام الممثلة واقعيًا في تاريخه، ولذلك – على حد قول د. عبد العظيم الديب – جاءت معظم أعمال المستشرقين سواء الأبحاث أم التحقيق أم النشر أم الترجمة في مجال التاريخ بمعناه العام السياسي، والحضاري، والاجتماعي، والفرق والمذاهب،.... الخ، فلم يتركوا بابًا إلا طرقوه لتحقيق مآربهم [1]، وهذا ما فعله زويمر حيث طرق كلَّ هذه الأبواب بأسلوب مبني على الإجحاف لا الإنصاف مبني على أحكام مسبقة موضوعة قبل البحث عن مقدمات توصل إلى النتائج، وبالتالي كانت ثمرة ذلك ما رأيناه.

(١) عبد العظيم الديب، المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي (٥٩) ط. رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر.



النتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه خاتمة الرسالة، وهي تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها ويمكن إجمالها فيما يلي:

- من خلال ترجمة زويمر لاحظت أن التعليم الكنسي يسبق التحصيل الاستشراقي مما يعني وجود الرأي المسبق للمستشرقين تجاه الإسلام، الأمر الذي لا يستطيع المستشرق التخلص منه في أبحاثه.
- ضخامة الإنتاج الاستشراقي بالنسبة لزويمر حيث كتب أكثر من أربعين كتابًا بالإضافة إلى المقالات العديدة في مجلة العالم الإسلامي وغيرها، وكذلك الدعم الهائل من قبل الحكومات الغربية لهذا النوع من الدراسات بالإضافة إلى دعم التبشير كذلك.
- لاحظت أن عدم تناول ما كتبه زويمر بالتحليل والنقد التفصيلي إلى الآن يرجع إلى أن كتبه لم تترجم إلى اللغة العربية وهي مشكلة جعلت الكلام عن منهج زويمر كلامًا عامًا وجملاً يسيرة يتناقلها علماء المسلمين فيما بينهم.
- إن نظرية تأثر القرآن الكريم بالوثنية أو اليهودية والنصرانية مبناها على مقدمتين، الاولى وجود تشابه بينهم والثانية وجود ظرف تاريخي تم فيه هذا التأثر، وكلا المقدمتين عارٍ عن الصحة، فهو مجرد ادعاء لا يستند إلى دليل علمي كما سبق بيانه.
- نال الحديث عن قضايا المرأة المسلمة وأحوالها في العالم الإسلامي قسطًا كبيرًا من الاهتمام في كتابات زويمر على الأخص، فلا يكاد كتاب له يخلو من ذلك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ما تلعبه إثارة الدعاوي

والشبهات حول هذا الموضوع من دور في محاولة الطعن في الإسلام وتشكيك المرأة في جميع قناعاتها الإسلامية وهويتها الثقافية.

- من أوهى الشبهات التي رددها زويمر في كثير من كتبه كغيره ممن سبقه فرية انتشار الإسلام بحد السيف، ولذلك لم يكن عنده ما يعضد به هذه الشبهة إلا تكرارها، وكأن المبدأ عنده "ما تكرر تقرر!".
- لم يَبْن زويمر دعاويه التي ادَّعاها في كتاباته على حجج قوية تركنُ إليها نفس طالب الحق، وإنما هو شبهات رددها كما رددها غيره من المستشرقين ممن ردَّ عليهم علماء المسلمين قديمًا وحديثًا.
- كانت هناك عدة أسباب أدت إلى الانحراف في كتابات زويمر من أبرزها تعصبه وجهله بلغة العرب، والحكم على الإسلام من خلال سلوك معتنقيه، وبالتالي فقدت كثيرٌ من كتاباته قيمتها.
- كثير من كتابات زويمر لا تعدو أن تكون نقولاً عمن سبقه أو عاصره، ثم زاد هو عليها أو شرحها بأسلوبه، وبالتالي أستطيع أن أقول :إن زويمر كان أقرب للقب مبشر منه إلى مستشرق.
- لم يعتمد زويمر على كتابات مستشرق بعينه بلغة معنية، وإنما نقل عن مستشرقين أسبانيين أمثال Lull، وألمانيين مثل Koelle و Pfander، وإنجليزيين مثل T.V. French و Tisdsallو H. Martyn .

إذا كان الأمر كذلك، فإن الباحث يوصي:

- بدراسة جذور كتابات زويمر دراسة تفصيلية، وأخص بالذكر كتابات موير Muir لأنها كتبت بشكل أكاديمي وكذلك Henry Martyn.
- بدراسة أثر كتابات المستشرقين على الأفراد والاتجاهات المعاصرة من المتكلمين بألسنتنا لما في ذلك من معرفة أصل الداء، وبالتالي سهولة معالجته.

- بمزيد اهتمام بدراسة الاستشراق ودارسيه بتوفير أصول كتب المستشرقين التي اعتمد عليها من درسها ونقدها من أعْلامنا فقد يتيسر لطالب العلم ما لم يتيسر لشيخه حين النظر في هذه الأصول، وقديمًا قالوا: "كم ترك الأول للأخر!"، وكذلك تدعيم الطلاب بالبعثات واللقاءات المستمرة في هذا الجانب.

- بكتابة ردود على ما ألَّفه المستشرقون طعنًا في الإسلام، بحيث تكون هذه الردود تفصيلية لا مجملة، وكذلك في شكل مقالات وأبحاث متوسطة تتداولها الجامعات فيما بينها لنشرها بين الطلاب مما يعمل على إثراء هذا الجانب جدًا.

- إقامة دورات للمبتعثين في الغرب دراسة أو إقامة من أجل تحصينهم ضد الشبهات المثارة حول الإسلام، بل ويتثنى لهم بيان صورة الإسلام الصحيحة.

- إبراز ما ردده بعض المستشرقين في نقدهم لمستشرقين أخرين، فهذا النقد العلمي الذي يذكره المستشرقون له دلائله، وقد يكون أبلغ في باب النقد والتصدي، وليس من الكياسة أن نبتعد عن المنصفين.

كما يوصي الباحث بتحديد الضوابط الرئيسة للرد على المتعصبة من المستشرقين حتى يتم تحقيق الهدف المطلوب، وذلك على النحو التالي:

- نسبة الأقوال لأصحابها في مصادرها الأصلية دون زيادة ولا نقصان تُخلُّ بمقصود المردود عليه.

- تحليل ما جاء في هذه الأقوال للوقوف على النقاط التي تحتاج للنقد تأييدًا أو ردًا.

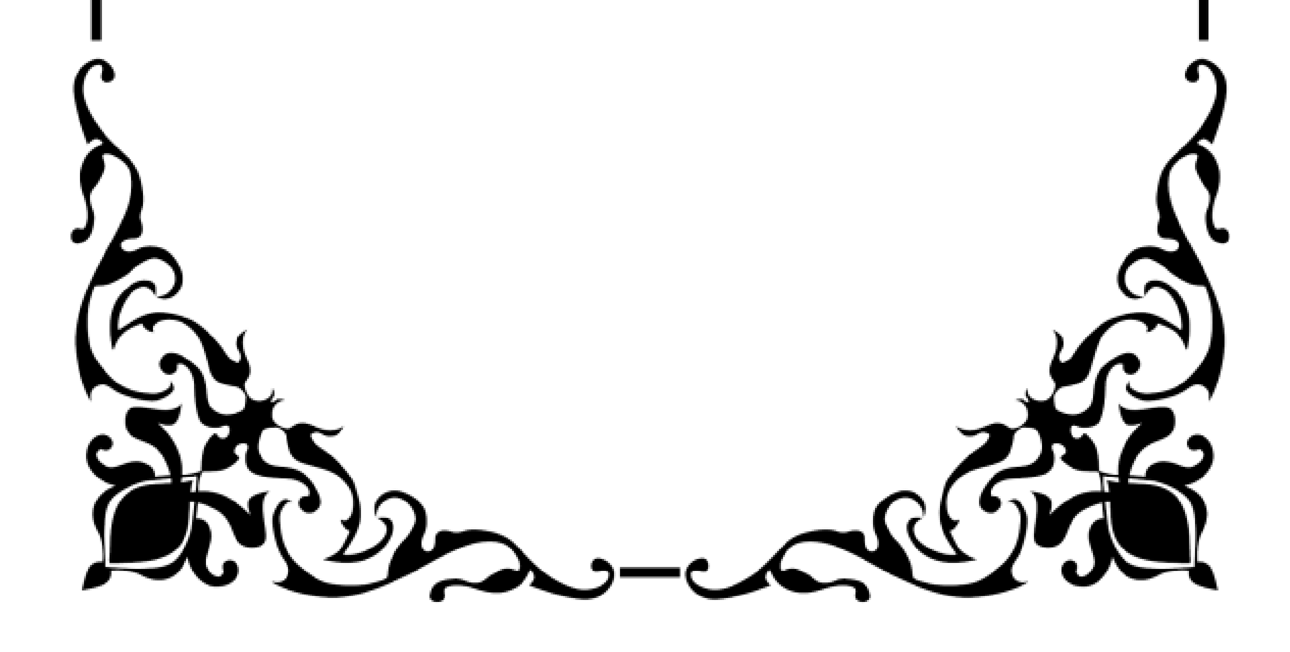
- إتباع منهج نقد كلام المردود عليه بما يعتمد عليه من مصادر كالكتاب المقدس وتفاسيره، وكلام غيره من المستشرقين.

- استخدام الدليل النقلي المتمثل في الكتاب والسنة الصحيحة وكلام العلماء وكذلك البرهان العقلي، فهما متعاضدان غيرُ متعارضين، وذلك لأن الذي خلق العقل هو الذي أنزل الشرع "تنزيل من حكيم حميد".

وختامًا، فهذا جُهد المقلِّ، وما كان فيه من صواب، فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، فرحم الله من عَقَلَ عن الله، ورجع عن القول الذي يخالف الدليل، وقال بقول أئمة الهدى، وترك دينَ الشطان، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.



الفهارس العامة للكتاب



فهرس الآيات

حسب ورودها في الرسالة

م	الآيـــــة	الصفحة
١	أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ [آل عمران]	٢
٢	وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ[آل عمران]	٢
٣	شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ [آل عمران]	٢
٤	وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً [النساء]	٢
٥	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) [يونس]	٥٠
٦	وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) [البقرة]	٥٠
٧	رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) [يوسف]	٥٠
٨	يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ [يوسف]	٥٠
٩	وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ [الأعراف]	٥١
١٠	رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ [النمل]	٥١
١١	إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا[المائدة]	٥١
١٢	فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[آل عمران]	٥١

م	الآيـــــة	الصفحة
١٣	وإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ[المائدة]	٥١
١٤	اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا[المائدة]	٥٢
١٥	وإِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ [البقرة]	٥٥
١٦	قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ ومَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ ومَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٣٢)) [يونس]	٥٥
١٧	رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا[مريم]	٥٥
١٨	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ (٣) ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)) [الإخلاص]	٥٥
١٩	وحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب]	٦٠
٢٠	وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) [العصر]	٦٠
٢١	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا[النمل]	٦١
٢٢	قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ[الإسراء]	٦١
٢٣	لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ[النحل]	٦٦
٢٤	وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ[النحل]	٦٧
٢٥	لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ[النحل]	٦٨
٢٦	يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ(٩)) [الصف]	٦٩
٢٧	الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ	٧٣

الصفحة	الآيــــة	م
	الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)) [الأعراف]	
٧٤	وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت]	٢٨
٧٩	وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ[التكوير]	٢٩
٨٠	وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ [العنكبوت]	٣٠
٨٩	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ[البقرة]	٣١
٩٣	فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ[الحج]	٣٢
٩٦	فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا...... [البقرة]	٣٣
٩٧	فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ[الطارق]	٣٤
٩٧	وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ[الذاريات]	٣٥
٩٧	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا[الحج]	٣٦
٩٧	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ[المؤمنون]	٣٧
٩٨	كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ [الرعد]	٣٨

م	الآيـــــة	الصفحة
٣٩	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا [إبراهيم]	٩٨
٤٠	لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ[الفتح]	٩٩
٤١	فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ [الدخان]	٩٩
٤٢	إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ) [الدخان]	٩٩
٤٣	رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ [الدخان]	١٠٠
٤٤	وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [الصف]	١٠٠
٤٥	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ [الأنعام]	١٠١
٤٦	وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) [الحاقة]	١٠٣
٤٧	قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) [النمل]	١٠٤
٤٨	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) [البقرة]	١٠٥

م	الآيـــــة	الصفحة
٤٩	وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ[فاطر]	١٠٧
٥٠	أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) [الأعراف]	١١٢
٥١	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) [النحل]	١١٢
٥٢	يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ[الحج]	١١٢
٥٣	قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ[الرعد]	١١٢
٥٤	هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ[لقمان]	١١٢
٥٥	اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ[الأعراف]	١١٣
٥٦	وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا[نوح]	١١٣
٥٧	قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ [هود]	١١٣
٥٨	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ[الأنعام]	١١٣
٥٩	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) [الشعراء]	١١٣

م	الآيـــــة	الصفحة
٦٠	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ[إبراهيم]	١١٣
٦١	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ[النحل]	١١٤
٦٢	وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ [الحج]	١١٤
٦٣	وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) [البقرة]	١١٥
٦٤	وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ(٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) [الحج]	١١٥
٦٥	فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ[الحج]	١١٦
٦٦	وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ [الحج]	١١٦
٦٧	ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ [البقرة]	١١٨
٦٨	جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ [الإسراء]	١١٩

م	الآيـــــة	الصفحة
٦٩	وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ [البقرة]	١٢٢
٧٠	وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأعراف]	١٣١
٧١	هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [الحديد]	١٣١
٧٢	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [الشعراء]	١٣٢
٧٣	وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [النحل]	١٣٤
٧٤	الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) [الحاقة]	١٣٧
٧٥	إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا [البقرة]	١٤٣
٧٦	يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ [الإسراء]	١٤٣
٧٧	وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ [يس]	١٤٣
٧٨	وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ [الحجر]	١٤٣
٧٩	وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ [البقرة]	١٤٤
٨٠	الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) [الرحمن]	١٤٧
٨١	تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ [الرحمن]	١٤٧
٨٢	الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة]	١٤٧
٨٣	الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى [طه]	١٤٧
٨٤	قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُون (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٤) [النحل]	١٤٨

م	الآيـــــة	الصفحة
٨٥	فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ [يونس]	١٤٨
٨٦	وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ [الرعد]	١٤٩
٨٧	إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا [مريم]	١٤٩
٨٨	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [الحشر]	١٥٣
٨٩	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ...... وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [البقرة]	١٥٣
٩٠	قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ [آل عمران]	١٥٤
٩١	قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ(٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)) [آل عمران]	١٥٤
٩٢	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .... فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ [المائدة]	١٥٤
٩٣	وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ ..... كَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ [الأعراف]	١٥٤
٩٤	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُون (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) [يونس]	١٥٥

م	الآيـــــة	الصفحة
٩٥	وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) [الشعراء]	١٥٥
٩٦	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ [الأنعام]	١٦١
٩٧	إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة]	١٦١
٩٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا [النساء]	١٦٢
٩٩	إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) [هود]	١٦٦
١٠٠	يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ [الصافات]	١٦٦
١٠١	وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [يوسف]	١٦٦
١٠٢	وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ [القصص]	١٦٧
١٠٣	وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [القصص]	١٦٧
١٠٤	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ [آل عمران]	١٦٨
١٠٥	فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ [البروج]	١٧٠
١٠٦	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا [الأحزاب]	١٧٠

م	الآيـــــة	الصفحة
١٠٧	وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ[يس]	١٧٠
١٠٨	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا [الفرقان]	١٧٠
١٠٩	الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ [غافر]	١٧١
١١٠	لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا [البقرة]	١٧١
١١١	مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ[النساء]	١٧١
١١٢	وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ [ق]	١٧١
١١٣	إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ [النساء]	١٧١
١١٤	لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٢٩) [التكوير]	١٧١
١١٥	مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ [المدثر]	١٧٢
١١٦	قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) [المدثر]	١٧٢
١١٧	لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ [الأنعام]	١٧٢
١١٨	قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ[الأنعام]	١٧٢
١١٩	وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا[الطلاق]	١٧٤
١٢٠	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) [المؤمنون]	١٧٧
١٢١	وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ (٢١) [الذاريات]	١٧٧
١٢٢	فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) [الواقعة]	١٧٧
١٢٣	وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [التوبة]	١٧٨
١٢٤	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الجمعة]	١٧٨
١٢٥	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ [الملك]	١٧٩

م	الآيـــة	الصفحة
١٤٣	وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا [الأحزاب]	٢٠٢
١٤٤	فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ [محمد]	٢٠٢
١٤٥	مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[النحل]	٢٠٣
١٤٦	إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [الأحزاب]	٢٠٣
١٤٧	وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ [النور]	٢٠٤
١٤٨	إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥) [النور]	٢٠٥
١٤٩	إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠) [النور]	٢٠٦

الصفحة	الآيـــــة	م
٢٠٧	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا[الأحزاب]	١٥٠
٢٠٧	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ[آل عمران]	١٥١
٢٠٨	الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ [الأنعام]	١٥٢
٢١٠	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً [الرعد]	١٥٣
٢١٥	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ [غافر]	١٥٤
٢١٥	وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا [الفرقان]	١٥٥
٢١٧	وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا [النساء]	١٥٦
٢١٧	وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا [النساء]	١٥٧
٢٢٠	سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [فصلت]	١٥٨
٢٢١	مِيثَاقًا غَلِيظًا [الأحزاب]	١٥٩
٢٢١	هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ [البقرة]	١٦٠
٢٢٢	الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ[البقرة]	١٦١
٢٢٦	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[الروم]	١٦٢
٢٢٦	وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا[النساء]	١٦٣
٢٢٦	وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا [السناء]	١٦٤
٢٢٧	يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا[الطلاق]	١٦٥

م	الآيـــــة	الصفحة
١٦٦	فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (٣٤) وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)) [النساء]	٢٢٧
١٦٧	الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ[البقرة]	٢٢٨
١٦٨	أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الملك]	٢٢٩
١٦٩	مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا [المائدة]	٢٣٩
١٧٠	وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ [الأنعام]	٢٣٩
١٧١	وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) [التكوير]	٢٣٩
١٧٢	أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى [الطلاق]	٢٤٠
١٧٣	كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ[المائدة]	٢٤٢
١٧٤	قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ[الزمر]	٢٤٢
١٧٥	وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا[الجن]	٢٤٣
١٧٦	وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) [سبأ]	٢٤٣
١٧٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ [التحريم]	٢٤٤
١٧٨	وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم]	٢٤٧
١٧٩	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا [الفرقان]	٢٤٩
١٨٠	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا [الأحزاب]	٢٥٠

م	الآيـــــة	الصفحة
١٨١	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل]	٢٥٠
١٨٢	وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ[البقرة]	٢٥٠
١٨٣	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي[يوسف]	٢٥٤
١٨٤	وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ [الصف]	٢٥٦
١٨٥	وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ [البقرة]	٢٨١
١٨٦	قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ [سبأ]	٢٨٥

فهرس الأحاديث

حسب ورودها في الرسالة

فهرس الأشعار

"Glossary"

ترجمة كلمات مهمة وردت في البحث

معناها	الكلمة	معناها	الكلمة
باعث	Impulse	عقيدة	Creed
حروب صليبية	Crusades	التجسد	Incarnation
فرسان	Knights	ألوهية	Deity
غزو	Conquest	الثالوث	Trinity
أرض مقدسة	Holy land	حجر عثرة	Stumbling – block
الإرسالية العربية	The Arabian mission	المسيحية	Christianity
مآذن	Minarets	لا يمكن فهمها	Unfathomable
مبشر	Missionary	دنيوي	Secular
يعمل	Labour	مذهل	Stounding
استشراق	Orientalism	معايير	Criteria
مستشرق	Orientalist	يتهاوى	Crumble away
اشتقاق	Derivation	شعائر	Altars
المخلِّص	Redeemer	رسول	Apostle
احتلال	Occupation	أسلاف	Ancestors
تبشيري	Evangelistic	إلغاء	Revocation
سيف	Sword	مُجَّمع	Composite
الوحدة الإسلامية	Pan-Islamism	المسلمون	Saracen
حكاية رمزية	The parable	يخمد	Smother
الجراد	Locusts	غزو	Invasion
مدين لـــ....	Indebted to	اليهودية	Judaism
صنم	Idol	مذاهب	Doctrines

الكلمة	معناها	الكلمة	معناها
Old Testament	العهد القديم	Tribes	قبائل
Composite	مركب	The black stone	الحجر الأسود
Faiths	اعتقادات	Circumambulate	يطوف
Critical study	دراسة نقدية	Projection	الإسقاط
Ransom	فدية	Monotheism	توحيد
Miracle	معجزة	Pantheism	وحدة الوجود
Illiterate	أمي (لا يقرأ ولا يكتب)	Solitary force	القوة المنفردة
		The Bible	الإنجيل
Scribes	كتاب (ج. كاتب)	Conscience	الضمير
		Believers	المؤمنون
Significance	مغزي	Humanity	البشرية
Commentaries	تعليقات	Fatalism	القدر
Treaty	معاهدة	Advancement	التقدم
Oath of Rid hwan	بيعة الرضوان	Fanaticism	عصبية
Theologian	عالم دين	Mohammedanism	الديانة المحمدية
Existence	وجود	Seclusion	عزلة
Attributes	صفات	Polygamy	تعدد الزوجات
Pagan ideas	أفكار وثنية	Divorce	الطلاق
Pilgrimage	الحج	Slavery	الرق
Moral Stature	مكانة أخلاقية	Evils	شرور
Conduct	سلوك	Cross	صليب
Ethical standard	مستوى أخلاقي	Liberty	الحرية
		Heroism	بطولة
Cosmogony	نشأة الكون	Propagandist	داعية

معناها	الكلمة	معناها	الكلمة
هلال	Crescent	عداء	Intolerance
تفكك	Disintegration	الجهل	Ignorance
التسري	Concubinage	الخرافة	Superstition
لعنة	Curse	شياطين	Demons
المصير	Destiny	براءة	Innocence
تقدم	Progress	إحصاء	Census
تخلف	Regress	تعاويذ	Amulets
رسم ساخر	Caricature	الحضارة	Civilization
مسالم	Pacifist	محاكاة	Imitation



فهرس المراجع
والمصادر العلمية

المراجع العربية

١- ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ط الرسالة، ط الثانية ١٤٢١ هـ.

٢- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط. الرسالة، بيروت، ط الثانية.

٣- ابن أبي يعلي أبو الحسين ، طبقات الحنابلة، ط دار المعرفة. بيروت.

٤- ابن الأثير الجزري أبو السعادات ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط المكتبة العلمية، بيروت.

٥- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، اقتضاء الصراط المستقيم، ط ابن الجوزي، مصر، الطبعة الأولى.

٦- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، ط دار العاصمة، الرياض، ط الثانية، ١٤١٩هـ.

٧- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم ، مقدمة أصول التفسير، ط دار الوطن، ط الأولى.

٨- ابن تيمية أحمد عبد الحليم ، درء تعارض العقل والنقل، ط جامعة الإمام الإسلامية، ط الثانية ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٩- ابن تيمية أحمد عبد الحليم ، مجموع الفتاوي، ط العبيكان. الرياض، ط الأولى ١٤١٩هـ.

١٠- ابن فارس أحمد بن زكريا ، مقاييس اللغة، ط دار الحديث. ط الأولى ١٤٢٩هـ.

١١- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم ، تأويل مشكل القرآن، ط الرسالة ط الأولى ١٤٣٢.

١٢- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط دار ابن الجوزي. الرياض، ط الأولى، ١٤٢٣ هـ.

١٣- ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، ط عالم الفوائد. مكة. ط الأولى.

١٤- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هَدْي خير العباد، ط الرسالة، ط الثالثة، ١٤٢٢ه.

١٥- ابن قيم الجوزية، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ط دار الصميعي. الرياض. ط الأولى ١٤٢٩ ه.

١٦- ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين، ط عالم الفوائد، مكة، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط الأولى ١٤٢٩ ه.

١٧- ابن قيم الجوزية، مختصر الصواعق المرسلة، ط أضواء السلف، الرياض، ط الأولى ١٤٢٥ ه.

١٨- ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، ط دار ابن القيم، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٥.

١٩- ابن قيم الجوزيه، هداية الحيادي في أجوبة اليهود والنصارى، ط عالم الفوائد. مكة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ ه.

٢٠- ابن كثير عماد الدين ، تفسير القرآن العظيم، ط دار طيبة، الرياضة ط الرابعة ١٤٢٨ه.

٢١- ابن منظور محمد بن مكرم ، لسان العرب، ط دار الحديث، ط ١٤٢٣ه.

٢٢- أبو زهرة محمد ، محاضرات في النصرانية، ط الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، ط الرابعة، ١٤٠٤ه.

٢٣- أبو شهبة محمد ، الإسلام وقضايا العصر، ط مكتبة السنة، ط الأولى.

٢٤- أبو ليلى محمد ، القرآن الكريم من لمنظور الاستشراقي، ط. دار النشر للجامعات ط. الأولى، ١٤٢٣ه.

٢٥- الآجرِّي أبو بكر ، الشريعة، ط مدار الوطن، الرياض، ط الثانية ١٤٢٠.

٢٦- أحمد بن حنبل، المسند، ط الرسالة، ط الأولى ١٤٢١ه. تحقيق: شعيب الأرناؤط وآخرين.

٢٧- أحمد شلبي اليهودية، ط الثامنة، ١٩٨٨، ط مكتبة النهضة.

٢٨- أحمد محمد شاكر، مجموع مقالات، ط دار الآثار، ط الأولى ١٤٣٤ه، جمعها: إبراهيم بن محمود المصري.
٢٩- الألباني محمد بن ناصر الدين ، ضعيف سنن النسائي، ط دار المعارف. الرياض.
٣٠- الألباني محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط المعارف، الرياض، ١٤١٥ه - ١٩٩٥م.
٣١- الألباني محمد ناصر الدين ، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م.
٣٢- أنور الجندي، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث، ط دار الاعتصام، بدون تاريخ.
٣٣- الباجوري عبد الله ، المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها، ط مكتبة الثقافة. المدينة المنورة. ط الثانية.
٣٤- البغدادي عبد القادر ، خزانة الأدب، ط الخانجي، تحقيق: عبد السلام هارون، ط الرابعة ١٤١٨ه.
٣٥- البغوي أبو الحسين ، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، ط دار طيبة، الرياض. ط الأولى ١٤١٢ه.
٣٦- البلاذري أحمد بن يحيي ، فتوح البلدان، ط دار الهلال. بيروت ١٩٨٨م.
٣٧- البهي محمد ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط مكتبة وهبة. ط العاشرة.
٣٨- البهي محمد ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، ط مطبعة الأزهر.
٣٩- البهي محمد ، المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام، ط الإدارة العامة للثقافة، القاهرة.

٤٠- البيروتي محمد بن طاهر ، العقائد الوثنية في الديانـــة النصـــرانية، ط دار عمران. بيروت، مكتبة الزهراء بحرم جامعة القاهرة تحقيق د. محمد عبـــد الله الشرقاوي.

٤١- التميمي محمد خليفة ، الصفات الإلهية، ط أضـــواء السـلف، ط الأولــى ١٤٢٢ه.

٤٢- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ط مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠.

٤٣- الجابري عبد المتعال ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ط مكتبة وهبة، القاهرة.

٤٤- الجرجاني عبد القاهر ، أسرار البلاغة، تحقيق. أحمد شـــاكر، ط مطبعـــة المدني.

٤٥- الجليند محمد السيد، من قضايا الفكر الإسلامي، ط دار الهاني.

٤٦- جمال فوزي، العدوان الصليبي على الشرق الإسلامي، ط دار الهاني.

٤٧- الجوهري إسماعيل بن حمـــاد ، الصـــحاح، ط دار الحـــديث، ط الأولــى ١٤٣٠ه.

٤٨- الجوهري، مختار الصحاح، دار الحديث.

٤٩- حسن عزوزي، مناهج المستشرقين البحثية في دراسة القـــرآن الكـــريم، ط فاس. الأولى.

٥٠- حسين الجبوري، عوارض الأهلية عند علماء أصول الفقـــه، ط جامعـــة أم القرى ط الثانية ١٤٢٨ ه.

٥١- حسين الجبوري، عوارض الأهلية عند علمـــاء الأصـــول، ط جامعـــة أم القرى، ط الثانية، ١٤٢٨ه.

٥٢- حمد عبد الله، صموئيل زويمر: لقاء المسيحية بالإســـلام، ط البحـــرين، ط الأولى، ٢٠١١م.

٥٣- الخطابي أبو سليمان ، شأن الـــدعاء، ط دار الثقافـــة العربيـــة، ط الثالثـــة ١٤١٢ه.

٥٤- دراز محمد عبد الله ، البنا العظيم، ط دار القلم، الكويت، ط العاشرة ١٤٢٩هـ.
٥٥- الدرامي عثمان بن سعيد ، الردُّ على الجهيمة، ط المكتبة الإسلامية. ط الأولى ١٤٣١هـ.
٥٦- الدريس خالد بن منصور ، العيوب المنهجية في كتابات المستشرق شاخت، ط مجمع الملك فهد. ط الأولى.
٥٧- الديب عبد العظيم ، المستشرقون والتراث، ط دار الوفاء، ط الثالثة.
٥٨- الذهبي شمس الدين ، تذكرة الحُفاظ، ط دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٩هـ.
٥٩- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء، ط الرسالة، بيروت ط الحادية عشر ١٤٢٢.
٦٠- الرازي فخر الدين ، مفاتيح الغيب، ط إحياء التراث، ط الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٦١- الرازي فخر الدين ، مفاتيح الغيب، ط. دار إحياء التراث.
٦٢- رحمت الله الهندي، إظهار الحق، ط الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء، ط الرياض، ط الخامسة.
٦٣- الرضواني محمود عبد الرازق ، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب المقدس دراسة مقارنة، ط دار سلسبيل ط الأولى.
٦٤- الرفاعي محمد عبد الحميد ، عطاء الحضارة الإسلامية، ط دار الهاني، مصر. ٢٠١٠م.
٦٥- الزبيدي المرتضى ، تاج العروس، ط دار الهداية، تحقيق مجموعة من المحققين.
٦٦- زينب عبد العزيز، تنصير العالم، ط دار الوفاء، مصر.
٦٧- السامرائي فاضل ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ط. دار الرفاعي، ط الأولى، ١٩٨٣.

٦٨- السايح أحمد عبد الرحيم ، الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، ط. الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٦٩- السباعي مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون، ط دار الوراق. بيروت. ط السابعة ١٤٢٠ ه.

٧٠- السباعي مصطفى ، المستشرقون مالهم وما عليهم، ط المكتب الإسلامي.

٧١- سعد بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط أضواء السلف، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥ه.

٧٢- السعدي عبد الرحمن بن ناصر ، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ط أضواء السلف، ط الأولى ١٤١٩ه.

٧٣- سعدي عبد الرحمن بن ناصر ، الدرة البهية شرح القصيدة التائية، ط دار أضواء السلف، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٣ه/٢٠١١م.

٧٤- سعدي عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط دار الاستقامة. مصر. ط الأولى ١٤٣٤ه.

٧٥- السلمي محمد بن صامل ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي، ط الرسالة، بيروت، ط الثانية.

٧٦- السيوطي جلال الدين ، الدار المنثور، ط. دار الفكر.

٧٧- الشرقاوي محمد عبد الله ، الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، ط دار الهداية.

٧٨- الشرقاوي محمد عبد الله ، بحوث ودراسات في مقارنة الأديان، ط دار الجيل، بيروت، ط الثانية، ١٩٩٩.

٧٩- شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون، ط مكتبة الحياة، بيروت ط الأولى.

٨٠- شلبي عبد الودود ، الإسلام وخرافة السيف، ط دار الفتح للإعلام العرب، ط الأولى ١٤٢٦ه.

٨١- الشنقيطي محمد الأمين، آداب البحث والمناظرة، ط عالم الفوائد. مكة. ط الأولى ١٤٣٣.

٨٢- الشنقيطي محمد بن الأمين ، أضواء البيان، ط دار إحياء التراث، بيروت. ط الأولى ١٤١٧ ه.
٨٣- شوقي أبو خليل، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ط دار الفكر. بيروت. ط الأولى.
٨٤- شوقي أبو خليل، الإسلام في قفص الاتهام، ط دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة عشر ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.
٨٥- الشوكاني محمد بن علي ، أدب الطلب ومنتهى الأدب، ط دار ابن حزم، بيروت. ط الأولى ١٤١٩ه.
٨٦- الصابوني محمد علي ، روائع البيان تفسير آيات الأحكام، ط دار إحياء التراث، بيروت، ط الأولى ١٤٢١.
٨٧- الطبري محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل القرآن، ط ابن الجوزي المصرية، ط الأولى، ١٤٣٠ه.
٨٨- الطبري محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل القرآن، ط الرسالة، بيروت ط الأولى ١٤٢٠.
٨٩- الطيباوي عبد اللطيف ، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية "دراسة نقدية"، ترجمة. د. قاسم السامرائي، ط عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام. السعودية.
٩٠- العامري أبو الحسن ، الإعلام بمناقب الإسلام، ط دار الأصالة، الرياض. ط الأولى ١٤٠٨ ه.
٩١- عبد التواب هيكل، تعدد الزوجات في الإسلام، ط دار القلم. بيروت.
٩٢- عبد الراضي عبد المحسن، أبجديات المنطق ومناهج البحث، ط. دار الثقافة العربية، ٢٠١٤م.
٩٣- عبد الراضي عبد المحسن، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، ط مجمع الملك فهد.

٩٤- عبد الراضي عبد المحسن، مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القــرآن الكريم، دراسة تاريخية نقدية، ط ١٤٢٣ه.

٩٥- عبد الراضي عبد المحسن، منهج أهل السنة والجماعة فــي الــرد علــى النصارى، ط دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط الثانية، ١٤١٥ه/١٩٩٥م.

٩٦- عبد الصبور مرزوق وآخرون، حقائق الإســلام فــي مواجهــة شــبهات المتشككين، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط السادسة.

٩٧- عبد العظيم الديب، المنهج عند المستشــرقين ط دار الوفــاء، ط الثالثــة. ١٤١٣ه.

٩٨- عبد الله بن جار الله بن إبراهيم، كمال الدين الإسلامي وحقيقته ومزاياه، ط وزارة الشئون والدعوة والإرشاد، السعودية، ط الأولى، ١٤١٨ ه.

٩٩- عبد الله عبد الغني سرحان، الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنيــة، ط دار الحضارة الرياض، ط الأولى.

١٠٠- عبد الملك ابن هشام. سيرة ابن هشام، ط. شركة الطباعة الفنية.

١٠١- عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، ط البابي الحلبي، ط الثانية.

١٠٢- عبد المنعم فؤاد، من افتراءات المستشرقين على الأصــول العقديــة فــي الإسلام، ط العبيكان، ط الأولى ١٤٢٢ ه.

١٠٣- العثيمين محمد بن صالح ، القواعد المُثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ط دار الفرقان، ط الأولى، ١٤٣٤ه/٢٠١٣م.

١٠٤- العسقلاني أحمد بن حجر ، التلخيص الحبير في تخريج أحاديــث الرافعــي الكبير، ط مؤسسة قرطبة. مصر، ط الأولى ١٤١٦ه.

١٠٥- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط دار الريان، مصر. الطبعة الثالثة ١٤٠٧ ه.

١٠٦- العظيم آبادي محمد شمس الحق ، سنن أبي داود بشرحه عون المعبود، دار الحديث، مصر، ط ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

١٠٧- العقيقي نجيب ، المستشرقون، ط دار المعارف، مصر، ط الثالثة.

١٠٨- العكبري أبو عبد الله بن بطة ، الإبانة الكبرى، ط دار الراية. ط الثانية ١٤١٥هـ.
١٠٩- علاء أبو بكر، إنسانية المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى، ط مكتبة وهبه. ط الأولى.
١١٠- عماد الدين خليل، قالوا عن الإسلام، ط دار الندوة العالمية، ط الأولى.
١١١- عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، ط دار طيبة، الرياض. ط الأولى.
١١٢- العمري أكرم ضياء: الاستشراق والقرآن، ط دار روايا للدراسات والبحوث، الدوحة، ط الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
١١٣- الفريد لوشاتيليه، الغارة علي العالم الإسلامي، نقلها للعربية محب الدين الخطيب، ط منشورات العصر الحديث، ط الثانية.
١١٤- القاسمي جمال الدين ، محاسن التأويل، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٨هـ.
١١٥- القرطبي محمد بن أحمد ، تفسير القرطبي، ط التوفيقية ط الأولى.
١١٦- القرني عبد الله بن محمد ، المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، ط مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
١١٧- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي، ط. دار الإرشاد، بيروت، ط الأولى.
١١٨- المباركفوري محمد عبد الرحمن ، سنن الترمذي بشرحه تحفة الأحوذي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١١٩- المبِّرد أبو العباس ، الكامل في اللغة والأدب، ط دار الكتب العلمية، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط الأولى ١٤٢٤ هـ.
١٢٠- مجموعة علماء، التفسير الوسيط، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط الأولى ١٤١٤ هـ.

١٢١-مجموعة علماء، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ط دار الندوة العالمية، ط الرابعة ١٤٢٠ ه.
١٢٢-مجموعة علماء، بيان الإسلام، ط دار نهضة مصر، ط الأولى.
١٢٣-محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، نقله إلى العربية: د. عمر فروخ، ط دار العلم للملايين، بدون تاريخ، والنسخة الإنجليزية ط. دار الأندلس.
١٢٤-محمد بلتاجي، في أحكام الأسرة، ط دار التقوى، ط الأولى.
١٢٥-محمد عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ط دار الفضيلة، القاهرة، ط الأولى.
١٢٦-محمد علي إسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، ط دار الكلمة، الطبعة الثالثة.
١٢٧-محمد محسن خان، تقي الدين الهلالي، تفسير معاني القرآن باللغة الإنجليزية، ط دار السلام ١٩٩٦م.
١٢٨-محمد محمد حسين، أزمة العصر، ط مكتبة ابن تيمية، ط الثالثة، ١٤٣٢ه.
١٢٩-محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ط مكتبة ابن تيمية. مصر. ط الأولى ١٤٢٩ه.
١٣٠-محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ط المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية.
١٣١-محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ط الخانجي، ط الثانية، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م.
١٣٢-المحمود عبد الرحمن بن صالح ، القضاء والقدر، ط دار الوطن، ط الثانية ١٤١٨ ه.
١٣٣-المرداوي علاء الدين ، التحبير شرح التحرير، ط مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى ١٤٢١ه.
١٣٤-المطيري عبد المحسن ، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، ط. دار البشائر.
١٣٥-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط الثالثة.

١٣٦- المعري أبو العلاء ، شرح ديوان المتنبي (معجز أحمد)، ط الهيئة المصرية للكتاب، ط الثانية ٢٠١٢م.
١٣٧- المعلِّمي عبد الرحمن بن يحيي ، رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإلـــه، ط عالم الفوائد. مكة، ط الأولى ١٤٣٤ه.
١٣٨- المقدم محمد أحمد إسماعيل ، عودة الحجاب، ط دار طيبـــة. الريـــاض ط العاشرة ١٤٢٧ ه.
١٣٩- المناوي، فيض القدير، ط المكتبة التجارية، مصر، ط الثانية.
١٤٠- منقذ السقار، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، ط رابطـــة العـــالم الإسلامي، بدون تاريخ.
١٤١- موسى البسيط، رد الطعون الواردة في الموسوعة العبريـــة عـــن الإســـلام ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، ط الملك فهد بالمدينة.
١٤٢- الميداني عبد الرحمن حسن ، أجنحة المكر الثلاثة، ط دار القلم، دمشق، ط الثامنة.
١٤٣- النجدي محمود ، النهج الاسمي، ط مكتبة الإمام الذهبي. الكويت ط السابعة ١٤٢٦ ه.
١٤٤- النووي يحيي بن شرف الدين ، صـــحيح مســـلم بشـــرح النـــووي، ط دار الحديث، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م.
١٤٥- هراس محمد خليل ، شرح العقيدة الواسطية، ط دار البصيرة، ط الأولـــى ٢٠٠٢م.
١٤٦- هراس محمد خليل ، شرح نونية ابن القـــيم، ط دار المنهـــاج ط الأولـــى ١٤٢٤.
١٤٧- الهمذاني القاضي عبد الجبار ، تثبيت دلائـــل النبـــوة، ط دار المصـــطفى بشبرا، مصر.

المراجع الأجنبية

كتب زويمر:

1- S. Zwemer and Annie Van Sommer. Daylight in The Harem. Copyright 1911. Oliphant, Anderson and Ferrier. Edinburgh and London.

2- S. Zwemer. A cross the world of Islam. Copyright 2006, Fleming H. Revel Company. London and Edinburg.

3- S. Zwemer. Childhood in The Moslem World. Copyright 2005, Fleming H. Revel Company. London and Edinburg.

4- S. Zwemer. Islam: Achallenge to Faith. Copyright 1909 New York. Student volunteer Movement. Prepared by www.muhammadanism.org 2004.

5- S. Zwemer. Mohammed or Christ, Fleming H. Revel Company. London and Edinburg.

6- S. Zwemer. Our Moslem Sisters. Copyright 2006. Fleming H. Revel Company. London and Edinburg.

7- S. Zwemer. The Cross above the Crescent. Zonder vane Publishing House. Michigan.

8- S. Zwemer. The Disintegration of Islam. Copyright 1916. Fleming H. Revell Company. New York.

9- S. Zwemer. The influence of Animism on Islam. Copyright 1920. The Macmillan Company. New York.

10- S. Zwemer. The Mohammedan World of To-day. Fleming H. Revell Company. Second Edition.

11- S. Zwemer. The Moslem Christ. Copyright 2004. Oliphants LD. London and Edinburg.

12- S. Zwemer. The Moslem Ooctrine of God. Copyright 1905. New York. American Tract Society.

13- S. Zwemer. The Moslem World. Copyright 1908. New York. Young People's Missionary Movement.

كتب أخرى:

1- Cambridge, International Dictionary of English. Cambridge University Press 1995.

2- Herbert Berg, "Review of Ibn Warrqq's the origins of Koran: classic Essays on Islamic Holy Book. Bulletin of the school of Oriental and African studies.

3- J. Wilson. Christy. Apostle to Islam, A biography of S.M. Zwemer. Copyright 1952. Baker Book House. Michigan.

4- Lamartine. The History of the Turks. New York. D. Appleton & Company, Broadway.

5- Michael H. Hart. The 100: A Ranking of the most influential persons in History. A Citadel Press Book. Published by Carol Publishing Group.

6- Samuel Lachs. Arabbinic Commentary on The New Testament. KTAV publishing House 1987.

7- Yohannes Bekele. Samuel Zwemer's missionary strategy Towards Islam. Copyright 2012. University of Birmingham.

مقالات على الشبكة العنكبوتية :

1- Wikipedia.org.Samuel Zwemer.

2- En.wikipedia.org. The scudder Family of missionaries in India.

3- www.IslamicAwareness.com. Comments on Geiger & Tisdall's Books on the sources of the Quran.

4- People.uncv.edu/berg/CV.PDF

5- En.Wikipedia.org/Gifford Palgrave.

6- www.Landoverbaptist.org "Women Probably don't have Souls".

7- www.Islam.stackexchange.com "Do Women have Souls according to Islam?"

8- www.pewforum.org. "The Future of world religions population growth projections, 2010-2050.

فهرس الموضوعات



ملخص الرسالة

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: منهج دراسة الإسلام عند زويمر "١٨٦٧ – ١٩٥٢".
"دراسة نقدية"

الباحث: محمد سميح فاضل فضل

"وذلك لنيل درجة الماجستير في الفلسفة ومقارنة الأديان".

لقد ناقشت هذه الرسالة منهجية صموئيل زويمر في دراسة الإسلام باعتباره واحدة من أبرز المستشرقين والمبشرين في عالمنا المعاصر، وترجع أهمية هـذه الدراسة إلى أنها قامت بمناقشة آراء زويمر عن الإسلام من خلال كتبه ومقالاتـه مناقشة تفصيلية، وقد جاء هذا البحث في فصول أربعة على النحو التالي:

الفصل الأول: دراسة زويمر لمصادر العقائد الإسلامية ومدى تـأثر الإسلام بالوثنية واليهودية والمسيحية.

الفصل الثاني: دراسة زويمر للعقائد الإسـلامية كالإيمـان بـالله واسـمائه وصفاته والإيمان بالنبي – صلى الله عليه وسلم – وعقيدة القضاء والقدر وتأثيرها على علاقة الرب بالعالم.

الفصل الثالث: دراسة زويمر لأخلاق المسلمين من خلال كتاباته عن المرأة كأنثى والطفولة وتعامل المسلمين مع غيرهم مع التركيز على فرية انتشار الإسلام بحد السيف.

الفصل الرابع: جاء كحكم مبني على التحليل النقدي لكتابات زويمـر مبينًـا السمات والقواعد لهذه الكتابات عن الإسلام.

وقد وظفت منهج النقد والمقارنة في دراستي هذه من أجل الوصـول إلـى نقاط السلب والإيجاب في منهج زويمر ليكون هذا البحث كغيره من الأبحاث التي سبقته ممهدًا سبل الحوار بين الأديان انطلاقًا من نقاط الاتفاق ثـم مناقشـة نقـاط الخلاف بشكل موضوعي يمكن الباحث من الوقوف على الأدلة والبـراهين التـي يستطيع من خلالها الوصول للحكم الصحيح.



الملخص

باللغة الإنجليزية

The Summary of The Thesis

The title of the Thesis: (Zwemer's strategy to study Islam "1867 – 1952" Acritical study)

By: Mohammed Sameeh Fadel Fadl.

(For the degree of Master of Philosophy and comparative Religion)

This thesis has discussed Samuel Zwemer's strategy to study Islam as he is considered one of the most distinguished orientalists and evangelists in our contemporary world. The importance of this study is that it is based on discussing Zewemer's opinion about Islam through his English written books and articles in detail.

This thesis has come out in four chapters as follows:

Chapter one: Zwemer's study of the origin or sources of the Muslim doctrine and how far it was affected by paganism, Christianity and Judaism.

Chapter Two: Zwemer's study of the Muslims' doctrine; their belief in Alaah, His names and attributes, their prophet (PBUH), The doctrine of predestination and its effect on the relation between their God and this world.

Chapter Three: Zwemer's study of the Islamic morals through his writings about womanhood, childhood, and how Muslims treat others concentrating on the libel of the spread of Islam using the sword.

Chapter four came as a judgment built on the previous and critical analysis of Zwemer's writings showing the rules and characteristics of these writings about islam.

I have used the critical comparative method to get to the positive and negative points in Zwemer's writings so that this thesis as well as other previous theses may pave the way of the dialogue among religions to be carried out objectively. Hence, by starting with points of agreement we can discuss points of disagreement to reach the correct judgment based on proofs and evidences.

Cairo University
Faculty of Dar Al Uloom
Department of Islamic Philosophy



Zwemer's Strategy to Study Islam "1867 - 1952"

"A Critical Study"

A Thesis of the Degree of Master of Philosophy

Submitted by

Mohammed Sameeh Fadel Fadl

Under Supervision of

Prof. Abd El-Radi Mohammed Abd El-Mohsen

Professor of Islamic Philosophy and The Dean of Faculty of Dar Al Uloom

1439 Hegira –2017 AD